كتاب جيل جديد الرابع عشر

# حدائق موراكامي

غارة المخبز الثانية وقصص أخرى لموراكامي



ترجمة : محمد عبد العاطي عبد الخير

PDF

# الإهـــــداء

إلى عشاق موراكامي

**مقدمة المترجم:**

يشبّه موراكامي في مقدمة مجموعته القصصية (الصفصافة العمياء، المرأة النائمة) كتابة الروايات بزراعة غابة، بينما تكون كتابة القصص القصيرة أشبه بزراعة حديقة. ويرى أن العمليتان تكملان بعضهما البعض لإنشاء منظر طبيعي متكامل. فهو يقول: "أتذكر بوضوح كل لحظة جلست لأكتب إحداها، وكيف شعرت وقتها، القصص القصيرة كالعلامات الإرشادية نحو قلبي. وأنا سعيد جداً ككاتب بمشاركة هذه المشاعر الحميمة مع قرائي. قصصي القصيرة مثل ظلال ناعمة، آثار أقدام باهتة أتركها خلفي."

يجمع الكثير من عمالقة الأدباء بين كتابة الرواية والقصة القصيرة، إلا أن أعمالهم الروائية - وفقاً لملاحظتي - تطغى على القصص القصيرة، لسبب أو لآخر. فإذا سألت أحدهم عن أهم أعمال كاتب ما، فإنه بلا شك سيذكر لك عدداً من رواياته، وعلى الأرجح لن يشير مجرد إشارة إلى أي من قصصه القصيرة. ربما باستثناء أنطون تشيخوف ويوسف ادريس اللذان اشتهرا بكتابة القصص القصيرة مع أنهما كتبا عدداً من الروايات والمسرحيات. نجد أن كتّاباً مثل جيمس جويس، وهيمنغواي، وويليم فوكنر، وتولستوي، وماركيز، وغيرهم كثيرون، ينطبق عليهم ما سبق على الرغم من أن لديهم أعمال قصصية لا تقل روعة وأهمية عن رواياتهم، وموراكامي ليس استثناء من هؤلاء.

إذا كان أحدهم يحب أعمال موراكامي الروائية، فإنه يكاد يكون من المستحيل أن يتجاهل أعماله القصيرة، التي نجد فيها كل ما جعلنا نعشق كتاباته، ثيمات العزلة، والفقدان، والحب، وغيرها. واهتمامه بالتفاصيل الدقيقة، وولعه بالقراءة والموسيقى... وبالقطط!. وحس دعابته الفريد. وواقعيته السحرية الخاصة به. كذلك نجد هناك تداخل واضح بين قصصه القصيرة وشخصياتها، ورواياته. كما هو الحال مع الطيب صالح وماركيز اللذين تظهر بعض شخصيات رواياتهما في قصصهم القصيرة. إلا أن موراكامي يعيد استخدام القصة بأكملها في

الرواية، كما في قصة (الصفصافة العمياء، المرأة النائمة) التي تشابه إلى حد كبير فصلاً في رواية (الغابة النرويجية). وأيضاً قصة (الطائر اللعبة وامرأة الثلاثاء)- وهي ضمن هذه المجموعة المترجمة - التي تشكل الفصل الأول من رواية (يوميات الطائر اللعبة). يقول موراكامي عن ذلك: "قد يحدث أن تداهمني قصة قصيرة كتبتها قبل فترة طويلة في منتصف الليل وتهزني وتوقظني وتصيح بي، يا هذا، ليس هذا وقت النوم، لا يمكنك نسياني، لا يزال هناك المزيد لكتابته. فأجد نفسي أعمل على كتابة رواية."

على حد علمي، لم تصدر أي دار نشر عربية مجموعة قصصية لموراكامي، مع أنه أصدر حوالي أربعة مجموعات حتى الآن. هناك كثير من القصص المترجمة لموراكمي، إلا أن معظمها منشورة على المدونات الشخصية وصفحات مواقع التواصل الاجتماعي للمترجمين من عشاق موراكمي، كذلك تأتي هذه المحاولة المتواضعة لتسليط الضوء والإحتفاء بقصص موراكامي. وقد بذلت ما في وسعي لترجمة القصص التي لم تتم ترجمتها، مع أنه يصعب التحقق من ذلك نظراً لعدم صدور أي مجموعة من دار نشر بصفة رسمية كما أسلفت. معظم القصص المترجمة هنا كانت قد نُشرت ضمن مجموعة (الفيل يختفي) وبمجلة ذا نيويوركر التي تنشر غالبية قصص موراكمي قبل اصدارها في مجموعة.

محمد عبد العاطي عبد الخير

الخرطوم - مايو/2017

# قودي سيارتي

# (Drive My Car)

ركب كافوكو في سيارات تقودها نساء عدة مرات. ومن خبرته يمكن تقسيمهن إلى نوعين، إما أن تكون السائقة متهورة، أو حذرة أكثر من اللازم. إلا أن معظمهن يقعن ضمن الفئة الثانية، و يجب أن نشعر بالامتنان لذلك بطبيعة الحال. السائقات بصفة عامة كن أثر تهذيباً وقدن بحذر أكثر من الرجال، وبالطبع ليس هناك ما يدعو للتشكّي من القيادة المهذبة التي تتسم بالحذر. إلا أن طريقة قيادتهن تثير سخط السائقين الآخرين من حين لآخر.

من ناحية أخرى، معظم السائقات اللائي يقعن ضمن ***"الفئة المتهورة"*** يعتقدن أنهن سائقات ماهرات، على ما يبدو. ودائماً ما يسخرن من السائقات الأكثر حذراً من جنسهن، وينأين بأنفسهن بفخر عن تلك الفئة. عندما يقمن بتغيير المسار بحركة جريئة، لا يكن مدركات للكوابح التي تضغط بعنف من حولهن، والعبارات غير اللطيفة التي يتم التفوه بها.

بالطبع هناك سائقات لا ينتمين إلى أي من هاتين الفئتين، لسن بالمتهورات، ولا هن حذرات أكثر من اللازم. بل نساء يقدن بطريقة عادية. وبين هؤلاء النسوة، هناك بعض السائقات المتمكنات. لكن حتى معهن، كثيراً ما لاحظ كافوكو لديهن علامات التوتر أثناء القيادة. لم يتمكن من تحديد هذه العلامات بالضبط، لكنه كراكب يشعر دائماً بتوتر السائق، ولا يستطيع الاسترخاء نتيجة لذلك. إما أن يشعر بجفاف في حلقه، أو يبدد الصمت بمحادثة مملة وغير ضرورية.

بطبيعة الحال، ما أن نفترض وجود سائقين بارعين من الرجال، ذلك يعني بالضرورة وجود سائقين رديئين. لكن في معظم الحالات، لم يترك لديه السائقون الرديئين الانطباع بأنهم متوترين أثناء القيادة. ذلك

لا يعني أنهم كانوا مسترخين تماماً، على الارجح يشعرون بالتوتر كالنساء تماماً. لكنهم بطريقة ما، بدوا قادرين - ربما دون وعي منهم - على عزل ذلك التوتر عن أحوالهم الظاهرية. كانوا قادرين على إجراء حوار عادي أثناء التحكم بالسيارة بطريقة تفصل حديثهم عن عملية القيادة. لم تكن لدى كافوكو أدنى فكرة من أين ينبع هذا الاختلاف بين السائقين من الرجال والنساء.

حاول كافوكو أن يستوضح الفروق بين الرجال والنساء، وتقريباً لم يلاحظ أي فرق في المقدرات بينهم. نظراً لطبيعة مهنته، عمل كافوكو مع الرجال والنساء سواء، وكان يشعر بالراحة أكثر عند التعامل مع النساء. كن يملن للاهتمام الدقيق بالتفاصيل، بالإضافة إلى كونهن مستمعات جيدات.

عندما يكون في سيارة تقودها امرأة، عندها فقط يشعر كافوكو بأن هناك ***"امرأة"*** إلى جانبه. لم يخبر أي أحد عن أفكاره في هذا الأمر، فهو لم يكن يعتقد أنه موضوع لائق ويستحق النقاش. لذلك عندما أخبر أوبا، مالك ورشة صيانة السيارات، أنه كان يبحث عن سائق محترف، لم يتحمس كافوكو كثيراً عندما أوصى أوبا بسائقة شابة. ابتسم أوبا للنظرة التي ارتسمت على وجه كافوكو وكأنه يقول له: "أعرف ما تعنيه."

- مهلاً يا كافوكو- سان. يجب ألّا تشكك في مهارتها في القيادة. أقدم ضمانتي الشخصية على ذلك. دعها تأخذك في جولة على الأقل.

قال كافوكو:

- حسناً، بما أنك تبدو واثقاً، فلنر.

يفضّل كافوكو أن يجد سائقاً بأسرع ما يمكن. وأوبا كان الشخص الذي يمكنه الوثوق به، فهو يعرفه منذ خمسة عشرة عاماً. أوبا لديه شعر خشن وشائك أشبه بنسيج صوفي، وعندما يتعلق الأمر بالسيارات، فهو لا يخطئ أبداً تقريباً.

- سأطلب منها المجيء يوم الخميس، يمكنك اختبارها في الطرقات القريبة من هنا. إذا لم تقتنع، يمكنك أن ترفض ببساطة. لا داعي للقلق.

- كم تبلغ من العمر تقريباً؟

- في منتصف العشرينات، على الأرجح. لم أسألها.

قال أوبا ذلك ثم علت جبهته تكشيرة.

وأردف:

- هناك أمر واحد. كما قلت لك، مهارتها في القيادة لا يطالها شك، لكن...

- لكن ماذا؟

- كيف يمكنني أن أصيغ لك الأمر؟ هناك جانب صعب منها.

- كيف ذلك؟

- إنها فظة إلى حد ما، لا تتحدث كثيراً، تدخن دوماً. سترى عندما تقابلها. ليست من نوع الفتيات الضاحكات المرحات، تكاد لا تبتسم إطلاقاً. ولأكون صادقاً معك، إنها قاسية قليلاً.

- ليست لدي مشكلة. لن أتمكن من الاسترخاء إذا كانت عارضة أزياء أو ما شابه، كما أن ذلك قد يتسبب في رواج شائعات لا داعي لها.

- حسناً، والحالة هذه، قد تكون هي ما تريده تماماً.

- على أي حال، قلت إنها بارعة في القيادة؟

- اطمئن من هذه الناحية. إنها ليست بارعة فقط بالنسبة لامرأة، إنها بارعة فحسب.

- ما العمل الذي تزاوله الآن؟

- لا أعرف على وجه التحديد. يبدو لي أنها تعيل نفسها بالكاد بأعمال على فترات قصيرة. عادة ما تترك العمل فوراً إذا وجدت عرضاً أفضل. احضرها صديق لي للعمل في الورشة، لكن العمل لم يكن مزدهراً، ولم يكن لدينا ما يكفي من العمل لاستيعاب عامل بدوام كامل. نتصل بها عندما نحتاج مساعدة. تمتلك دماغاً لامعاً فوق كتفيها، أُأكد لك. كما أنها لا تقرب الكحول.

على ذكر الكحول، اكفهر وجه كافوكو، ودون وعي منه، امتدت يده اليمنى لتلامس شفتيه.

- سأقابلها هنا بعد غد إذاً، عند الثانية.

تبدو الفتاة - الفظة التي لا تشبه الفتيات - مثيرة للاهتمام.

بعد يومين انتهت الصيانة في سيارة كافوكو ساب 900 الصفراء القابلة للطي. تم إصلاح الإنبعاجة على الجانب الأمامي الأيمن بشكل جميل، ولم يبدُ لها أي أثر تقريباً بعد الطلاء. أُخضع المحرك لصيانة روتينية، تم تعديل تروس السرعات، واستبدال ماسحات الزجاج، ولبادات الكوابح، وغسلت السيارة بالكامل، وتم تلميع الإطارات. وكالعادة لم يجد كافوكو أي شائبة في عمل أوبا. ظل يقود سيارته هذه لعشرين عاماً وستون ألف ميل. السقف القماشي رأى أياماً أفضل بالطبع، وكان يسرب الماء في الأمطار الغزيرة. لكن لم تكن لدى كافوكو أي خطط لشراء موديل جديد. لم تحدث لها مشاكل كبيرة حتى الآن، وقد كان مولعاً بها. كان دائماً ما ينزل السقف ويقودها مكشوفة، مرتدياً معطفاً ووشاحاً في الشتاء، وقبعة ونظارة شمسية في الصيف. يقود في طرقات المدينة مستمتعاً بتغيير السرعات. يرنو ببصره إلى السماء عند الإشارات الضوئية، وينظر إلى الغيوم العابرة والطيور التي تحط على أسلاك الكهرباء. كانت السيارة جزءاً هاماً من أسلوب حياته. دار كافوكو حول سيارته يتفحصها كمالك حصان سباق.

كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة عندما كانت السيارة جديدة. كانا يخرجان بها كثيراً في السنوات الأولى. كافوكو يقبض على عجلة القيادة وزوجته في المقعد المجاور. بعد السنوات القليلة الأولى، لم تعد زوجته تركب معه. وكان يقود وحيداً معظم الوقت. على الرغم من أنه واعد عدداً من النساء منذ وفاة زوجته، لسبب ما، فإن واحدة منهن لم تركب في مقعد الراكب إلى جواره. إلا عندما يقتضي العمل ذلك. كما أنه لم يعد يغادر المدينة ليطلق العنان لمحرك سيارته في طرقات الريف.

قال أوبا- سان: "ترك الزمن بصمته عليها بطبيعة الحال، لكنها لا تزال سيارة جيدة."

وأخذ يمسح لوحة العدادات وكأنه يربت على كلب ضخم.

وواصل حديثه: "إنها من فصيلة يعتمد عليها. كانت السيارات السويدية في ذلك الوقت تصنع بإتقان ومتانة. عليك صيانة الإليكترونيات لكن الأجزاء الميكانيكية سليمة. لقد اعتنيتَ بها جيداً."

كان كافوكو منهمكاً في توقيع بعض الأوراق، وتلقِّي تفاصيل بعض الفواتير عندما حضرت الفتاة. كانت بطول خمسة أقدام وخمسة بوصات تقريباً، ليست بدينة لكنها عريضة المنكبين ومتينة البنية. كانت هناك علامة بنفسجية بيضاوية الشكل على الجانب الأيمن من عنقها بدت غير مهتمة بتغطيتها، وخصلات من شعر أسود حالك مربوطة إلى الخلف. وفقاً لوصف أوبا- سان، كانت تعابير وجهها هادئة. كما لديها علامات حب الشباب على خديها، وعينان واسعتان صافيتان تجعلها تبدو مريبة بطريقة ما. بالإضافة إلى أذنين كبيرتين بارزتين كأطباق استقبال الراديو في قرية صغيرة. وكانت ترتدي جاكيت رجالي ذو خطوط مائلة متوازية وكبير قليلاً، مع سروال بني قطني وحذاء رياضي أسود. وتحت الجاكيت ترتدي قميصاً طويل الأكمام يغطي صدراً حسن النمو.

قام أوبا- سان بتقديم كافوكو. كان اسمها ميساكي واتاري.

- سأحضر لك السيرة الذاتية إذا أردت.

تحدثت بنبرة عدم اكتراث.

هز كافوكو رأسه قائلاً:

- لا داعي للسيرة الذاتية. أيمكنك القيادة بناقل سرعة يدوي؟

- أفضل ناقل السرعة اليدوي.

أجابت بخشونة، كما لو أن شخصاً نباتياً متعصباً سُئل إن كان يأكل الخضروات.

- إنها سيارة قديمة، لذلك فهي ليست مزودة بنظام ملاحة متصل بالأقمار الصناعية.

- لست بحاجة إليه. عملت سائقة توصيل طلبات للمنازل لفترة. أعرف المدينة وأحفظ شوارعها عن ظهر قلب.

- حسناً، إذاً. أيمكنك أخذي في جولة حول المنطقة؟ سننزل السقف بما أن الجو جميل.

- إلى أين سنذهب؟

فكر كافوكو للحظة، كانوا قريبين من شينوهاشي.

- سننعطف يميناً عند التقاطع الواقع أمام معبد تينجين - جي، ونتوقف في موقف سيارات تحت الأرض بالقرب من متجر ميدي - يا. سأتسوق قليلاً ثم نصعد أعلى التلة نحو منتزه أريسوغاوا، ونمر بجوار السفارة الفرنسية، وإلى ميجي دوري، ثم نعود إلى هنا.

- حسناً.

قالت ميساكي دون أن تتوقف للتحقق من الإتجاهات أو المسار. بعد استلام المفاتيح، قامت بتعديل المقعد والمرايا، وهي تبدو مدركة

لمواضع ووظائف جميع أدوات التحكم بالسيارة. بعد أن ضغطت القابض وتحققت من وضع ناقل الحركة، أخرجت نظارة شمسية خضراء ماركة راي -بان من جيبها العلوي وارتدتها. التفتت إلى كافوكو وأومأت إيماءة خفيفة وكأنها تقول "مستعدة"

- أشرطة كاسيت؟

تعجبت ميساكي وهي تلقي نظرة عرضية على النظام الصوتي.

قال كافوكو:

أفضل الكاسيت، إنها أسهل من الأقراص المدمجة. كما تتيح لي فرصة التمرن على النصوص.

- لم أر واحدة منها منذ فترة.

- عندما بدأت القيادة، كنا نستخدم ثماني المسارات.

ظلت ميساكي صامتة، لكن بدت من تعابيرها أنها ليست لديها أدنى فكرة عن ماهية ثماني المسارات هذا.

تماماً كما وعد أوبا- سان، كانت سائقة ممتازة، تتحكم بالسيارة بسلاسة ودون أي حركات مفاجئة. مع أنهما أمضيا معظم الرحلة في الزحام، إلا أنها كانت حريصة على الحفاظ على سرعة المحرك ثابتة، الأمر الذي لاحظه كافوكو بمتابعة عينيها. عندما يكون مغمضاً عينيه، بالكاد يستطيع تمييز التغيير في السرعات، يمكنه معرفة ذلك بالاستماع لصوت المحرك. استخدام ميساكي لدواستي البنزين والمكابح كان متوازناً ومثيراً للإعجاب. لكن أكثر ما أعجبه في قيادتها هو بقائها مسترخية طوال الوقت. بدت وكأنها قادرة على الاسترخاء خلف عجلة القيادة أكثر مما تكون وهي بعيدة عنها. استرخت قسماتها الصارمة ولانت عيناها. مع ذلك، ظلت متحفظة، لا تتكلم إلا إذا خاطبها.

هذه الصفة لم تكن تزعج كافوكو بالضرورة، بما أنه نفسه لم يكن مولعاً بالمحادثات الهامشية الصغيرة. لم يكن يمانع الحديث مع الأصدقاء المقربين في مواضيع عميقة وذات معنى، لكنه يفضل الصمت في الحالات الأخرى. استقر كافوكو في مقعد الراكب، وبذهن شارد ظل يشاهد مناظر المدينة وهي تمر بجانبه. بما أنه كان يقود دائماً، فقد حصل على زاوية نظر جديدة، وضعت كل شيء تحت ضوء مغاير.

جعل كافوكو ميساكي تقوم بعدة مناورات للركن المتوازي في ميجي دوري مكتظة الحركة. تمكنت منها جميعها بمهارة. أظهرت وعياً كبيراً وردود فعل ممتازة. كانت تدخن أثناء الانتظار عند إشارات المرور، وبدا أن مارلبورو ماركتها المفضلة، لكنها لم تدخن والسيارة متحركة، تسحق سيجارتها ما أن تتحول الإشارة للون الأخضر. كما لاحظ كافوكو أيضاً عدم وجود آثار أحمر الشفاه على أعقاب سجائرها. أظافرها غير معتنى بها، ولم يكن هناك شيء على وجهها يمكن وصفه كمكياج.

- لدي بعض الأسئلة أريد أن أطرحها عليك.

قال كافوكو عندما وصلا إلى منتزه أريسوغاوا.

- تفضل.

- أين تعلمت القيادة؟

- نشأت في جبال هوكايدو، وكنت أقود هناك منذ أن كنت في الحادية عشرة. لا يمكنك تدبر أمرك هناك إذا لم تكن تعرف القيادة. تكون الطرقات مغطاة بالجليد نصف أيام السنة، لذلك حتى السائقين السيئين كان عليهم أن يصبحوا بارعين.

- لكنك لم تتدربي على الركن المتوازي في الجبال، أليس كذلك؟

لم تجب. يبدو أنه كان سؤالاً لا يستحق الرد.

- هل أخبركِ أوبا- سان لماذا أحتاج إلى سائق بصورة عاجلة؟

تكلمت ميساكي برتابة وهي تنظر للأمام:

- أنت ممثل، تمثل في مسرحية، ستة أيام في الاسبوع. عادة تقود بنفسك إلى العمل. لا تحب ركوب قطار الأنفاق أو التاكسي لأنك تحب التمرن على النصوص في السيارة. لكنك تعرضت لحادث صغير مؤخراً وتم سحب رخصة القيادة الخاصة بك لأنك كنت تشرب وتعاني من مشكلة في بصرك.

أومأ كافوكو.

بدا الأمر وكأن أحدهم يصف حلماً رآه.

- عندما خضعتُ لاختبار العيون عند الطبيب الموصى به من قبل الشرطة، وجدوا علامات على اصابتي بالزرق. يبدو أن لدي بقعة عمياء في نظري في زاوية عيني اليمنى، مع أنني لم ألاحظ وجودها من قبل قط.

تمكن كافوكو من إلغاء تهم الشراب نظراً لمستوى الكحول المنخفض في دمه. لحسن الحظ، لم تعلم وسائل الإعلام بقصته. لكن المشكلة في بصره لم تخف على وكيله. كان هناك احتمال أن تدخل سيارات أخرى مجال رؤيته من الجهة الخلفية اليمنى دون أن يراها. أُمر أن يتجنب القيادة تحت أي ظرف حتى تُظهر الاختبارات تعافيه.

قالت ميساكي:

- كافوكو- سان... أيمكنني أن أدعوك كافوكو- سان؟ أهذا هو أسمك الحقيقي؟

- نعم، إنه ليس اسماً شائعاً. هناك جانب إيجابي من الأمر، لا يوجد أي فرد من عائلتي يمكن أن يوصف بالثري.

بعد فترة من الصمت، أخبر كافوكو ميساكي عن المبلغ الذي ستتقاضاه شهرياً. لم يكن مبلغاً كبيراً، لكنه كان الحد الذي تستطيع وكالته أن توفره. مع أن كافوكو كان شخصية شهيرة إلى حد ما، إلا أنه لم يحظ بأدوار رئيسية في التلفزيون أو السينما. التمثيل في المسارح فقط كان عائده مجزياً. بالنسبة لشخص في وضعه، كانت رفاهية غير شائعة أن يكون لديه سائق خاص، ولو لفترة مؤقتة لمدة شهرين.

- ستختلف ساعات العمل وفقاً لجدول أعمالي. لكن في الوقت الحالي سيكون معظم عملي في المسرح، لذلك لن يكون لديك شيء طيلة الفترة الصباحية. يمكنك أن تنامي حتى بعد الظهر. في الأمسيات أنهي عملي حوالي الحادية عشرة على أبعد تقدير. وإذا احتجت للخروج بعد هذا الوقت، سأطلب تاكسياً. وسيكون لديك يوم راحة واحد في الأسبوع.

- يناسبني ذلك.

- العمل نفسه ليس شاقاً، أصعب ما فيه هو فترات الانتظار الطويلة.

لم تقل ميساكي شيئاً. ظلت شفتيها مطبقتين، وعلى وجهها تعابير شخص عمل في وظائف أصعب بكثير.

- لا أمانع أن تدخني عندما يكون السقف مكشوفاً. لكن عندما نرفعه، أفضل ألا تدخني.

- مفهوم.

- أهناك شيء تودين أن تسألي عنه؟

- ليس حالياً.

ضاقت عيناها وهي تنقل ناقل السرعة إلى ترس أقل. ثم قالت:

أحب هذه السيارة.

أمضيا بقية الرحلة في صمت. وعند عودتهما إلى الورشة، انتحى كافوكو بأوبا جانباً ليقول له: "لقد قررت أن أوظفها."

في اليوم التالي للقائهما الأول، أصبحت ميساكي السائق الخاص لكافوكو. وصلت إلى شقته في إبسو عند الثالثة والنصف بعد الظهر، وأخرجت سيارته الـ ساب الصفراء من المرآب تحت الأرض، واوصلت كافوكو إلى مسرح في غينزا. في الطريق كان كافوكو يستذكر نصوص دوره مع شريط كاسيت. كانت مسرحية "الخال فانيا" لأنطون تشيخوف، تم تعديلها وفقاً لحقبة ميجي في اليابان. أدى كافوكو دور الخال فانيا. كان قد حفظ النص كاملاً، لكنه كان بحاجة إلى تكراره يومياً ليطمئن نفسه. إنها عادة قديمة لديه.

في طريق العودة، كانا يستمعان إلى رباعيات بيتهوفن الوترية. كان كافوكو يستمتع برباعيات بيتهوفن ولا يمل منها أبداً، وقد كانت رفيقاً جيداً للتفكير العميق، أو عدم التفكير بأي شيء على الإطلاق. وعندما يكتفي من الموسيقى رفيعة المستوى، يقوم بتشغيل موسيقى الروك الأمريكية القديمة، مثل فِرق ذا بيتش بويز، ذا راسكالز، كريدنس، ذا تمبتيشنز، الموسيقى التي كانت رائجة وشعبية عندما كان في مقتبل شبابه. لم تقل ميساكي الكثير عن الموسيقى التي يشغلها، ولم يكن كافوكو متيقناً إذا كانت قد أحبتها، أم كرهتها، أم إذا كانت تسمع شيئاً أصلاً. لم تظهر عواطفها قط.

عادة ما يشعر كافوكو بالحرج من التمرن على أدواره بصوت عال في وجود شخص آخر، لكن حضور ميساكي لم يكن له ذلك الأثر. كان كافوكو ممتناً لهدوئها ولا مبالاتها. مهما علا صوته، تتصرف وكأنها لا تستطيع سماع أي شيء. أو ربما لا تسمعه بالفعل. كانت تكرس جميع حواسها للسيارة، وتدخل في حالة شبيهة بالزن.

لم يكن كافوكو متأكداً من رأي ميساكي فيه، إذا أعجبها إلى حد ما، أو إذا لم تهتم أو تشعر بالفضول إطلاقاً، أو إذا كانت رؤيته تبعث

القشعريرة في جلدها لكنها تحتمله من أجل الوظيفة فحسب. لم يكن كافوكو مهتماً برأيها فيه كثيراً على أي حال. أحب أسلوب قيادتها السلس المتأني وأنها لا تتحدث كثيراً وتحتفظ بمشاعرها لنفسها.

بعد انتهاء المسرحية، أزال كافوكو المساحيق بسرعة، وغير ملابسه وغادر المسرح. لم يكن يطيل المكوث، ولم تكن له علاقات معرفة شخصية مع باقي الممثلين. اتصل بميساكي من هاتفه الجوال وطلب منها احضار السيارة أمام المسرح، حتى تكون الساب الصفراء المكشوفة في انتظاره عندما يخرج إلى الشارع. بحلول العاشرة والنصف كان في شقته بإبسو. تكرر هذا الروتين نفسه معظم الأيام.

من حين لآخر يكون لديه عمل إضافي. كان يذهب مرة كل اسبوع إلى استديو تلفزيون لتصوير مسلسل درامي. كان مسلسلاً بوليسياً عادياً إلا أنه كان يحظى بنسب مشاهدة عالية، ويعني الكثير لكافوكو. كان يلعب دور قارئ حظ يساعد المحققة بطلة المسلسل. وليتقمص دوره تماماً، كان كافوكو يتنكر كقارئ حظ حقيقي ويمارس عمله في الشارع. سار الأمر بصورة طيبة، حتى أنه اكتسب سمعة حسنة لدقة توقعاته. بعد انتهاء التصوير يسرع بالذهاب إلى المسرح بغينزا. و قد كان هذا أحرج أوقات الاسبوع. بعد انتهاء المسرحيات التي تقام بعد الظهر في نهايات الاسبوع، كان يدرّس في فصل مسائي بمدرسة تمثيل. التنقل من وإلى المدرسة أصبح أحد مسؤوليات ميساكي أيضاً. ومع رحلاتها المكوكية هنا وهناك، وهدوئها و دقتها في المواعيد، إعتاد كافوكو على الجلوس في مقعده وميساكي خلف عجلة القيادة، حتى إنه كان يغفو قليلاً.

عندما ارتفعت درجات الحرارة قليلاً، استبدلت ميساكي الجاكيت الرجالي بآخر صيفي خفيف. دائما ما ترتدي واحداً أثناء القيادة، ويبدو وكأنه بمثابة زي عمل بالنسبة لها. ثم حل فصل الأمطار، فكانا يرفعان السقف في معظم الأوقات.

كثيراً ما يفكر كافوكو في زوجته المتوفية أثناء ركوبه في سيارته. كانت تخطر على باله بصورة أكثر منذ أن بدأت ميساكي العمل معه، مع أنه لا يعرف لماذا. كانت ممثلة أيضاً، باهرة الجمال، وأصغر منه بعامين. عندما بدأ مسيرته كممثل، كان كافوكو ما يمكن أن تطلق عليه ممثل (شخصيات). وغالباً ما تسند إليه أدوار مساعدة، كالشخصيات غريبة الأطوار. كان وجهه نحيفاً وطويلاً نوعاً ما، وقد بدأ شعره يتساقط في سن مبكرة نسبياً. لا يصلح لأداء الأدوار الرئيسية، بينما كانت زوجته جميلة بحق، وقد انعكس ذلك على الادوار التي أدتها والأموال التي تقاضتها. مع ذلك، بمرور الأعوام، ارتفعت مكانة كافوكو كممثل بفضل غرابة تمثيله والشخصيات الغريبة التي يجسدها. لكن على الرغم من هذه الاختلافات، كان الاثنان يحترمان مسيرتهما المهنية، والتفاوت في الشعبية والدخل لم يعكر صفوهما قط.

كان كافوكو مغرماً بها. تعلق بها بكل روحه منذ اللحظة التي تقابلا فيها (كان في التاسعة والعشرين من عمره في ذلك الوقت) ولم تتغير مشاعره نحوها حتى يوم وفاتها. (عندما كان في التاسعة والأربعين). لم يحدث أن أقام علاقة مع امرأة أخرى أثناء زواجه بها، مع أنه أتيحت له عدة فرص. لم يشعر بحاجة إلى ذلك قط.

إلا أن زوجته كانت تقيم علاقات مع رجال آخرين من حين لآخر. كانوا أربعة على حد علم كافوكو. كان على علم بأربع علاقات جنسية متكررة كانت تقيمها مع رجال آخرين. لم تأتِ على ذكرها، بطبيعة الحال. لكن عندما تواعد رجلاً آخر، كان يعلم ذلك حدسياً. كان حساساً تجاه هذه الأشياء. أي شخص يحب بصدق يمكنه فهم الإشارات، بغض النظر عما ستسببه من ألم. كما أمكنه أيضاً التعرف على من كانت تواعدهم من نبرة صوتها. دائماً ما يكونون شركائها في الأدوار الرئيسية في أحد أفلامها، ويميلون لأن يكونوا أصغر سناً. قد تستمر العلاقة لشهور وتستنفد أغراضها بنهاية تصوير الفيلم. تكرر النمط نفسه أربع مرات.

منذ ذلك الوقت وحتى يومه هذا، لم يستطع أن يفهم لماذا أرادت أن تقيم علاقات مع رجال آخرين. كان كافوكو يفكر مع نفسه، حافظا على علاقة مستقرة، سواء كزوج وزوجة أو كصديقين، وعندما يسمح لهما الوقت كانا يتحادثان بصدق وشغف عن مختلف الأشياء. عملا جاهدين لبناء الثقة بينهما. حتى إن معارفهما كانوا ينظرون إليهما كزوجين محبين ويليقان ببعضهما البعض.

رغم كل ذلك، ***"لماذا تقيم علاقات مع رجال آخرين؟"*** تمنى كافوكو لو واتته الشجاعة ليسألها قبل وفاتها، وكثيراً ما عذب نفسه بهذه الفكرة. في مرحلة ما، قبل وفاتها ببضعة أشهر، اقترب كثيراً من سؤالها، ***"ما الذي كُنت تريدينه منهم؟ ما الذي لم تتمكني من الحصول عليه مني؟"*** لكنه لم يستطع حمل نفسه على سؤالها وهي ممددة تكابد الآلام على فراش الموت. في النهاية، غادرت عالم كافوكو دون أن تفصح عن سبب واحد. تشبثت أفكار كافوكو بأسئلته التي لم يطرحها، والأجوبة التي لم ولن يتلقاها أبداً، حتى لو انتشل عظام زوجته من رمادها في المحرقة. استحوذت عليه هذه الأفكار لدرجة أنه كان يسمع أصوات المعزين بالكاد.

لم يستطع كافوكو إبعاد الصورة المريرة لزوجته وهي بين ذراعي رجل آخر عن ذهنه. ما إن يغمض عينيه حتى تقفز صورها مع عدة رجال إلى مخيلته، ويصبح عاجزاً عن محوها. بمرور الزمن، تغلغلت هذه الأفكار والصور إلى ذاكرته كنصل حاد، يمزقه بلا رحمة. أحياناً يفكر كافوكو في مقدار سعادته إذا لم يعرف الحقيقة أبداً. لكن كان لديه إيمان راسخ بأن الرغبة في المعرفة تفوق الرغبة في الجهل، أياً كانت المعاناة التي ستسببها. بالمعرفة فقط يصير الفرد قوياً.

والأكثر إيلاماً من مخيلته، كان سعيه ليعيش حياة عادية مع إبقاء معرفته بعلاقاتها الغرامية طي الكتمان. كان يحافظ على هدوء ظاهري بينما يغلي الدم في عروقه ويمزق أعضاءه الداخلية إلى أشلاء. الشؤون اليومية والحوارات العرضية وحياتهما الزوجية كان يتم تمثيلها كأنها طبيعية. وهذا أمر لا يستطيع أي شخص أن يفعله، لكن

كافوكو كان ممثلا محترفاً، والقيام بأداء تمثيلي مع إبعاد ذاته الحقيقية كان أحد مقومات وجوده. وكان يؤدي كل أدواره ببراعة مع أنه ليس هناك جمهور ليشاهدها.

لكن إذا نحّينا ذلك جانباً، وحقيقة أن زوجته أقامت علاقات مع رجال آخرين، كان راضيان عن حياتهما واستمر زواجهما دون مشاكل كبيرة تكدر صفوها. كانا ناجحان في عملهما، ومستقران مادياً. مارسا الجنس مرات لا تحصى على إمتداد زواجهما الذي استمر لأكثر من عشرين عاماً، وفي تقدير كافوكو، كلاهما استمتع به. في الوقت الذي انقضى منذ وفاتها، واعد كافوكو عدداً من النساء، لكنه لم يجد معهن أياً من البهجة التي عاشها مع زوجته. الشعور الوحيد الذي اختبره هو توارد صور من حياته السابقة مع زوجته.

بما أن وكالته كانت بحاجة إلى معلومات عنها، طلب كافوكو من ميساكي أن تملأ استمارة تشمل عنوانها الحالي، ومحل الإقامة الدائم، وتاريخ الميلاد، ورقم رخصة القيادة. يبدو أنها كانت تعيش في شقة في أكاباني. ومحل إقامتها الدائم بلدة ناكاتونبستو، هوكايدو. وقد بلغت الرابعة والعشرين للتو. لم تكن لدى كافوكو أي فكرة عن موقع تاكانونبستو، لكن عمرها فاجأه.

رزق كافوكو بطفلة، توفيت بعد ثلاثة أيام من ميلادها. حدث الأمر فجأة، دون سابق إنذار، في حضانة المستشفى عند منتصف الليل. قال الأطباء إنه عيب خلقي في صمام القلب. لم يشكك كافوكو وزوجته في رواية إدارة المستشفى. وحتى إذا فعلا، ما كان ذلك ليعيد لهما ابنتهما. لحسن الحظ، أو ربما لسوء الحظ، لم يسمياها قبل وفاتها. قال كافوكو لنفسه، إذا عاشت، كانت لتبلغ الرابعة والعشرين الآن. كل عام في ذكرى وفاتها كان يضم يديه معاً ويصلي، ويتخيل حياة ابنته إذا عاشت.

آلمتهما الخسارة المفاجئة كثيراً. الغياب الذي خلفه رحيلها كان قاتماً وعميقاً، وقد استغرق وقتاً طويلا ليشفى، قضيا معظمه في شقتهما

في صمت كأبوين مفجوعين لا يرغبان في الحديث مخافة أن يقللا من شأن المأساة. صارت زوجته تشرب كميات كبيرة من النبيذ. ولفترة قصيرة نما لدى كافوكو الإهتمام بفن الخط. تحريك فرشاته على الورق الأبيض ورسم الأشكال المختلفة بالحبر الأسود ساعده بطريقة ما في التغلب على أحابيل أفكاره.

تدريجياً، وبالدعم المتبادل بينهما، تجاوزا تلك الفترة الصعبة، وواصلا حياتهما، واستغرقا في تفاصيل عملهما. بعد فترة الوقت، أعربت زوجته عن عدم رغبتها في محاولة إنجاب طفل آخر، ووافق كافوكو: ***"أتفهم ذلك. لن نحاول مجدداً، إذا كُنتِ تعتقدين أن ذلك أفضل لنا. يكفيني ذلك."***

عندما يعود كافوكو بتفكيره، من هذه المرحلة بدأت زوجته علاقاتها مع رجال آخرين. خمن أن يكون فقدان الطفلة قد أيقظ بداخلها حاجة ما، إلا أن تخمينه ظل من غير تأكيد.

قالت ميساكي:

- أيمكنني أن أسالك شيئاً؟

- بالطبع.

- لماذا أصبحت ممثلاً؟

- حسناً، طلبت مني بعض الفتيات في الجامعة أن أنضم لمجموعة طلاب الدراما. لم أكن مهتماً بالمسرح بشكل خاص في ذلك الوقت. كنت لاعب بيسبول، لكنني لم أكن بارعاً بما فيه الكفاية للانضمام لفريق الجامعة. لذلك استجبت لهن لأرى كيف ستسير الأمور. بالإضافة إلى أنني أردت أن أمضي مزيداً من الوقت مع أولئك الفتيات. وبعد فترة أدركت أنني أحببت التمثيل حقاً. راقت لي فكرة أن أكون شخصاً آخر لفترة أثناء التمثيل، ثم أعود لشخصيتي الحقيقية مجدداً. كان الأمر ممتعاً.

- هل أحببت أن تكون شخصاً آخر؟

- نعم، طالما يمكنني العودة إلى شخصيتي الحقيقية.

- هل سبق وفكرت في عدم العودة مجدداً؟

فكر كافوكو في سؤالها ملياً. لم يوجه له هذا السؤال من قبل. في تلك اللحظة كانا يتوجهان نحو مخرج تاكيهاشي على طريق طوكيو السريع. ثم قال:

- وأين عساي قد أذهب؟

لم تعقب ميساكي على رد كافوكو.

خلال الصمت الذي أعقب ذلك، نزع كافوكو قبعة البيسبول عن رأسه، وتفقد مظهرها ثم أعادها إلى رأسه. أثناء مرورهما بالقرب من شاحنة ضخمة، بدت الـ ساب المكشوفة هزيلة لا حول لها ولا قوة، كقارب صغير بالقرب من ناقلة نفط عملاقة.

قالت ميساكي بعد برهة:

- كنت أتساءل عن شيء، على الأرجح لا يجوز لي، لكن هل يمكنني السؤال؟

- بالطبع.

- لماذا ليس لديك أي أصدقاء؟

نظر كافوكو إلى وجه ميساكي بفضول وقال:

- كيف تعرفين أنه ليس لدي أصدقاء؟

هزت كتفيها قليلاً وقالت:

- عندما تعمل مع أحدهم يومياً تقريباً، تلاحظ بعض الأشياء.

حدق كافوكو في عجلات المقطورة لبرهة، ثم التفت وقال:

- لقد مرّ وقت طويل منذ أن دعوت أحدهم صديقاً، أتساءل لماذا؟

- هل أنت على هذه الحال منذ أن كنت طفلاً؟

- لا، كان لدي أصدقاء في طفولتي بالطبع. لكنني ما أن أصبحت بالغاً، لم أعد أشعر بحاجة للأصدقاء. خاصة منذ زواجي.

- لم تكن بحاجة للأصدقاء كثيراً لأن زوجتك كانت بجوارك؟

- على الأرجح، كنا صديقين مقربين أيضاً.

- كم كان عمرك عندما تزوجت؟

- كنت في الثلاثين. تقابلنا عندما كنا نعمل في نفس الفيلم، كانت في دور الممثل المساعد، وكان لدي دور صغير.

تقدمت سيارتهما ببطء في الزحام. كان السقف مرفوعاً، نظراً لأن طريق طوكيو السريع يكون مزدحماً دوماً.

سألها مغيراً الموضوع:

- ألا تشربين الكحول إطلاقاً؟

- يبدو أن جسدي لا يحتمله. كما أن أمي كانت تثير الكثير من المشاكل عندما تكون ثملة. يكون لهذا علاقة بالأمر.

- هل ما زالت أمك تثير المشاكل؟

هزت ميساكي رأسها بحزم وقالت:

- لقد توفيت. فقدت السيطرة أثناء القيادة وهي ثملة واصطدمت بشجرة. توفيت في الحال. كنت في السابعة عشرة وقتها.

- آسف لخسارتك.

قالت بواقعية:

- إنه خطأها. كان من المحتم حدوث ذلك في نهاية المطاف. كانت مسألة وقت ليس إلا.

- ووالدك؟

- لا أعرف مكانه. غادر عندما كنت في الثامنة ولم أره منذ ذلك الوقت. لم يتواصل معنا حتى. لامتني أمي على ذلك.

- لماذا؟

- كنت طفلتهما الوحيدة، وكانت تقول إنني إذا كنت فتاة لطيفة وجميلة، ما كان ليتركنا. وأنه لم يكن يريدني لأنني كنت قبيحة.

- في الواقع، إنك لست قبيحة إطلاقاً. هذا ما أرادتك أن تعتقديه.

هزت ميساكي كتفيها وقالت:

- لم تكن دوماً كذلك، لكنها تصبح عدوانية عندما تثمل. كانت تقول لي مثل هذه الأشياء مراراً و تكراراً، وقد كان أمراً مؤلماً. قد لا يصح أن أقول هذا، لكنني صراحة شعرت بالارتياح عندما ماتت.

بقيا صامتين لفترة أطول هذه المرة.

سأل كافوكو:

- هل لديك أصدقاء؟

هزت رأسها وقالت:

- ليس لدي أي صديق.

- لماذا؟

لاذت بالصمت وضيقت عينيها تحشد تركيزها على الطريق أمامها.

أغمض كافوكو عينيه وحاول أن يغفو قليلاً. إلا أن توقف وتحرك السيارة المستمر في الزحام أبقاه مستيقظاً. كما لو كان مقدراً، ألقت الشاحنة في المسار المجاور ظلها عليهم وهي تتأرجح بالقرب من الـ ساب الصفراء.

بعد أن يئس من أمر النوم، فتح كافوكو عينيه وقال:

- آخر صديق حظيت به كان منذ عشرة أعوام تقريباً. صديق زائف ستكون العبارة الأكثر دقة على الأرجح. كان يصغرني بستة أو سبعة أعوام. شاب لطيف للغاية. كان يحب الشراب، لذلك كُنت أخرج معه ونتحدث في مختلف المواضيع.

أومأت ميساكي، وانتظرت كافوكو ليكمل حديثه. تردد قليلاً لكنه قرر أن يواصل:

- الحقيقة هي؛ أنه كان أحد الذين ناموا مع زوجتي، مع أنه لم يكن يعرف أنني أعرف ذلك.

كانت ميساكي بحاجة إلى التأكد من القصة:

- أتقول أن هذا الصديق مارس الجنس مع زوجتك؟

- نعم، أعتقد أنه ضاجعها أكثر من مرة على فترة ثلاثة أو أربعة أشهر.

- كيف عَرِفْتَ؟

- حسناً، حاولتْ إخفاء العلاقة بطبيعة الحال، لكنني متيقن.

عدلت ميساكي المرآة الخلفية أثناء توقف السيارة.

- ألم تؤثر علاقته بزوجتك على صداقتكما؟

- في الواقع، ما حدث هو العكس تماماً. صادقته لأنه كان ينام مع زوجتي.

لم تقل ميساكي شيئاً، في انتظار تفسير، مجدداً.

- كيف يمكنني أن أعبر عن ذلك؟... أردت أن أفهم لماذا أقامت معه زوجتي علاقة، لماذا أرادت أن تنام معه. على الأقل كان هذا دافعي في البداية.

جذبت ميساكي نفساً عميقاً، فارتفع صدرها وانخفض ببطء تحت الجاكيت.

- ألم يكن ذلك صعباً عليك عاطفياً؟ أن تحتسي الشراب وأنت جالس مقابل الشخص الذي ضاجع زوجتك؟

- بالطبع كان صعباً. تواردت صور مقيتة إلى ذهني رغماً عني. كان يذكرني بأشياء من المفرض أن أكون قد نسيتها بحلول ذلك الوقت. لكنني كنت أؤدي فحسب. يمكنك أن تقولي إنه كان عملاً.

- كنت تصير شخصاً مختلفاً؟

- صحيح.

- ثم تعود إلى ذاتك؟

- نعم، قد لا يكون الأمر ممتعاً، لكنك تعودين. مع إنك تعودين مختلفة قليلاً عن ذي قبل. كقاعدة، لا يمكنك العودة إلى ما كنت عليه بنسبة مائة بالمائة.

بدأت زخات خفيفة من المطر في التساقط. قامت ميساكي بتشغيل المساحات.

- هل اكتشفت لماذا كانت زوجتك تنام معه؟

هز رأسه قائلاً:

لا، لم أكتشف ذلك. هناك اختلافات بيننا، كان يمتلك بعض الصفات التي لم تكن لدي، صفات قليلة في الواقع. لكنني لا أعرف أي واحدة هي التي انجذبت إليها زوجتي. كبشر، لا نتصرف ونحن نرسم ونخطط لكل شيء بدقة. أعني، إن العلاقات مع الآخرين - خاصة بين الرجل والمرأة - تقوم على أسس أكثر عمومية، إنها أكثر غموضاً من ذلك... أكثر أنانية.

فكرت ميساكي بالأمر قليلاً ثم قالت:

- ظللتما أصدقاء على الرغم من أنك لم تحصل على الأجوبة التي كنت تسعى خلفها؟

نزع كافوكو قبعة البيسبول مجدداً، ووضعها على حجره. ورفع يده ليدلّك أعلى رأسه وقال:

- كيف يمكنني قول ذلك؟ مع الأداء الجاد، يصبح من الصعب إيجاد الفرصة لإنهاء الأمر. مهما أصبح صعباً عليكِ نفسياً، يجب أن تجدي المخرج الصحيح. كما في الموسيقى حيث تصل الأغنية إلى خاتمتها بعزف النغمات بالتناغم الصحيح... أتفهمين ما أعنيه؟

أخرجت ميساكي سيجارة مارلبورو ووضعتها بين شفتيها. ما كانت لتدخن والسقف مرفوع، لذلك احتفظت بها بين شفتيها دون اشعالها.

- خلال ذلك كله، هل كان ينام مع زوجتك؟

- لا. لا، الذهاب إلى ذلك الحد كان ليكون أمراً... مصطنعاً بوضوح. أصبحنا صديقين بعد وفاتها بفترة قصيرة.

- هل كان صديقك حقاً؟ أم أنه كان مجرد أداء؟

فكر كافوكو في سؤالها قليلاً وقال:

- الاثنان معاً. لكن بمرور الوقت، تلاشت الحدود بالنسبة لي، لأن ذلك ما يعنيه الأداء الحقيقي.

كان كافوكو يكن إعجاباً شخصياً للرجل منذ فرصة لقائهما الأول. اسمه تاكاتسوكي. كان طويلاً ووسيماً، من ذلك النوع المحبب. في بداية الأربعينات من عمره. لم يكن بارعاً كممثل بما أنه لم يكن مميزاً بأي شكل، الأمر الذي قلص الأدوار التي يمكنه تأديتها. عادة ما يؤدي دور الرجل الطيب. كان شكل وجهه مريحاً عند النظر إليه، مع ميل طفيف للكآبة. وهو ما يعجب نساء منتصف العمر كثيراً. رآه كافوكو في غرفة الانتظار بأحد الاستديوهات بعد وفاة زوجته بستة أشهر.

اقترب تاكاتسوكي منه ليعرفه بنفسه وليقدم تعازيه على وفاتها. أوضح له تاكاتسوكي أنهما عملا معاً في أحد الأفلام، وذكر أنها كانت امرأة لطيفة للغاية. تقبل كافوكو تعازيه. وفقاً للترتيب الزمني - على حد علم كافوكو - كان تاكاتسوكي الأخير في قائمة الرجال الذين أقامت زوجته علاقات معهم. بعد نهاية علاقتها معه بقليل، دخلت المستشفى وأجرت بعض الفحوصات، واتضح أنها في مرحلة متقدمة من الإصابة بسرطان الرحم.

قال كافوكو:

- لدي طلب، لو تكرمت.

- بكل تأكيد، ما هو؟

- إن لم تكن تمانع، أتمنى أن تمنحني بعضاً من وقتك. أود أن أسأل عن بعض ذكرياتك مع زوجتي، ونحتسي شراباً ربما؟ كثيراً ما كانت تتحدث عنك.

تفاجأ تاكاتسوكي، إلا أن كلمة ***"صُدِم"*** قد تكون أفضل لوصف ردة فعله. انعقد حاجباه الجميلان، ونظر بترقب إلى وجه كافوكو، كما لو أن طلبه الذي يبدو بريئاً يخفي نوايا أخرى. إلا أن تاكاتسوكي لم يلحظ أي علامة على وجود دوافع خفية. بل أن كافوكو بدا أكثر تأثراً، وعلى وجهه تعابير من فقد شريكة حياته مؤخراً.

أضاف كافوكو:

- فقط أريد أن أستمع إلى شخص آخر يتحدث عنها، يصعب عليّ أن أكون وحيداً طوال الوقت. مع إنني لا أريد أن أشعرك بأنك مجبر على الحديث معي.

استرخى تاكاتسوكي ظاهرياً عندما سمع توضيح كافوكو، الذي بدا وكأنه ليست لديه أي شكوك فيما يختص بعلاقة تاكاتسوكي بزوجته.

- لا، لن تكون مشكلة إطلاقاً، سيكون ذلك من دواعي سروري. مع أنني أخشى ألا أكون متحدثاً بارعاً.

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه تاكاتسوكي، وحول عينيه تجاعيد صغيرة. قال كافوكو لنفسه، لديه ابتسامة ساحرة، كانت لتجعل أي امرأة في منتصف العمر تحمر لها خجلاً.

تفقد تاكاتسوكي جدوله الاسبوعي وقال:

- ليس لدي أي شيء مساء الغد إن كان ذلك يناسبك. ألديك أي خطط؟

قال كافوكو إنه متفرغ أيضاً. إجمالاً، كان كافوكو معجباً بالشفافية التي بدا عليها تاكاتسوكي. عندما نظر داخل عينيه، شعر وكأنه قادر على قراءة جميع أفكاره. بدا له كرجل لا يعرف المراوغة أو الحقد وتعمد الأذى للآخرين - من النوع الذي يقف بجانب حفرته ليسقط فيها العابرون.

سأل تاكاتسوكي:

- إلى أين سنذهب؟

- قرر أنت، سنذهب أينما تريد.

ذكر تاكاتسوكي اسم بار شهير في غيزا. وقال أنهما لو حجزا مقصورة يمكنهما الحديث براحتهما دون أن يسمعهما أحد. كان كافوكو يعرف المكان. تصافحا، وسار تاكاتسوكي مبتعداً. كانت يد تاكاتسوكي ناعمة ذات أصابع طويلة ورشيقة، كما كانت راحة يده دافئة، وربما رطبة قليلاً بسبب العرق. كان متوتراً على الأرجح.

جلس كافوكو بعد مغادرته، فتح يده أمامه وأخذ يحدق بها. كان لا يزال يشعر براحة يد تاكاتسوكي على يده. قال لنفسه: ***"اليد والأصابع نفسها التي داعبت جسد زوجتي العاري. لابد أن يديه لامستا كل بوصة من جسدها برقة و لطف."*** أغمض عينيه، أخذ نفساً عميقاً، وتساءل عما يحاول فعله تحديداً. ثم قرر أن هناك شيء واحد عليه أن يفعله مهما كانت العواقب.

أثناء جلوسه في البار وإلى جانبه كأس من الويسكي، أدرك كافوكو شيئاً، أن تاكاتسوكي لا يزال يحب زوجته بعمق، وأنه قد استوعب موتها للتو، وأن كل ما تبقى منها هو العظام والرماد. كان بإمكان كافوكو أن يتفهم ذلك الشعور. أثناء استعادة الذكريات عن زوجته، لاحظ أن عيني تاكاتسوكي تكاد تترقرق بالدموع، لدرجة أنه شعر غريزياً بالرغبة في تقديم تعازيه إليه. لم يكن تاكاتسوكي من صنف الرجال القادرين على الاحتفاظ بمشاعرهم لأنفسهم. وبدا من النوع الذي قد يعترف بكل شيء تحت أقل ضغط.

من الطريقة التي تحدث بها تاكاتسوكي، بدا أن زوجته هي التي أنهت علاقتهما. على الأرجح أنها قالت له أنه من الأفضل أن يفترقا. ولم تتصل به ثانية. على حد علم كافوكو، إن علاقاتها الرومانسية (إذا كان يمكنه أن يطلق عليها ذلك) كانت تدوم لعدة أشهر، ثم تقترح هي

الانفصال لتفادي إطالة العلاقة أكثر من ذلك. ويبدو أن تاكاتسوكي لم يكن مستعداً لإنهاء العلاقة بسهولة، ولابد أنه قد أراد لنفسه مكاناً دائماً في حياتها.

عندما وصل السرطان مرحلته النهائية، أدخلت أحد مراكز العناية. اتصل تاكاتسوكي بها راغباً في زيارتها لكنه لم يتلق سوى الرفض القاطع. بعد دخولها إلى المستشفى لم يزرها سوى أشخاص قليلين. الذين كانوا مسموحاً لهم بدخول غرفتها عدا الكادر الطبي بالمستشفى، كانوا أمها وشقيقتها وكافوكو. بدا تاكاتسوكي مغتماً لعدم تمكنه من زيارتها ولو لمرة واحدة. لابد أن خبر إصابتها بالسرطان كان صاعقاً بالنسبة له، بما أنه سمع به قبل أسابيع قليلة من وفاتها. ولم يكن قد تقبل ما حدث بعد. تفهم كافوكو مشاعره، مع أن عواطفهما كانت مختلفة قليلاً بالطبع. ظل كافوكو إلى جوار زوجته خلال وفاتها على امتداد أسابيع وهي تصير شبحاً لما كانت عليه في السابق، وفي النهاية كان هو الذي انتشل العظام من رمادها بعد حرقها. لذلك، كان قد تجاوز مرحلة قبول حقيقة وفاتها. وهو ما شكل فارقاً كبيراً بينهما.

حَدّث كافوكو نفسه وهما يجتران الذكريات: ***"أكاد أشعر وكأنني الذي أواسيه"***. وتساءل عما كانت ستقوله إذا رأتهما هكذا. اعتبر كافوكو المقدرة على التفكير وعدم الشعور بأي شيء من أهم إيجابيات الموت.

فهم كافوكو شيئاً آخر أيضاً، كان تاكاتسوكي يميل للإسراف في الشراب. بطبيعة عمله، عاشر كافوكو مختلف أنواع الشاربين ***"ما السر وراء إسراف الممثلين في الشراب؟"*** وفي رأيه أن شراب تاكاتسوكي لم يكن معقولاً أو صحياً. أعتقد كافوكو أن هناك نوعين من الشاربين: هؤلاء الذين يشربون ليضيفوا شيئاً إلى أنفسهم، وأولئك الذين يشربون لإزالة شيء من دواخلهم. وكان من الواضح أن تاكاتسوكي ينتمي إلى النوع الأخير.

لم يكن كافوكو متأكداً مما كان يهرب منه تاكاتسوكي - ربما ضعف في شخصيته، أو ألم عاطفي من الماضي، أو حتى مشكلة يمر بها حالياً. أياً كان الأمر، هناك ما يسعى تاكاتسوكي لنسيانه قدر الإمكان. وكان يشرب لتخفيف أو نسيان الآلام التي يشعر بها. كان يشرب أكثر من كافوكو بمرتين ونصف، وكان ملتزماً بهذا المعدل. أو ربما يعزى إسرافه في الشراب إلى أسباب وقتية، لمَ لا؟ رغم كل شيء، فهو كان يجلس قبالة زوج المرأة التي أقام معها علاقة غير مشروعة. أن يكون مسترخياً تماماً هو ما كان ليبدو غريباً. مع ذلك، لم يكن كافوكو مقتنعاً بأن واحداً من هذه الأسباب يبرر سلوك تاكاتسوكي تماماً. لابد أنه – ببساطة - رجل غير قادر على الشرب بطريقة أخرى.

ظل كافوكو يشرب بحذر، وهو قلق على سلامة تاكاتسوكي. مع تزايد عدد الكؤوس، تبدد التوتر البادي على نديمه، وتطرق كافوكو لحياة تاكاتسوكي الشخصية. كان متزوجاً منذ عشر سنوات، ولديه ابن في السابعة، لكنه كان يعيش منفصلاً عن زوجته لحوالي عام. ويتوقع أن يقع الطلاق بينهما في المستقبل القريب. وقد تنبأ بالكثير من الشد والجذب بينه و بين زوجته للحصول على الوصاية الكاملة على ابنهما. قال إنه مهما حدث، فإن ابنه جزء هام من حياته، وأنه بحاجة إلى رؤيته دون شروط. ثم أخرج لكافوكو صورة لفتى مهذب جميل الملامح.

كلما ازداد شرب تاكاتسوكي، تحدث بأريحية أكثر. بدا أن هذا الممثل أكثر عرضة للحديث أكثر من اللازم وتوفير أجوبة دون طرح أسئلة. تحول دور كافوكو إلى مستمع يؤمي ويصدر همهمات توحي بالتجاوب عند الضرورة، وهو يجمع المعلومات عن علاقة الرجل بزوجته خلال ذلك.

على الرغم من أن الإعجاب بتاكاتسوكي كان جزءاً من الأداء، إلا أنه كان جزءاً سهلاً. لطالما كان كافوكو مستمعاً جيداً، وهو في الحقيقة لم يضمر أي ضغينة تجاه تاكاتسوكي. كما كان لديهما أمراً

هاماً مشتركاً بينهما، كانا لا يزالان يحبان المرأة نفسها، على الرغم من أن الرابط المشترك الذي جمعهما كان مثقلاً بمدى اختلاف وجهات نظرهما عن الأمر. كان أمامهما الكثير ليتحدثا عنه.

قال كافوكو وهو يهم بالنهوض لمغادرة البار:

- تاكاتسوكي، إن لم تكن تمانع، أيمكننا الالتقاء مجدداً؟ لقد استمتعت بالحديث معك، وبصراحة، مرت فترة منذ استمتاعي بالحديث مع أحدهم.

ثم قام بتسديد الفاتورة التي بدا تاكاتسوكي غير واعٍ لوجودها أو الحاجة لتسديدها. جعله الشراب ينسى الكثير من الأشياء الهامة.

قال تاكاتسوكي، وهو ينظر من فوق كأسه:

- بالطبع. سأكون سعيداً بذلك. أشعر وكأن حملاً ثقيلاً أزيح عن كاهلي بالحديث معك.

- لابد أن القدر جعلنا نلتقي هكذا، زوجتي الراحلة جمعتنا معاً.

كان تصريح كافوكو صحيحاً من عدة أوجه.

تبادلا أرقام الهواتف وتصافحا قبل أن يفترقا.

هكذا أصبحا صديقين، كنديمي شراب تآلفت روحاهما. بقيا على اتصال وذهبا إلى بارات مختلفة في أرجاء المدينة حيث كانا يتحدثان دون غرض محدد. ودائماً ما كانا يذهبان إلى أماكن تقدم الشراب فقط، ولم يتناولا وجبة معاً قط. لم يرَ كافوكو تاكاتسوكي يأكل شيئاً سوى وجبات البار الخفيفة خلال فترة صداقتهما، وقد جعل ذلك كافوكو يتسائل ما إذا كان تاكاتسوكي يأكل طعاماً لائقاً أصلاً. باستثناء الجعة التي كان يشربها من حين لآخر، لم يشرب تاكاتسوكي سوى الويسكي.

تنوعت مواضيع أحاديثهما، لكنهما حتماً يعودان إلى وفاة زوجة كافوكو. عندما يسرد كافوكو القصص عن الفترة التي أمضياها قبل

سنوات، ينصت تاكاتسوكي بجد، كأنه يقوم بجمع واختزان الذكريات. لم يجد كافوكو في ذلك غضاضة. في الواقع، استمتع بسرد قصصه.

ذات مساء، كانا يشربان في أيوما، في مكان متواضع يقع على شارع صغير خلف متحف نيزو. كان الساقي رجلاً هادئاً في حوالي الأربعين من عمره. تنام قطة رمادية هزيلة على أحد الأرفف في الركن، كانت قطة ضالة وقد اتخذت من ذلك منزلاً لها. قام الساقي بتشغيل اسطوانة جاز قديمة. استمتع كلاهما بأجواء البار، وقد ذهبا إليه معاً عدة مرات. مع أنه في كل مرة يذهبان فيها، كانت تمطر. وكأنما بإشارة ما، بدأ المطر يهطل بالخارج.

قال تاكاتسوكي، وهو يحدق في يديه على الطاولة. كانتا يدين جميلتين بالنسبة لرجل يقترب من منتصف العمر، بأظافر مصقولة ودون تجاعيد بادية للعيان:

- كانت امرأة رائعة حقاً. لابد أنك كنت سعيداً، أن تكون مع امرأة مثلها، وتعيش معها؟

- نعم، لابد أنني كنت سعيداً، كما تقول. لكن السعادة التي حظيت بها، كانت ترافقها مخاطرها أيضاً.

- أي نوع من المخاطر؟

رفع كافوكو رأسه، وهو يدير مكعبات الثلج بداخلها. وقال:

- كنت أعلم أنني قد أفقدها في مرحلة ما. مجرد تخيل ذلك كان يشعرني بانقباض في صدري.

- يمكنني تفهم ذلك تماماً.

- بأي طريقة؟

- حسناً.

قال تاكاتسوكي وهو يبحث عن الكلمات المناسبة:

- عن الخوف من فقدان شخص رائع كزوجتك.

- ليس عن تجربة شخصية، أليس كذلك؟

- لا.

قال تاكاتسوكي وهو يهز رأسه، وكأنه يحاول إبعاد ذكرى ما ثم واصل:

- إنه وضع يمكنني تخيل نفسي فيه.

لم يقل كافوكو شيئاً وهو يحاول إطالة الصمت قدر المستطاع. ومن ثم عاد ليواصل:

- لكن رغم كل شيء، أنا الذي فقدتها، تدريجياً خلال الأسابيع الأخيرة من حياتها، وأخيراً عندما رحلت. كأنها تآكلت تدريجياً بمرور الوقت. ثم أخيراً أُقتلعت من جذورها وجُرفت بعيداً. لست متأكداً من أنك تعرف ما يعنيه ذلك.

- أعتقد أنني أتفهم ذلك.

قال كافوكو مع نفسه: ***"لا، ليست لديك أدنى فكرة عما أعنيه."***

وقال لتاكاتسوكي:

- أصعب ما في الأمر كله أنني... كان هناك جانب منها، على الأرجح جانب مهم منها، لن يتسنى لي فهمه أبداً. وبما أنها قد توفيت، فلن أكتشفه ما حييت. كصندوق مزود بقفل مخبأ في أعماق المحيط. عندما أتذكر هذا، أشعر به كألم جسدي فعلي.

فكر تاكاتسوكي قليلاً. ثم قال:

- لكن يا كافوكو - سان، لا يصح أن نتوقع أن نفهم أحدهم تماماً. حتى ولو كنا نحبه بعمق، أليس كذلك؟

- كنت أعتقد أننا مقربان بعد العيش معاً قرابة العشرين عاماً. ظننت أننا نثق ببعضنا البعض كأصدقاء، وكزوج وزوجة. ظننت أننا كنا نتحدث بصراحة وانفتاح عن كل شيء، كان هذا انطباعي على الأقل. ربما لم تكن الأمور كذلك. لست متأكد كيف أشرح الأمر، لكن... ربما كنت أعيش ولدي بقعة عمياء.

- بقعة عمياء؟

- إنني على الأرجح أغفلت رؤية جانب هام منها، شيء كان تحت بصري، لكنني لم أتعرف عليه على حقيقته.

عضّ تاكاتسوكي شفته السفلى. أنهى شرابه وطلب آخر من الساقي. وقال:

- أعرف ما تعنيه.

حدق كافوكو به، والتقت نظراتهما لبرهة ثم أشاح تاكاتسوكي بوجهه بعيداً.

سأله كافوكو بهدوء:

- كيف تعرف ما أعنيه؟

جاء الساقي يحمل كأساً من الويسكي مع الثلج لتاكاتسوكي.

- كيف تعرف ما أعنيه؟

أعاد كافوكو سؤاله بعد انصراف الساقي.

فكر تاكاتسوكي ملياً. ارتعشت عيناه قليلاً. خمن كافوكو أن تاكاتسوكي غير متأكد مما سيقوله بعد ذلك، وأنه كان يعاني من حاجة ماسة للتحرر من عبئه. لكنه أخيراً تمالك نفسه وقال:

- لا يمكننا أن نفهم ما يدور في رأس امرأة ما إطلاقاً، أليس كذلك؟ هذا كل ما أريد قوله. وهذا ينطبق على أي امرأة. لذلك لا أعتقد أنها مسألة بقعة عمياء تعاني منها أنت فقط، جميعنا يتعايش مع بقع عمياء، ولا أظن أنك بحاجة لأن تقسو على نفسك.

فكر كافوكو بما قاله تاكاتسوكي وقال:

- إنك ما زلت تعمم.

أقر تاكاتسوكي:

- أنتَ محق.

- إنني الآن أتحدث عن زوجتي المتوفية، وأفضّل ألا تعمم الموضوع.

ظل تاكاتسوكي صامتاً للحظة، ثم قال:

- أعرف أن زوجتك كانت امرأة رائعة للغاية. ما أعرفه عنها لا يداني واحداً بالمائة مما تعرفه أنت. لكنني أعرف من كانت. ومهما حدث، يجب أن تكون ممتناً لأنك أمضيت عشرين عاماً من حياتك مع امرأة مثلها. هذا ما أؤمن به حقاً. لكن مهما ظننت أنك قد فهمت شخصاً آخر ومهما أحببته، يستحيل أن تحظى بنظرة جليّة إلى ما بداخل قلبه، يمكنك أن تحاول، لكن سينتهي بك المطاف وأنت تسبب الألم لنفسك. يمكننا رؤية ما بداخل قلوبنا فقط، ولن يتسنى لنا ذلك إلا إذا عملنا جاهدين وتحلّينا بالعزيمة الصادقة. لذلك، في النهاية، فإن الامتياز الوحيد المكفول لنا هو أن نتصالح مع أنفسنا تماماً، ونتقبل ما نحن عليه بصدق. وإذا كنت حقاً ترغب في مراقبة الآخرين، فإن خيارك الوحيد هو أن تنظر إلى نفسك بعمق وبتجرد. هذا ما أؤمن به.

بدت الكلمات وكأنها تنبعث من هوة سحيقة بداخل الشخص الجالس إلى جانب كافوكو. خلال تلك اللحظة، فُتح باب كان مختفياً من قبل، ورددت الكلمات صدى روحه. إنه لم يكن أداءاً، على الأقل بما أن تاكاتسوكي لم يكن قادراً عليه. نظر كافوكو إلى داخل عينيه، هذه المرة بادله تاكاتسوكي النظرات بحزم. وفي النهاية، أعترف كلاهما بشيء في الآخر ونظر بعيداً.

تصافحا مجدداً عند افتراقهما. كانت السماء ترسل زخات من المطر. بعد مشاهدة معطف المطر الخاص بتاكاتسوكي يختفي في الظلام، فكر كافوكو كعادته في راحة يده، واستدعى تلك الفكرة مجدداً، "تلك اليد التي داعبت جسد زوجتي العاري. الإحساس بالقهر والمرارة الذي دائماً ما كان يرافق تلك الفكرة، لم ينشأ لديه. قال مخاطباً نفسه: ***"أظن أن هذا وارد الحدوث. أظن أن مثل هذه الأشياء تحدث. إنه كان جسدها فحسب رغم كل شيء. وعلى أي حال، أليس هو عبارة عن رماد وعظام الآن؟ هناك أشياء أكثر أهمية. هل أفترض أن تلك كانت بقعتي العمياء؟ ثم ألسنا جميعاً نعيش مع نفس البقعة العمياء؟*** " كانت الكلمات التي قالها تاكاتسوكي تدوي داخل أذني كافوكو.

- هل ظللتما أصدقاء لفترة طويلة؟

سألت ميساكي وهي تحدق في صف السيارات أمامها.

- لحوالي ستة أشهر، نلتقي لنتناول شراباً ربما مرتين في الشهر. ثم توقفنا ولم أره منذ ذلك الحين. اتصل بي لكنني تجاهلته، ولم أتصل به ثانية.

- على الأرجح سيظن أن هذا تصرف غريب منك.

- على الأرجح.

- ربما تكون جرحته.

- من الممكن.

- لماذا توقفت عن لقائه؟

- لأنه لم تعد هناك أي حاجة للأداء.

- إذاً، لأنك لم تعد بحاجة للأداء، لم يكن هناك داع لأن تكونا صديقين؟

- ربما ذلك أيضاً، لكن هناك سبب آخر.

- ما هو؟

ظل كافوكو صامتاً. نظرت ميساكي إليه والسيجارة لا تزال بين شفتيها غير مشتعلة. فقال:

- يمكنك أن تدخنيها إذا أردت.

- ماذا؟

- أشعليها إن كنت ترغبين في ذلك.

- لكن السقف مرفوع.

- لا أمانع.

أنزلت ميساكي زجاج النافذة، واشعلت المارلبورو مستخدمة مشعل السيارة. ضاقت عيناها باسترخاء وهي تجذب نفساً عميقاً. حبست الدخان للحظة قبل أن تنفثه ببطء خارج النافذة.

قال كافوكو:

- يمكنها أن تكون قاتلة، كما تعرفين.

- بالحديث عن ذلك، الحياة تميل لأن تكون قاتلة.

- ابتسم كافوكو وقال:

- أظن ذلك.

- إنها المرة الأولى التي أراك فيها تبتسم.

قال لنفسه: "بما أنها ذكرت الأمر، فقد كانت محقة على الأرجح. فقد مر وقت طويل منذ أن ابتسمت خارج أداء."

قال كافوكو:

- أردت أن أقول لك هذا منذ فترة، سوف تبدين جميلة إذا اعتنيتِ بمظهرك. لستِ قبيحة بأيِ حال.

- شكراً لك، لكنني لست من النوع الجذاب. مثل سونيا.

التفت إليها متفاجئاً:

- هل قرأت مسرحية (الخال فانيا)؟

- كنت تقرأ فقرات منها بصوت عال يومياً، وبالطبع أردت أن أعرف ما تتحدث عنه القصة. يمكنني أن أكون فضولية أيضاً.

وأردفتْ:

- ***"آه! كم هو فظيع أن أكون غير جذابة. لماذا ولدت غير جذابة هكذا؟ لماذا كُتب لي هذا القدر؟"*** إنها ليست مسرحية سعيدة.

قال كافوكو: إنها حزينة قليلاً. ***"آه، يا إلهي، أنا في السابعة والأربعين من عمري. وقد أعيش حتى الستين، لا تزال لدي ثلاثة عشرة عاماً أخرى، حياة أبدية! كيف سيمكنني تحمل هذه الحياة لثلاثة عشرة عاماً؟ ماذا عساي أن أفعل؟ كيف يمكنني عيشها؟"*** كان الناس يموتون في حوالي الستين من أعمارهم في ذلك الوقت. كان الخال فانياً محظوظاً لأنه لم يولد هذه الأيام.

- كنت أبحث عنك. في الواقع، أنت في نفس عمر أبي.

لم يرد كافوكو، أخذا عدداً من أشرطة الكاسيت ونظر إلى رقعاتها، باحثاً عن أغنية معينة. في النهاية، تردد بشأن تشغيل أي شيء. نقلت ميساكي يدها اليمنى وأمسكت بها خارج النافذة. بدأ صف السيارات بالتحرك. أدخلت ميساكي يدها واستخدمت كلتا يديها في تغيير ناقل السرعة وهي تضع السيجارة بين شفتيها.

اعترف كافوكو:

- لأقول لك الحقيقة، كنت أفكر في معاقبته بطريقة ما، فهو - رغماً عن كل شيء - قد عاشر زوجتي.

ثم أعاد أشرطة الكاسيت إلى مكانها.

- معاقبته؟

- خططت لجعله يعاني بطريقة ما، أجعله يتخلى عن دفاعاته بالتظاهر بأنني صديقه، ثم أجد لديه نقطة ضعف وأستغلها لأذيته.

عبست ميساكي للفكرة:

- أي نوع من نقاط الضعف؟

- لم أصل إلى هذا الحد. لكنه كان من نوع الذين يتخلون عن حذرهم عندما يشربون، لذلك كان بإمكاني أن أفكر في أمر ما. من السهل أن أتسبب له في مشكلة ما قد تدمر مصداقيته الاجتماعية. وإذا حدث ذلك، كان بلا شك ليفقد الوصاية الكاملة على ابنه بعد الطلاق. أتخيل أنه كان ليجد مشقة في التعامل مع ذلك، وقد لا يتجاوز محنته أبداً.

- هذا فظيع.

- نعم، إنه كذلك.

- إذاً، أردت أن تنتقم منه لأنه أقام علاقة مع زوجتك؟

- ليس انتقاماً بالمعنى الدقيق للكلمة. فأنا مهما حاولت، لم استطع إبعاد ما حدث عن ذهني، وقد عانيت أيما معاناة وأنا أحاول نسيانه، لكن دون جدوى. لم أتمكن من تحرير نفسي من صورة ذراعي رجل آخر وهما تحيطان بزوجتي، ما زالت تلك الصورة تتشبث بمخيلتي بكل قوة، كشبح في جميع أركان الغرف، يراقبني أينما ذهبت. ظننت أن هذا الشعور سيختفي بمرور الوقت بعد وفاتها، لكنه لم يختفِ. وفي الواقع، صار أقوى من ذي قبل. شعرت بالحاجة للتخلص من هذا الغضب بطريقة ما.

تساءل كافوكو، لماذا يعترف بهذه الأشياء لفتاة في مثل عمر ابنته، من بلدة تاكاتونبيستو، هوكايدو. إلا أنه ما أن بدأ الحديث وجد أنه غير قادر على التوقف.

قالت ميساكي:

- ولذلك أردت معاقبته؟

- نعم.

- لكنك لم تفعل له شيئاً في الواقع.

- صحيح.

بدا أن ميساكي شعرت بالارتياح لجوابه. جذبت نفساً قصيراً من السيجارة، وألقت بها من النافذة وهي لا تزال مشتعلة.

- لا أعرف لماذا، لكن في مرحلة ما، توقفت فجأة عن الاهتمام بالأمر. وكأن الشبح الذي كان يلازمني اختفى فجأة. ولم أعد أشعر بالغضب. ربما لم يكن غضباً بل شيئاً آخر.

- أياً كان، ينبغي أن تكون مسروراً لأنك أنهيت صداقتكما، ولم تؤذ ذلك الرجل.

- نعم، أعلم.

- لكنك لا زلت لم تكتشف لماذا رغبت زوجتك في ممارسة الجنس مع رجل آخر، ***ومع ذلك الرجل تحديداً***، أليس كذلك؟

- لا، لا أعتقد ذلك. بقيت المشكلة بلا حل. كان مجرد عشيق لطيف ليس لديه شيء سوى ابتسامته. مع ذلك، بدا لي وكأنه أحب زوجتي بصدق، ولم يكن يعبث فحسب. كان مصدوماً عندما سمع بوفاتها، وقد آلمه رفضها لزيارته في المستشفى. لم يكن بوسعي سوى أن أعجب بالرجل، يكفي أنه لم يكن لدي مانع لمصادقته.

توقف كافوكو ليراجع نفسه، ولإيجاد الكلمات التي تقترب من الحقيقة قدر الإمكان.

- لكن، بصراحة، أنه لم يكن رجلاً بمعنى الكلمة. ربما يكون وسيماً، ولديه ابتسامة جذابة، وشخصية لطيفة ولين العريكة. لكنه ليس ذلك الشخص الذي يجبرك على احترامه - كانت لديه نواحي ضعف واضحة، وكان ممثلاً من الدرجة الثانية. وزوجتي من ناحية أخرى، كانت امرأة ذات عزيمة، وناضجة عاطفياً مقارنة به. لماذا اختارت أن تنجذب لرجل عديم الفائدة مثله رغم ذلك؟ يؤرقني التفكير في ذلك كشوكة في خاصرتي.

- بطريقة ما، يبدو الأمر وكأنه إهانة موجهة إليك. أهذا ما تعتقده؟

تأمل كافوكو في ما قالته قليلاً، ثم أقرّ بفكرتها وقال:

- قد يكون الأمر كذلك بالفعل.

قالت ميساكي بصراحة:

- كافوكو - سان، لا أعتقد أن زوجتك كانت معجبه به على الأطلاق، لذلك أقامت معه علاقة.

نظر كافوكو إليها وكانه يحدق في منظر طبيعي بعيد. قامت بتشغيل المساحات لإزالة بعض قطرات المطر من الزجاج، اصدرت المساحات صريراً حاداً وهي تحتك بالزجاج كأطفال يصرخون باحتجاج.

اردفت ميساكي:

- إنه أمر قد تفعله أي امرأة.

لم يجد كافوكو كلمات ليقولها.

- هذا النوع من السلوك، إنه كمرض يا كافوكو - سان. إنه ليس أمراً يمكنك فهمه. كهجران والدي لنا، وتحويل أمي حياتي إلى جحيم لا يطاق. ليس هناك جدوى من محاولة الفهم. عليك أن تتعايش مع الأمر فحسب. كفكف دموعك، تصالح مع نفسك وتجاوزه.

قال كافوكو:

- إذاً نواصل الأداء فحسب؟

- هذا ما أراه، بطريقة أو بأخرى.

غاص كافوكو في مقعده الجلدي، أطبق جفنيه وركز حواسه على نقطة ما. حاول أن يعرف متى تغير ميساكي السرعات، لكن ذلك ما زال مستحيلاً. تحكمها في غاية السلاسة. كان هناك تغيير في صوت المحرك، لكنه طفيف جداً، كحشرة طائرة تقترب ثم تنسحب بعيداً.

قرر أن يغفو قليلاً - ربما عشرة أو خمسة عشرة دقيقة - ثم يستيقظ، ويعتلي المسرح ليؤدي مرة أخرى. يقف تحت الأضواء ويقول عباراته. الجمهور يصفق له. يسدل الستار. تتاح له الفرصة أن يصبح غريباً لبعض الوقت ثم يعود إلى ذاته، مع إنه لن يعود الشخص نفسه الذي تركه خلفه.

أومأ كافوكو:

- سأنام قليلاً.

واصلت ميساكي تركيزها على الطريق. وكان كافوكو ممتناً للهدوء.

# الصمت

# (The Silence)

إلتفتُ إلى أوزاوا وسألتُه:

- هل سبق ولكمت شخصاً في مشاجرة؟

- لماذا تسألني عن شيء كهذا؟

ضيق أوزاوا عينيه وهو ينظر إلي. بدت النظرة غير متناسبة مع شخصيته. وكأنما هناك ضوء باهر مفاجيء يراه هو فقط، لكنه سرعان ما تلاشى، فعادت إليه تعابيرة السلبية المعتادة.

قلت له: "ليس ثمة سبب معين، مجرد فكرة عابرة، لم أقصد بها شيئاً، بدافع الفضول فحسب. سؤال لا مسوغ له إطلاقاً، على الأرجح". واصلت حديثي مغيراً الموضوع، لكن أوزاوا لم يتجاوب معي، بدا شارداً في مكان ما مع أفكاره. يئست من محاولات استدراجه للحديث وأخذت أحدق في صفوف الطائرات الفضية خارج النافذة.

لا أعرف كيف أُثير الموضوع، كنا نبدد الوقت في انتظار طائرتنا، وشرع في الحديث عن ارتياده لصالة رياضية خاصة بالملاكمة منذ أن كان بالمدرسة المتوسطة. واختياره لتمثيل جامعته في مباريات الملاكمة أكثر من مرة. وحتى اليوم، بعمر الحادية والثلاثين، لا يزال يذهب إلى الصالة الرياضية كل اسبوع.

تمكنت من تصور ذلك بالكاد. فهو رجل أعرفه حق المعرفة، وتعاملت معه كثيراً، لم يخطر لي قط أن يكون ذلك الملاكم العدواني العنيف لقرابة العشرين عاماً. كان الرجل هادئاً على نحو فذ. لا يتحدث إلا لماماً. مع هذا، فقد كان يتسم بالشفافية في عمله، وفي غاية الصدق والإخلاص، لا يحب أن يضغط على الآخرين، ولا يتحدث عن

الناس من وراء ظهورهم، ولا يتذمر. مهما كان مثقلاً بالعمل، لا يرفع صوته، أو حتى حاجبيه.

اجمالاً، كان أحد أولئك الذين لا تملك سوى أن تحبهم. ودود وسهل المعشر، ولا يمكنك بأي حال من الأحوال أن تصفه بالعدوانية.

أين العلاقة بين رجل كهذا، والملاكمة؟ ولماذا بدأ ممارسة الملاكمة في المقام الأول؟ لهذا سألت ذلك السؤال.

كنا نحتسي القهوة في مقهى المطار، في انتظار رحلتنا إلى نيغاتا. كنا في بداية نوفمبر، والسماء ملبدة بالغيوم. وكان الثلج يهطل في نيغاتا وتتأخر الطائرات. المطار يعج بالمسافرين الذين يتحركون جيئة وذهاباً، وهم يبدون أكثر كآبة مع كل إعلان عن تأخير رحلة. كانت الحرارة مرتفعة في المقهى، وظللت أمسح عن نفسي العرق بمنديلي.

"لا، بصفة عامة" تحدث أوزاوا فجأة بعد صمت طويل، "منذ أن بدأت الملاكمة لم أضرب أحداً قط، يشددون على ذلك منذ يومك الأول. كل من يمارس الملاكمة يجب ألا يضرب أي شخص، دون قفازات، خارج الحلبة إطلاقاً. الشخص العادي قد يتورط في مشكلة إذا ضرب أحدهم وجاءت الضربة في المكان الخاطيء، أما إذا فعل ملاكم ذلك، سيعتبر تسبيب أذى متعمد باستخدام سلاح قاتل"، أومأت.

فأردف: "لأكون صادقاً، لقد ضربت أحدهم، مرة واحدة. كنت في الصف الثامن، كان ذلك حوالي الوقت الذي بدأت فيه الملاكمة. لا أقصد تقديم الأعذار، لكن كان ذلك قبل أن أتعلم مهارة واحدة في الملاكمة. كنت لا أزال في مرحلة الإعداد البدني ، والتمدد، والقفز على الحبل، والركض، وما إلى ذلك. ما يهم هو أنني لم أقصد أن ألكمه حتى. استنشطت غضباً، وطارت يدي أمامي، ولم استطع إيقافها. وقبل أن أعي ما يحدث، ضربته طارحاً إياه أرضاً. وكان جسدي يرتعش من الغضب".

بدأ أوزاوا الملاكمة لأن عمه كان يدير صالة للملاكمة، التي لم تكن مجرد صالة تعرّق محلية، بل كانت مؤسسة لها وزنها، وقد خرّجت بطل شرق آسيا في وزن خفيف المتوسط مرتين. في الواقع، والدي أوزاوا هما من اقترحا أن يرتاد الصالة في المقام الأول. كانا قلقين على ابنهما، دودة الكتب، الذي يحتجز نفسه في غرفته على الدوام. في البداية لم يكن الفتى متحمساً للفكرة، لكنه كان يحب عمه كثيراً. وقد قال لنفسه، إذا لم يحب هذه الرياضة، فبإمكانه أن يتركها في أي لحظة. و تدريجياً، اعتاد على التنقل من وإلى صالة عمه، مسيرة ساعة بالقطار.

بعد الأشهر القليلة الأولى، تفاجأ أوزاوا نفسه بإهتمامه بالملاكمة. وقد كان أهم سبب وراء ذلك، أن الملاكمة بصفة جوهرية، رياضة فردية، وهواية تتسم بالعزلة. وقد كان هذا اكتشافاً بالنسبة له، عالماً جديداً، وقد أثار ذلك العالم حماسته. العرق المتطاير من الأجساد، ملمس القفازات والأصوات التي تصدرها، التركيز الشديد للملاكمين، وعضلاتهم المتحفزة للتحرك بسرعة البرق. شيئاً فشيئاً، استحوذت هذه التفاصيل على مخيلته. وأصبح قضاء عطلات نهاية الإسبوع في صالة الملاكمة من دواعي سروره.

"من الأشياء التي أحبها بشأن الملاكمة، هو العمق. هذا ما أسرني. بالمقارنة مع ذلك، الضرب والتعرض للضرب ليس أمراً هاماً. الأمر نفسه ينطبق على الفوز أو الخسارة. إذا تمكنت من الوصول إلى ذلك العمق، الخسارة لا تهم، لن يضيرك شيء. وعلى أي حال، لا أحد يمكنه الفوز بكل شيء، على أحدهم أن يخسر. هذه - على الأقل بالنسبة لي - هي الملاكمة. عندما أخوض مباراة، أشعر وكأنني في قعر حفرة لا قرار لها، عميقاً جداً لدرجة أنني لا استطيع أن أرى أي أحد، ولا أحد يمكنه أن يراني. هناك في لجة الظلمات، أخوض معركتي. وحيداً تماماً. لكنني لست وحيداً بصورة حزينة، هناك أنواع مختلفة من الوحدة، هناك الوحدة المأساوية التي تمزق روحك من الألم، وهناك الوحدة التي لا تشبه تلك إطلاقاً. من أجل بلوغ تلك

المرحلة، عليك استنفار كامل طاقات جسدك. إذا بذلت الجهد المطلوب، ستستعيد ما بذلته. هذا ما تعلمته من الملاكمة"

توقف أوزاوا للحظة، وواصل: "في الواقع، لم أكن أرغب في الحديث عن الأمر. حتى إنني أتمنى لو تمكنت من محو القصة من ذاكرتي تماماً. لكن لا يمكنك ذلك بالطبع. لماذا لا يمكنك نسيان ما تريد نسيانه بشدة؟"

ابتسم أوزاوا، ثم ألقى نظره على ساعته. "لا يزال لدينا الكثير من الوقت".

الشخص الذي ضربه أوزاوا كان زميل دراسة له. إسمه آوكي. كرهه أوزاوا منذ البداية، دون أن يعرف لذلك سبباً. كل ما يعرفه هو أنه كرهه منذ أن وقعت عيناه عليه. كانت أول مرة في حياته يمقت فيها أحدهم لهذه الدرجة.

قال: "لكن ذلك يحدث، صحيح؟ ربما ولو لمرة. الجميع مر بهذه التجربة، أن تبغض أحدهم دون أي سبب على الإطلاق. لست من أولئك الذين يكرهون كل شيء كراهية عمياء، لكنني أقسم إن بعض الناس يضغطون زر الكراهية لديك فحسب. إنه ليس أمراً منطقياً. لكن المشكلة هي أنه في معظم الحالات يبادلك الشخص الآخر نفس الشعور."

"ذلك الفتى، آوكي، كان طالباً مثالياً. يحرز درجات ممتازة، يجلس في مقدمة الصف، الفتى المدلل لدى الأساتذة، وما إلى ذلك. وفوق ذلك، كان يتمتع بشعبية كبيرة، لنسلم بذلك. كنا في مدرسة غير مختلطة، لكن الجميع أحبه. الجميع بإستثنائي. لم أكن أطيقه، لم أكن أطيق ذكائه، وطريقته في حل المسائل. حسناً، إذا سألتني ما الذي كان يزعجني بشأنه تحديداً، لن أعرف. الأمر الوحيد الذي كنت متأكداً منه هو أنني كنت أعرف حقيقته، وما هو عليه. كبريائه، ورائحة العجرفة النتنة التي كان يطلقها، لم أكن أطيقها. كان أمراً فسيولوجياً تماماً، كما تشعر بالنفور من رائحة جسد أحدهم. لكن آوكي كان شاباً ذكياً، وقد

عرف كيف يخفي آثار رائحته. لذلك كان معظم الفتية في الصف يعتقدون أنه لطيف ويراعي شعور الآخرين. في كل مرة أسمع فيها مدح الناس له - بالطبع ما كنت لأخالف الجميع - كنت أحترق من الداخل."

"كنت على النقيض منه في كل النواحي تقريباً. كنت فتىً هادئاً، و لم أكن بارزاً في الصف. كنت سعيداً بأن أُترك و شأني. كان لدي أصدقاء بالطبع، لكنهم ليسوا أصدقاء حقيقيين يلازمونك مدى الحياة. بطريقة ما، كنت ناضجاً بصورة تفوق سني. بدلاً من التسكع وقضاء الوقت مع الرفاق، كنت أبقى لوحدي، أقرأ الكتب، أو أستمع إلى اسطوانات أبي الكلاسيكية، أو أذهب إلى الصالة الرياضية لأسمع حديث من هم أكبر مني. مظهري كان لا بأس به. علاماتي لم تكن سيئة جداً، لكنها لم تكن رائعة. ودائماً ما ينسى الأساتذة إسمي. لذلك، كما تعرف، كنت من النوع الذي لن تتاح لك الفرصة للتعرف عليه. هذا ما كنت عليه، لا أطفو على السطح مطلقاً. ولم أخبر أي أحد عن صالة الملاكمة أو الكتب أو الأسطوانات."

"بالنسبة لآوكي، مهما فعله، فإنه كان يبدو كأوزة بيضاء في بحر من الوحل. كان نجم الفصل، آرائه تلقى التقدير، ويسيطر على كل شيء. حتي أنا نفسي اضطررت للإقرار بذلك. فقد كان حاضر البديهة بصورة مذهلة. كان قادراً على قراءة ما يدور في أذهان الآخرين، ومن ثم اعادة توجيه استجاباته لتتوافق معهم. كان يملك عقلاً لامعاً بحق. لا عجب أن الجميع كان معجباً به. الجميع باستثنائي."

"اعتقد أن آوكي كان مدركاً لرأيي فيه. فهو لم يكن ساذجاً. يمكنني معرفة أنه لم يكن مولعاً بحبي. رغم كل شيء، فأنا لم أكن غبياً أيضاً. أعني، أنا أقرأ أكثر من أي شخص آخر. لكن كما تعرف، عندما تكون شاباً تميل لإستعراض ما لديك، لذلك أنا متأكد من أنني كنت أترك الإنطباع بأنني مغرور و متعالي. كما أن عزلتي وابتعادي عن الجميع لم يساعداني على الأرجح."

"ذات مرة في نهاية الفترة الدراسية، حصلت على أعلى الدرجات في امتحان اللغة الإنجليزية. وقد كانت تلك سابقة بالنسبة لي، أن أحرز أعلى الدرجات. لكن الأمر لم يكن صدفة. كان هناك شيء أردته بشدة - لم أعد أذكر ما هو - وقد عقدت اتفاقاً مع رفاقي انني لو حصلت على أعلى درجة، فسيشترونه لي. لذلك، بدأت أذاكر دروسي بجنون. درست كل ما يمكن أن يرد في الإمتحان. وإذا وجدت بعض أوقات الفراغ كنت اراجع تصريفات الأفعال. عملياً، حفظت الكتاب بأكمله. لذلك، عندما أحرزت الدرجة الأولى، لم تكن مفاجأة بالنسبة لي، بل كان أمراً متوقعاً."

"صُعق الجميع، حتى الأستاذ. وآوكي كان مصدوماً، لطالما كان الأفضل في اللغة الإنجليزية. حتى إن الأستاذ مازح آوكي بشأن ذلك عندما أعلن الدرجات. إحمرّ وجه آوكي. على الأرجح ظن أن الجميع يضحكون عليه."

"بعد بضعة أيام، أخبرني أحدهم أن آوكي يروج شائعة عني، ذلك أنني قد غششت في الإمتحان، وإلا كيف يمكنني أن أحرز تلك الدرجة العالية؟ غلى الدم في عروقي عندما سمعت ذلك. كان يجدر بي أن أضحك ولا ألقي بالاً للأمر. لكن فتىً في السنة الأولى بالمدرسة الثانوية لا يتحلى بتلك الرصانة واللامبالاة."

"واجهت آوكي أثناء إحدى إستراحات الظهيرة. قلت له إنني أريد التحدث إليه على إنفراد، بعيداً عن الآخرين. قلت له إنني قد سمعت تلك الإشاعة، فما الذي يعنيه ذلك؟ لم يظهر سوى امتعاضه، وكأنه يقول لي، لماذا أنت مستاء هكذا؟ إذا حدث وتمكنت من إحراز أعلى درجة بضربة حظ، لماذا أتصرف بطريقة دفاعية هكذا؟ وبأي حق أتصرف بهذا الغرور على أي حال؟ رغم كل شيء، الجميع يعرف ما حدث بالفعل، صحيح؟ ثم حاول إزاحتي جانباً، على الأرجح ظاناً بما أنه ذو لياقة عالية وأطول مني قامة، لابد أنه أقوى مني. وعندها لكمت الوغد على وجهه. كان رد فعل لا إرادي تماماً. لم أدرك أنني لكمته على خده الأيسر إلا عندما سقط وارتطم رأسه بالجدار. كان

ينزف من أنفه بغزارة، ملطخاً قميصه الأبيض. تمدد في مكانه، دائخاً، غير مدرك لما حدث."

"من جانبي، ندمت على ضربي له في اللحظة التي لامست فيها قبضتي خده. ما كان يجدر بي ضربه. شعرت بالبؤس. كان فعلاً متهوراً. كما قلت، كان جسدي يرتعش من الغضب، لكنني علمت أنني قد اقترفت خطأً غبياً."

"فكرت في الاعتذار من آوكي، لكنني لم أفعل. لو كان شخصاً آخر، كنت لأعتذر على الأرجح. ببساطة لم أستطع حمل نفسي للاعتذار من ذلك البغيض. كنت آسفاً لأنني ضربت آوكي، لكنني لست آسفاً بما فيه الكفاية لأقول إنني آسف. لم أشعر بذرة من تأنيب الضمير تجاه الفتى. الحمقى أمثاله يستحقون اللكم. كان دودة، والدود يتعرض للسحق. مع ذلك، ما كان يجدر بي ضربه. وتلك حقيقة كنت أعرفها بيني وبين نفسي، لكنني عرفتها متأخراً. تركت آوكي ممدداً في مكانه وسرت مبتعداً."

"بعد تلك الاستراحة، لم يظهر في الصف، ظننت أنه قد ذهب مباشرة للمنزل. لكن لبقية اليوم، نهشتني مشاعر مريعة، لم استطع الاستماع للموسيقى، أو القراءة، لم استطع الاستمتاع بأي شيء. شعرت وكأن هناك مادة عكرة تتخثر في أحشائي، ولا استطيع التركيز بسببها. وكأنني ابتلعت شيئاً لزجاً وقذراً. تمددت في الفراش أحدق في قبضتي. وقد بدأت استوعب كم كنت وحيداً. كرهت آوكي أكثر لأنه جعلني أدرك ذلك."

"منذ اليوم التالي، أصبح آوكي يتجاهلني. يتصرف وكأنني غير موجود. واستمر في احراز اعلى الدرجات في الامتحانات. أما أنا فلم أدرس بجد بعد ذلك قط. لم يكن بوسعي تصور الفرق الذي قد يحدثه ذلك. انخرطت في التمارين بقوة. كنت أحرز تقدماً كبيراً بالنسبة لفتى بالسنة الأولى بالمدرسة الثانوية. كنت أشعر بجسدي يتغير، كتفاي

يصبحان أعرض، انتفخ صدري قليلاً، وأصبح ذراعاي أكثر صلابة. راودني احساس رائع. كنت أقف أمام المرآة الكبيرة في الحمام كل ليلة، مفتوناً بجسدي."

"في السنة الدراسية التالية، لم أكن مع آوكي في نفس الصف. وكنت سعيداً لأنني لن أكون مضطراً لرؤيته كل يوم، وكلّي ثقة بأن الشعور كان متبادلاً. لذلك اعتقدت انني سأنسى المسألة برمّتها كذكرى سيئة. لكن الأمر لم يكن بتلك البساطة. يبدو أن آوكي كان يتحين الفرصة ليحصل على انتقامه. كان السافل يطفح بالحقد."

"تقدمنا في الصفوف، لكن في فصول مختلفة. حتى العام الأخير. يا إلهي! كان شعوراً مريراً عندما تقابلنا وجهاً لوجه في ذلك الفصل. شعرت بالنظرة التي رمقني بها وكأنها تمزق أحشائي، وتلك المادة اللزجة تتسرب مني مجدداً."

زمّ أوزاوا شفتيه، وحدق في كوب القهوة، ثم نظر إلى بإبتسامة باهتة. جاء هدير المحركات النفاثة من خلال النوافذ الزجاجية. انطلقت إحدى طائرات 737 كالسهم وسط الغيوم، وغابت عن الأنظار.

"مر الفصل الدراسي الأول دون أحداث تذكر. لم يتغير آوكي البتّة منذ الصف الثامن. بعض الناس لا ينضجون، ولا يصبحون أكثر جهلاً أيضاً. يظلون كما كانوا دوماً. كان آوكي لا يزال في مقدمة الصف، ولا يزال الأكثر شعبية. مع أنه بالنسبة لي لا يزال تافهاً مثيراً للإشمئزاز. بذلنا ما بوسعنا كي لا تلتقي نظراتنا. دعني أقل لك هذا، إنه ليس أمراً ممتعاً أن يكون شيطانك الشخصي معك في نفس الفصل. لكن لم تكن باليد حيلة. وعلى أي حال، يقع نصف اللوم علي"

"حلت العطلة الصيفية، آخر عطلة صيفية بالنسبة لي كطالب بالمرحلة الثانوية. كانت علاماتي لا بأس بها، تكفي لإدخالي إلى جامعة متوسطة، لذلك لم أدرس بإجتهاد قبيل امتحانات القبول. لذلك درست كما كنت أدرس دوماً. وكنت أذهب أيام السبت والأحد إلى الصالة، وأقرأ وأستمع للموسيقى في ما تبقى من وقت."

"خلال تلك الفترة كانت المدرسة كخلية نحل. الجميع قلق بشأن الامتحانات - أيّ الطلاب دخل إلى أي جامعة، هذا كل ما كان يتحدث عن الأساتذة بشأنه وكذلك الطلاب."

"على أي حال، حدث شيء فظيع خلال عطلة الصيف. انتحر أحد زملائي بالفصل، فتى يدعى ماتسوموتو. لم يكن طالباً بارزاً. و لأكون صريحاً، لم يترك لدي انطباعاً على الإطلاق. عندما سمعت أنه توفى، تمكنت بالكاد من تذكر ملامحه. كان في فصلي، لكنني أشك إذا ما كنا قد تحدثنا أكثر من مرتين أو ثلاث مرات. توفي ماتسوموتو قبل الخامس عشر من أغسطس بقليل، أتذكر ذلك لأن جنازته كانت توافق يوم الهدنة. قفز أمام أحد قطارات الأنفاق، لأسباب غير معروفة. وكان قد ترك مذكرة انتحار، لكن كل ما قاله فيها إنه لم يعد يريد الذهاب إلى المدرسة. و لا شيء آخر. على الأقل، هذه هي الرواية التي كانت متداولة."

"بطبيعة الحال، تسببت حادثة الانتحار في ذعر إدارة المدرسة. بعد مراسم الجنازة، تم استدعاء جميع طلاب السنة الأخيرة إلى المدرسة، وألقى المدير عليهم محاضرة عن كيفية الحداد على وفاة ماتسوموتو، وكيف أنه واجبنا جميعاً أن نتحمل عبء وفاته، وكيف أنه يجب أن نبذل أقصى ما بوسعنا لتجاوز فجيعتنا. ثم طلبوا منا إذا كنا نعرف أي شيء عن سبب انتحار ماتسوموتو، أن نتقدم و ندلي بما لدينا. لم يتفوه أحد بكلمة."

"شعرت بالأسف لوفاة زميلي، لكن بطريقة ما، بدا لي الأمر غريباً. أعني، هل كان مضطراً للقفز؟ إذا لم تكن تحب المدرسة، لا تذهب إلى المدرسة. تبقى نصف عام فقط، وبعدها لن تكون مضطراً للذهاب لتلك المدرسة التعيسة على أي حال. لماذا تقتل نفسك؟ لم يبدُ الأمر منطقياً. خمنت أن الشاب كان على الأرجح عصابياً، وقد قاده إلى ذلك الضغط الناجم عن الدراسة ليلاً ونهاراً من أجل امتحان القبول. ليس أمراً مفاجئاً إذا فكرت بالأمر."

"بعد نهاية العطلة الصيفية وبداية العام الدراسي، لاحظت شيئاً غريباً في الأجواء. بدا لي أن زملائي بالفصل يحتفظون بمسافة بيني وبينهم. عندما أسأل عن شيء لا أتلقى سوى ردود مقتضبة باردة. في البداية ظننت أن الجميع متوترين فحسب بعد ما حدث. لكن بعد مرور خمسة أيام، ودون سابق انذار، تلقيت أمراً بمقابلة المدير. سألني: هل الأمر صحيح؟ أنني كنت أتدرب في صالة رياضية للملاكمة؟ نعم، صحيح، لكنني لم أخرق أياً من قوانين المدرسة في هذا الشأن. لكم من الوقت كنت أذهب إلى الصالة؟ منذ الصف الثامن. هل صحيح أنني ضربت آوكي في السنة الأولى؟ نعم، صحيح. لم أشأ أن أكذب. وهل كان ذلك قبل أو بعد أن بدأت الملاكمة؟ بعد أن بدأت. وأوضحت له أن ذلك كان حتى قبل أن يُسمح لي بإرتداء القفازات. لكن المدير لم يكن يصغي إلي. حسناً، تنحنح المدير، هل سبق وضربت ماتسوموتو؟ صُعقت. فكما قلت سابقاً، كنت أتحدث بالكاد مع ماتسوموتو هذا، فلماذا قد أضربه؟ وذلك ما قلته للمدير."

"اخبرني المدير أنه كان دائماً ما يتعرض للضرب في المدرسة. وغالباً ما يعود إلى المنزل تغطيه الكدمات. اشتكت أمه من أن أحدهم في المدرسة، في هذه المدرسة، كان ينتزع منه نقوده. لكن ماتسوموتو لم يفصح لأمه عن أي أسماء. على الأرجح ظناً منه أنه إذا اشتكى لأحدهم فسيتعرض لمزيد من الضرب."

وبسبب كل هذه الضغوط، انتحر الفتى. أمر مؤسف، لم يكن بوسعه اللجوء لأي أحد، تم استغلاله بصورة سيئة للغاية. لذلك تبحث المدرسة في المسألة. إذا كان لدي ما أقوله، فعلي أن أتحدث. وفي هذه الحال، ستتم تسوية الأمور بهدوء. وإلا فستتولى الشرطة أمر التحقيق. وسألني: هل فهمت؟"

"علمت على الفور أن آوكي وراء هذا، كل شيء يحمل لمسته، أراد استغلال موت ماتسوموتو لينتقم مني. اراهن أنه حتى لم يكلف نفسه عناء الكذب. لم يكن بحاجة إلى ذلك. اكتشف انني كنت ارتاد صالة الملاكمة – من يعرف كيف؟ - ثم سمع بأن أحدهم يتنمر على

ماتسوموتو، وكان الباقي سهلاً. قام بالتبليغ انني كنت أذهب إلى الصالة، وكيف انني ضربته من قبل، ولم يتطلب الأمر أكثر من ذلك. آه، وأنا متأكد من أنه أضاف بعض الإكسسوارات من عنده، كيف أنه كان يخاف مني لذلك لم يخبر أحداً من قبل، أو كيف جعلته ينزف بغزارة. لم يذكر شيئاً يمكن أن يتضح كذبه بسهولة. فقد كان حذراً. مجرد تلوين الحقائق كان كافياً."

"رمقني المدير بنظرة مفادها: أنت مذنب. بالنسبة له، كل من يرتاد صالة ملاكمة كان متهماً بإرتكاب جنحة. كما لم أكن من النوع المفضل لدى الأساتذة. بعد ذلك بثلاثة أيام اتصلت بي الشرطة لاستجوابي. لسب بحاجة للقول بأنني كنت مصدوماً."

اخضعوني لتحقيق بسيط. قلت لهم إنني لم أتحدث كثيراً مع ماتسوموتو. وصحيح انني ضربت أحد زملائي ويدعى آوكي قبل ثلاث سنوات، لكنه كان شجاراً عادياً وتافهاً. ولم أكن طرفاً في أي مشكلة منذ ذلك الوقت. وهذا كل شيء. قال الضابط المناوب إن هناك شائعة تقول أنك كنت تضرب ماتسوموتو. قلت له هذا ما هو عليه الأمر، مجرد شائعة. أطلقها شخص يضمر لي الحقد، وهي عارية من الصحة، وليس هناك أي دليل."

"انتشر الخبر في المدرسة، أن الشرطة قد أجرت معي تحقيقاً. اصبحت الأجواء في الفصل أكثر جفاءاً و برودة. استدعاء الشرطة لي كان حكماً قضائياً، وكأنهم يقولون، إنهم لا يجرّون الناس إلى أقسام الشرطة ويحققون معهم دون سبب، صحيح؟ اعتقد الجميع أنني كنت أضرب ماتسوموتو. لا أعرف الترهات التي كان يروجها آوكي، لكن الجميع صدقها. لم أرغب حتى في معرفة القصة التي يتداولونها. لم يكن أحد يتحدث معي في المدرسة بأسرها. فتلقيت المعاملة الصامتة، كأنما قرروا ذلك بالإجماع، لابد. حتى الطلبات الملحة من قِبلي كانت تقع على آذان صماء. كانوا يتجنبونني كمرض معد، وقاموا بمسح وجودي من مجال رؤيتهم."

"حتى الأساتذة كانو يبذلون ما بوسعهم كي لا ينظروا ناحيتي. وينطقون اسمي فقط عندما يتلون قائمة الطلاب لمعرفة الحضور. ولا يذكرون اسمي اطلاقاً خلال الحصص. كانت حصة التربية البدنية هي الأسوأ، عندما ينقسم الفصل إلى فريقين، أجد نفسي لا أنتمي لأي من الجانبين، ولم يرغب أحد في أن يكوّن معي ثنائياً. وكان استاذ الرياضة يتظاهر بأن لا شيء يحدث. كنت أذهب إلى المدرسة في صمت، أحضر دروسي في صمت، أعود إلى المنزل في صمت، يوماً بعد يوم، في خواء تام. بعد اسبوعين أو ثلاثة على هذه الحال، فقدت الشهية لتناول الطعام، فقدت وزني، لم استطع النوم، كنت أتمدد على فراشي، مرهقاً، وذهني مليء بالصور البغيضة التي لا نهاية لها. وعندما أكون مستيقظاً، أشعر بضباب كثيف يكتنف عقلي، ولا أكون متأكداً إذا ما كنت مستيقظاً أم لا."

"حتى إنني تخليت عن تمارين الملاكمة. قلِق علي رفاقي بالصالة، وسألوني ما الخطب. ما الذي يفترض بي قوله؟ لا شيء، أشعر بالإرهاق فحسب. بم سيفيدني اخبارهم بما حدث؟ انزوي في غرفتي بعد المدرسة، ليس هناك ما يمكنني فعله."

"كنت أتخيل الأشياء وكأنها تعرض على شاشة على سقف الغرفة. تخيلت مختلف أنواع السيناريوهات. في أغلب الأحيان أرى نفسي انهال لكماً على آوكي. أجده لوحده وأوسعه ضرباً، وأخبره برأيي فيه - قطعة من الحثالة - أضربه بكل ما لدي من قوة، وهو يصرخ سامحني، سامحني، لكنني لا آبه لتوسلاته، وأواصل ضربه حتى أحول وجهه إلى عجينة. وبعد فترة يداهمني الشعور بالغثيان. في البداية منحني ذلك شعوراً رائعاً، وقد نال الوغد ما يستحقه، ثم يتسلل إلي ذلك الشعور بالغثيان."

"فكرت في أن أقف أمامهم وأوضح لهم براءتي، وإنني لم أفعل أي شيء، ولكن من كان ليصدقني؟ ولماذا علي أن أنكسر لأولئك الكلاب الذين يهزون ذيولهم لكل ما يقوله آوكي؟"

"لذلك كنت عالقاً. لم أتمكن من ضرب آوكي الضرب الذي يستحقه، و لم أتمكن من تبرير موقفي. كان علي أن أتحمل بصمت. تبقى نصف العام فحسب. نصف عام من السجال مع الصمت. لكن هل يمكنني الصمود لكل تلك الفترة؟ كنت أشك في مقدرتي على الاستمرار لشهر واحد. كان يتم سحقي."

"ظهرت أولى بوادر التنفيس بعد ذلك بشهر. بالصدفة، في طريقي إلى المدرسة، وجدت نفسي وجهاً لوجه مع آوكي على متن القطار، الذي كان مزدحماً لدرجة لا تمكنك من التحرك. ها هو ذا آوكي، على بعد شخصين أو ثلاثة أشخاص مني. ينظر إلى من فوق كتف أحدهم. لابد أن مظهري كان مزرياً، أعاني من الأرق، محطم الأعصاب. في البداية ابتسم لي بسخرية، وكأنه يقول، كيف يسير معك الأمر، ها؟. لابد أن آوكي كان يعرف إنني أعرف أنه وراء كل شيء. التحمت اعيننا وهي تقدح شرراً. لكن أثناء تحديقي في عينيه، بدأ شعور غريب يتسلل إلي. كنت غاضباً منه بالطبع، كرهته، رغبت في قتله. لكن فجأة، وفي نفس الوقت، على متن ذلك القطار، شعرت نحوه بشيء من الشفقة. أعني، أهذا أفضل ما يمكن لهذا المهرج أن يفعله؟ هل هذا كل ما تطلبه الأمر لمنحه الاحساس بالتفوق؟ هل من الممكن أن يكون سعيداً وراضياً عن نفسه بسبب ما فعله؟ كان أمراً مثيراً للشفقة. تأثرت وشعرت بالحزن حقاً، لإدراكي أن هذا الأحمق لن يكون بمقدوره اختبار السعادة الحقيقية والاعتزاز الحقيقي أبداً. ولإدراكي أن هناك مخلوقات تفتقد للعمق الانساني لهذه الدرجة. ولا استثني نفسي، لكن على الأقل، أتعرف على الكائن البشري الحقيقي عندما أراه. لكن هذا النوع، لا. كانت حياته كقطعة من الصخر الأملس المسطح، كل ما فيها مجرد مظاهر سطحية. مهما فعل، فهو لا شيء."

"ظللت أنظر إلى وجهه وهذه الأفكار تجتاحني. ولم تعد لدي الرغبة في لكمه. صرت لا أكترث لأمره البتة. وصدقاً، تفاجأت بمدى عدم اكتراثي. وعندها أدركت أنه يمكنني تحمل خمسة أشهر أخرى من الصمت. لا يزال لدي كبريائي. ما كنت لأدع شخصاً تافهاً كآوكي يجرّني معه إلى الحضيض"

"ذلك ما كانت تقوله نظرتي لآوكي. لابد أنه ظن أنها مباراة تحديق، ولا يريد أن يخسرها. وعندما وصل القطار إلى المحطة، لم يشح أي منا بنظره. لكن في النهاية، آوكي هو الذي تزحزح قليلاً، ارتعاشة خفيفة من بؤبؤ عينيه. وقد انتهزتها في الحال. نظرة الملاكم الذي تخونه ساقاه، ولم يعد قادراً على المناورة بكتفيه، مما يعني أن القوة تلاشت من قبضته. كانت تلك النظرة. هناك خطب ما، لكنه لم يستطع معرفته."

"ذهبت للمنزل، وقد تخففت من عبئي. نمت بعمق، وتناولت وجباتي كما يجب. استأنفت الذهاب إلى الصالة. ما كنت لأرضى بالهزيمة. لكنني أيضاً لم انتصر على آوكي. كان ما يهم هو استعادة سيطرتي على حياتي. لذلك صمدت لخمسة أشهر أخرى. لم يتبادل أحد معي كلمة واحدة. ظللت أقول لنفسي، لم أرتكب أي خطأ، الجميع على خطأ. وبعد التخرج، التحقت بجامعة في كيوشو. بعيداً تماماً عن تلك المدرسة."

عندما وصل إلى هذا الحد، أطلق أوزاوا تنهيدة كبيرة. ثم سألني إذا كنت أريد كوبا آخر من القهوة. قلت: "لا، شكراً. تناولت ثلاثاً منها."

"كل من يمر بتجربه كهذه، لا يعود الشخص نفسه. سيتغير لا محالة. إما إلى الأفضل، أو إلى الأسوأ. من ناحية ايجابية، يصبحون أكثر منعة، لا يقهرون. مقارنة بنصف السنة تلك، كل معاناة مررت بها لا تعد شيئاً. يمكنني تحمل أي شيء تقريباً. كما أصبحت أكثر حساسية لآلام الآخرين من حولي، وتعرفت على بعض الأصدقاء الحقيقيين. لكن هناك بعض الجوانب السلبية. أعني، أصبح من المستحيل أن أثق بالناس، لا أكرههم، ولم أفقد ايماني بالأنسانية. لدي زوجة وأطفال. لدينا منزل، ونعتني ببعضنا البعض. لا يمكنك ذلك دون أن تكون الثقة متبادلة. لكن، بالطبع نعيش حياة طيبة حالياً. لكن إذا حدث شيء، إذا طرأ أمر ما، واقتلع كل شيء من جذوره، حتى وأنا محاط بأسرة سعيدة وأصدقاء مخلصين، ما كنت لأعرف ما أفعله.

ماذا قد يحدث إذا لم يصدق أي أحد كلمة تقولها؟ ذلك يحدث، كما تعرف، فجأة، ودون سابق إنذار. دائماً ما أفكر بالأمر. المرة الماضية كانت ستة أشهر فحسب، لكن ماذا عن المرة القادمة؟ لا أحد يمكنه أن يعرف، ليست هناك ضمانة. لست واثقاً من الفترة التي يمكنني خلالها الصمود المرة القادمة. تزعزعني هذه الأشياء عندما أفكر بها. ستراودني الكوابيس بشأنها واستيقظ في منتصف الليل. في الواقع، يحدث ذلك أحياناً، وعندها أوقظ زوجتي واحتضنها وأجهش بالبكاء، أحياناً لساعة كاملة. أشعر بالخوف."

أشاح ببصره ونظر إلى الغيوم خارج النافذة، التي لم تبارح مكانها كغطاء ثقيل هبط من السماء، يمتص كل الألوان من برج التحكم، والطائرات، ومركبات النقل، والأسفلت، والعمال في أزيائهم.

"أمثال آوكي لا يخيفونني. إنهم في كل مكان، لكنني لم أعد أشغل بالي بهم. أراهم قادمين نحوي فأغيّر إتجاهي. استطيع التعرف عليهم على الفور. لكن في الوقت عينه، علي أن أعجب بأمثال آوكي في هذا العالم، مقدرتهم على الصبر والتربص حتى تحين اللحظة المناسبة، وموهبتهم في اقتناص الفرص، ومهارتهم في العبث بعقول الناس. هذه موهبة لا يمتلكها كل شخص. أمقت أمثاله لدرجة تشعرني بالغثيان، لكنها موهبة."

"لا، ما يخيفني حقاً هو كيف أن الناس يصدقون بسهولة الهراء الذي يطلقه أمثال آوكي دون نقد أو تمحيص. وكيف أن أمثاله عديمو النفع في عالمنا، ويتحدثون بلطف شديد. وكيف يمكن لهذا التافه أن يتلاعب بعقول السذّج ويجعلهم يتصرفون رهن إشارته، دون أن تخامرهم ذرة من الشك في أنهم قد يكونون مخطئين. لا يرون غضاضة في تسبيب الآلام للآخرين، ولا يتحملون مسؤولية أفعالهم. هؤلاء هم الوحوش الحقيقيين. هم الذين تنتابني الكوابيس بسببهم. وفي تلك الكوابيس، ليس هناك سوى الصمت، وأناس بلا وجوه. صمتهم يتغلغل داخل كل شيء كالماء الذائب من الجليد. ثم يصبح كل شيء عكراً. وأبدأ بالذوبان وأنا أصرخ، لكن لا أحد يسمعني."

أخذ أوزاوا يهز رأسه.

انتظرت أن يكمل حديثه، لكنه ظل صامتاً. وعقد ذراعيه على الطاولة، ثم قال بعد فترة:

- لا يزال لدينا وقت، ما رأيك بجعة؟

- بالطبع، كلانا بحاجة إليها على الأرجح.

# الطائر اللعبة ونساء الثلاثاء

# (The Wind-up Bird And Tuesday Women)

أكون في المطبخ أطهو السباغيتي عندما تتصل المرأة. لحظة أخرى ويستوي السباغيتي. ها أنا ذا، أصفّر 'لاغازا لادرا' لروسيني مع راديو FM. الموسيقى المثالية لإعداد السباغيتي.

أسمع الهاتف يرن لكنني أقول لنفسي، تجاهله. دع السباغيتي يستوي، كدنا ان ننتهي. بالإضافة الى أن كلاوديو أبادو وأوركسترا لندن على وشك الوصول إلى ذروة لحن تصاعدي.

إلا أنني عندما أعدت التفكير، رأيت أنه علي أن أخفض الشعلة، وأتوجه إلى غرفة الجلوس، وملعقة الطبخ في يدي، لألتقط السماعة. خطر لي أنه قد يكون صديقاً يحتمل أنه يحمل لي خبراً عن عمل جديد.

فجأة جائني صوت إمرأة:

- أريد عشر دقائق من وقتك

قلت متفاجئاً:

- معذرة، ماذا قلتِ؟

كررت المرأة:

- قلت عشر دقائق فقط من وقتك، هذا كل ما أريده

لا أذكر إطلاقاً انني سمعت صوت هذه المرأة من قبل. وأنا أفتخر بأن لدي أذن تقترب من الكمال فيما يتعلق بتمييز الأصوات، لذلك أنا متأكد من أن هذا صوت امرأة لا أعرفها. صوت منخفض وناعم، ليس هناك ما يميزه.

- المعذرة، لكن ما هو الرقم الذي كنت تريدين الاتصال به؟

قلت ذلك بكل ما لدي من تهذيب.

- وما الفرق الذي قد يحدثه ذلك؟ كل ما أريده هو عشر دقائق من وقتك. عشر دقائق لنصل إلى تفاهم

- نصل إلى تفاهم؟!

قالت المرأة بإيجاز:

- حول مشاعرنا

مددت عنقي خلال الباب الذي تركته مفتوحاً لأنظر إلى المطبخ. كانت ريشة من البخار الأبيض تتصاعد ببهجة من قدر السباغيتي، ولا يزال أبادو مع معزوفته غازا.

- إذا لم تمانعي، أنا أطهو بعض السباغيتي الآن، وقد شارف على الانتهاء، وسيفسد إذا تحدثت معك لعشر دقائق. لذلك سأغلق الخط، حسناً؟

- سباغيتي؟

قالت المرأة غير مصدقة، ثم أعقبت:

- إنها العاشرة والنصف صباحاً فحسب، ما الذي تفعله بطهي السباغيتي عند العاشرة والنصف؟ شيء غريب نوعاً ما، ألا تعتقد ذلك؟

- سواء كان غريباً أم لا، ما شأنك أنت؟ لقد تناولت إفطاراً بالكاد، لذلك بدأت أشعر بالجوع الآن. وبما أنني أقوم بالطهي، متى وماذا أتناول، هذا أمر يخصني، أليس كذلك؟

- حسناً، أياً كان ما تقوله، أغلق الخط إذاً.

قالت المرأة بصوت يقطّر نداوة، صوت مميز. تتحول نبرتها إلى تردد آخر مع أقل تغير عاطفي.

- سأتصل بك لاحقاً

قلت متلعثماً:

- إذا كنت تبيعين شيئاً، من الأفضل أن تنسي أمر مكالمتي لاحقاً. فأنا عاطل عن العمل حالياً ولا يمكنني تحمل شراء أي شيء.

- أعرف ذلك، لذلك لا تشغل بالك بالأمر.

- تعرفين ذلك؟ تعرفين ماذا؟!

- أنك عاطل عن العمل، بالطبع. أعرف ذلك القدر، لذلك قم بطهي السباغيتي الخاص بك، ودعنا ننتهي من الأمر، حسناً؟

- مهلاً، من أنتِ بحق الجـ..؟

انفجرت بها، لكن انقطع الاتصال. اغلقت الخط في وجهي. بسرعة، لدرجة أنني لا أعتقد أنها وضعت السماعة، لابد أنها ضغطت الزر بإصبعها.

وقفت في مكاني محتاراً، أحدق بسماعة الهاتف في يدي، ثم تذكرت السباغيتي. وضعت السماعة وعدت إلى المطبخ. اطفأت النار وأفرغت السباغيتي داخل مصفاة، وضعت عليها صلصة طماطم كنت قد قمت بتسخينها في مقلاة، ثم أكلت. كانت مطهوة أكثر من اللازم، بفضل تلك المكالمة الفارغة. إنها ليست مسألة حياة أو موت، ولست في مزاج لأثير جلبة لا طائل من ورائها حول تفاصيل طهي السباغيتي، كنت جائعاً للغاية. أستمع ببساطة إلى الراديو وهو يبث موسيقى الوداع لمائتين وخمسون جراماً من السباغيتي وأنا أرسل آخر خيوطها إلى معدتي بلهفة.

أغسل الاطباق والمقلاة بعد أن وضعت غلاية الشاي على النار، ثم أسكب الماء الساخن في كوب و أضع كيس شاي. أثناء شرابي أفكر في تلك المكالمة.

"لنصل إلى تفاهم؟" ما الذي كانت تعنيه تلك المرأة؟ تتصل بي، وتحدثني بتلك الطريقة. ومن تكون بحق السماء؟

كان الأمر برمته لغزاً. لا أتذكر أن هناك امرأة أتصلت بي من قبل دون ان تعرّف بنفسها، كما ليست لدي أدنى فكرة عما كانت تريد أن تتحدث بشأنه.

قلت لنفسي، فليكن، لماذا أهتم بفهم مشاعر امرأة غريبة على أي حال؟ ما المصلحة التي قد أجنيها من وراء ذلك؟ ما يهم الآن هو أن أجد عملاً. ثم يمكنني أن أستقر في دورة حياة جديدة.

مع ذلك، حتى وأنا أعود إلى الأريكة لإستئناف قراءة رواية للين ديتون التي أخذتها من المكتبة، مجرد لمحة بطرف عيني للهاتف تشعل عقلي بالتفكير. ما هذه المشاعر التي تستغرق عشر دقائق للوصول إلى تفاهم حولها؟ ***" أعني، حقاً؟ عشر دقائق لنصل إلى تفاهم حول مشاعرنا؟"***

عندما أفكر بالأمر، منذ البداية حددت المرأة عشر دقائق بالضبط. يبدو أنها كانت واثقة من مقدار الوقت المطلوب بدقة. وكأن تسع دقائق كانت لتكون قصيرة، وإحدى عشرة دقيقة ستكون أطول من اللازم. تماماً مثل درجة استواء السباغيتي.

مع استحواذ هذه الافكار على ذهني، فقدت متابعتي لحبكة الرواية. لذلك قررت القيام ببعض التمارين، ربما أقوم بكيّ قميص أو أثنين. عندما أكون مرتبكاً ومشوشاً، دائماً ما أقوم بكي القمصان. إنها عادة ظلت تلازمني منذ فترة طويلة.

أقسم عملية كي القمصان إلى أثني عشرة خطوة: 1 الياقة (أمام)، إلى 12 الكُفّة المطوقة للمعصم (الكم الأيسر). ولا أحيد عن

ذلك الترتيب مطلقاً. أعدّ الخطوات، خطوة خطوة، لا تسير العملية بصورة صحيحة إذا لم أعدّ.

ها أنا ذا، أكوي قميصي الثالث، أستمتع بهسيس مكواة البخار، ورائحة القطن الساخن المميزة. أتحقق من تلاشي كل التجاعيد قبل أن أعلق القميص داخل الخزانة. أطفيء المكواة وأضعها في مكانها مع طاولة الكي.

أشعر بالعطش الآن وأتوجه إلى المطبخ من أجل بعض الماء، عندها يرن الهاتف مرة أخرى، أقول لنفسي، ها قد بدأنا مجدداً. وللحظة أتسائل إذا ما كان علي أن أتجاهله وأواصل سيري إلى المطبخ. لكن كل شيء وارد، لذلك عدت أدراجي إلى غرفة الجلوس ورفعت السماعة. أن تكن تلك المرأة ثانية، سأقول أنني مشغول بكي الملابس وأغلق الخط. إلّا أن الاتصال كان من زوجتي، الساعة فوق التلفاز تشير الحادية عشرة والنصف.

- كيف الأحوال؟

- بخير.

- ما الذي كنت تفعله؟

- أكوي.

- أهناك مشكلة؟

سألتني زوجتي مع توتر خفيف يغزو صوتها، تعرف كل شيء عن مسألة الكي هذه عندما أكون قلقاً.

- لا، إطلاقاً. شعرت بالرغبة في كي بعض القمصان فحسب، ما من سبب معين.

أقول ذلك ناقلاً السماعة من يدي اليمنى إلى اليسرى، وأنا أهم بالجلوس على كرسي.

- أهناك شيء تودين إخباري به؟

- نعم، إنه عن العمل. هناك احتمالية وظيفة.

- أها.

- أيمكنك كتابة الشِّعر؟

قلت متفاجئاً:

- الشِّعر؟ مالي والشِّعر؟

- هناك شركة يعمل بها أحد معارفي ستصدر مجلة أدبية شهرية موجهة للفتيات الشابات، ويبحثون عن من يقوم باختيار وصقل المشاركات الشعرية، كما يحتاجون إلى قصيدة استهلالية كل شهر تنشر في القسم. العمل ليس صعباً والأجر ليس سيئاً. بالطبع إنه يعتبر عملاً إضافياً، لكن إذا سارت الأمور على ما يرام ، قد تصبح محرراً و...

- ليس صعباً؟ تمهلي قليلاً الآن. كنت أبحث عن وظيفة في شركة محاماة. من أتيتِ بأمر صقل الشعر هذا؟

- حسناً، ألم تقل أنك كنت تكتب قليلاً في المدرسة الثانوية؟

- في جريدة. جريدة المدرسة الثانوية. الفريق الفلاني فاز بمباراة في كرة القدم، سقط أستاذ الفيزياء من الدرج واضطر للذهاب إلى المستشفى. كنت أكتب مقالات غبية كهذه. وليس الشعر، لا يمكنني كتابة الشعر.

- ليس بالضرورة أن يكون شعراً حقيقياً، تلك النوعية التي قد تقرأها فتيات المرحلة الثانوية. ليس وكأنهم يتوقعون منك أن تكتب قصائد مثل آلان جينسبيرغ، أو أن تجد قصائدك مكاناً في التاريخ الأدبي. أياً ما تستطيع ان تتدبره فحسب.

قلت بحدة

- لا يمكنني كتابة الشعر متدبراً أمري أطلاقاً.

تأففت زوجتي

- أووف! حديثك ذلك عن العمل القانوني، لا يبدو أن هناك شيئاً ملموساً، أليس كذلك؟

- أمامي بعض الاحتمالات، أتوقع قراراً نهائياً هذا الاسبوع، وإن لم ينجح الأمر، ربما سأفكر في شيء آخر.

- آه، أنتَ وشأنك إذاً، ما هو اليوم؟

قلت بعد لحظة من التفكير:

- الثلاثاء.

- حسناً، أيمكنك المرور على المصرف وتسديد فواتير الغاز والهاتف؟

- بالطبع، كنت سأخرج لشراء حاجيات العشاء على أي حال، يمكنني المرور بالمصرف بالمرة.

- و ما الذي سنتناوله على العشاء؟

- أمم، دعيني أرى...، لم أحسم أمري بعد. سأقرر عندما أذهب لشراء الحاجيات.

- أتعرف؟

بدأت زوجتي تتحدث بنبرة مختلفة

- كنت أفكر، ربما لا تكون بحاجة للبحث عن عمل

قلت مصعوقاً:

- و لمَ لا؟

مزيد من المفاجئات الغريبة، هل قررت كل نساء العالم مفاجئتي عبر الهاتف اليوم؟

- لماذا لست بحاجة للبحث عن عمل؟ ثلاثة أشهر أخرى وستتوقف معونة العطالة. لا يمكنني أن أتسكع هنا وهناك للإبد.

- ارتفع راتبي، وعملي يسير على ما يرام، دون ذكر أن لدينا ما يكفي من المدخرات، إذا لم نبذر الأموال في الرفاهيات، فسنكون بخير.

- وأنا من سيقوم بالأعمال المنزلية؟

- أهذا أمر سيء؟

- لا أعرف.

قلت بصدق

- لا أعرف حقاً، علي أن أفكر بالأمر.

تكرر زوجتي:

- نعم فكر بالأمر. آه، بالمناسبة ، هل عاد القط؟

قلت متفاجئاً:

- القط؟

ثم أدركت أنني قد نسيت أمره تماماً طيلة الصباح.

- لا، لا يبدو أنه قد عاد.

- أيمكنك البحث عنه في أنحاء الحي؟ فقد مرت أربعة أيام.

قلت لها كلاماً وليد اللحظة وأنا أعيد السماعة ليدي اليمنى.

قالت:

- أظنه في باحة ذلك المنزل المهجور في نهاية الزقاق. الباحة التي بها تمثال حجري صغير لطائر. رأيته هناك عدة مرات. أتعرف المكان الذي أتحدث عنه؟

- لا، أخشى أنني لا أعرفه. ومنذ متى وأنتِ تتجولين حول ذلك الزقاق لوحدك؟ لم تذكري لي من قبل أنكِ...

- سامحني، لكن علي أن أغلق الخط، علي أن أعود للعمل. لا تنس القط.

و انقطع الخط.

ظللت جالساً في مكاني أنظر ببلاهة إلى السماعة قبل أن أضعها. لمَ تعرف زوجتي الكثير عن ذلك الزقاق؟ سيكون عليها أن تتسلق جداراً عالياً للوصول إلى هناك من باحتنا. وما الذي قد يدفعها لتكبد كل ذلك العناء في المقام الاول؟

أذهب إلى المطبخ من أجل الماء الذي أخرتني هذه المكالمة عنه. أدير راديو الـ FM، وأقلم أظافري. يقدمون حلقة خاصة عن ألبوم روبرت بلانت الجديد. أستمع إلى أغنيتين قبل أن تؤلمني أذناي، وأغلق الراديو. أذهب إلى الرواق لأتفقد طبق طعام القط. السمك المجفف الذي وضعته بالأمس لم يُمس. أعتقد أن القط لم يعد بالفعل.

واقفاً في مكاني بالمدخل، أنظر إلى شمس الربيع المشرقة وهي تسكب أشعتها على باحتنا الصغيرة. ليست من نوع الحدائق التي تعلق بذهنك وتتذكرها بحنين. تطل عليها الشمس لفترة وجيزة من اليوم، لذلك دائماً ما تكون تربتها داكنة ورطبة. لا ينمو فيها الكثير. فقط شجرتي هورتنسيا عاديتين، ولست مجنوناً بحب الهورتنسيا على أي حال.

هناك صف من الأشجار على مقربة منا، يأتي منها صوت زقزقة طائر. سكرييـ ييـ بيتش، صوت حاد أشبه بصوت زنبرك يتم لقّه. نسميه الطائر اللعبة، أطلقت عليه زوجتي هذا الاسم. ليست لدي فكرة عن اسمه الحقيقي، ولا حتى كيف يبدو شكله. مع ذلك، يكون طائر الزنبرك هذا في مكانه بين الاشجار، كل صباح، ويزعجنا نحن وعالمنا الصغير الهادئ، وكل شيء، بأصواته تلك.

أثناء استماعي لطائر الزنبرك، أقول لنفسي، لماذا علي أن أبحث عن ذلك القط بحق السماء؟ أضف إلى ذلك، حتى لو حالفني الحظ ووجدته، ما الذي يجدر بي فعله عندها؟ أجرّه إلى المنزل وألقي عليه محاضرة؟ اسمع، لقد جعلت الجميع يقلقون عليك بشدة، لماذا لم تعد إلى المنزل؟

عظيم، عظيم جداً - أقول مخاطباً نفسي - ما المشكلة في ترك قط يذهب إلى حيث يريد، ويفعل ما يريد فعله؟ ها أنا ذا، في الثلاثين من عمري، وما الذي أفعله؟ أغسل الملابس، وأعد قوائم العشاء، وأطارد القطط.

قبل وقت ليس بالطويل - ما زلت أخاطب نفسي - كنت شاباً عادياً، مليئاً بالطموحات. في المدرسة الثانوية قرأت السيرة الذاتية لكلارينس دارو، وقررت أن أصبح محامياً. لم تكن علاماتي سيئة. وفي سنتي النهائية، حللت في المركز الثاني كـ (الأوفر حظاً في النجاح) في تصويت أجراه زملائي. حتى أنه تم قبولي في قسم القانون في جامعة ذات سمعة لا بأس بها. إذاً، في أي مرحلة أفسدتُ الأمور؟

وضعت مرفقيّ على طاولة المطبخ، واسندت ذقني بيديّ، وفكرت: متى فقدَت بوصلتي صوابها وضللت طريقي بحق الجحيم؟ هناك شيء لا أستطيع أن أحدده بدقة. كل ما أستطيع قوله هو أن وجودي كان عادياً تماماً. لكن في أحد الأيام، عندما حان موعد تخرجي، أدركت فجأة أنني لم أعد الشخص نفسه الذي كُنته.

في بداية فبراير، أستقلت من عملي في شركة للمحاماة بعد عملي بها لفترة طويلة، ودون أي سبب محدد. ليس لأنني ضقت ذرعاً بالعمل أو أي شيء. أقر بأنه لا يمكن وصفه بأنه مثير للحماسة، لكن الراتب لم يكن سيئاً. و جو العمل بالمكتب كان ودياً بما فيه الكفاية.

كان دوري في المكتب، باختصار، صبي مكتب بدوام كامل. مع ذلك لا زلت أعتقد أنني كنت أقوم بعمل جيد. كانت لدي موهبة في تنفيذ المهام الموكلة إليّ، أستجيب بسرعة، وأعمل بمنهجية، وأفكر بطريقة عملية، ولا أتذمر. ولهذا السبب عندما أخبرت الشريك الأكبر (الأب في الشركة المملوكة لأب و أبنه) عن رغبتي في الاستقالة، عرض علي زيادة في الراتب إذا بقيت.

لكنني لم أبقَ. لا أعلم تحديداً لماذا أستقلت، لم تكن لدي أي أهداف أو توقعات لما سأفعله بعد الاستقالة. كانت فكرة الانزواء في مكان ما والدراسة بجد من أجل فرصة أخرى لاجتياز امتحان المحاماة مرعبة جداً. إلى جانب أنه لم تكن لدي رغبة حقيقية في أن أصبح محامياً في ذلك الوقت.

عندما قلت لزوجتي أنني كنت أفكر في ترك عملي أثناء تناولنا العشاء، كان كل ما قالته هو "معقول" ما الذي من المفترض أن تعنيه "معقول" هذه؟ هذا كل ما في الأمر، لم تتفوه بكلمة أخرى. وعندما لم أقل شيئاً بدوري، قالت: "إذا أردت أن تستقيل، لمَ لا تستقيل؟ إنها حياتك، ينبغي عليك أن تفعل ما تريده." اكتفت بهذا القدر، ثم تشاغلت بنزع عظام السمك، مستخدمة عودا الطعام، وازاحتها إلى حافة الطبق.

تمارس زوجتي عملاً مكتبياً في مدرسة تصميم، وتتقاضى راتباً محترماً. أحياناً تحصل على أعمال تتضمن رسوم توضيحية من أصدقاء المحرر، ومنها تحصل على دخل إضافي. أنا من جانبي، يمكنني الحصول على راتب العطالة لمدة ستة أشهر. لذلك إذا لزمت المنزل وقمت بالواجبات المنزلية كل يوم، قد نتمكن من توفير ما ننفقه على العشاء في الخارج مثلاً، أو الغسيل الجاف. ولن يختلف أسلوب

حياتنا عما كان عليه عندما كنت أعمل وأتقاضى راتباً. ولذلك استقلت من عملي.

عند الثانية عشرة والنصف، أذهب للتسوق كالمعتاد. يتدلى كيس كبير من كتفي. أولاً أعرّج على المصرف لدفع فواتير الغاز والهاتف، ثم اشتري ما نحتاج إليه للعشاء من مركز تسوق، ثم أتناول برغر الجبنة والقهوة بأحد مطاعم ماكدونالدز.

أعود إلى المنزل. وأثناء تفريغي للمشتريات داخل الثلاجة، يرن الهاتف بإلحاح. أترك كيس التوفو نصف مفتوح على الطاولة، أتوجه إلى غرفة الجلوس، وأرفع السماعة.

- هل فرغت من السباغيتي؟

إنها تلك المرأة مجدداً.

- نعم، فرغت. لكن الآن عليّ الخروج والبحث عن القط.

- ألا يمكنك تأخير ذلك لعشر دقائق؟

- حسناً، عشر دقائق، ربما.

أقول لنفسي: "ما الذي أفعله بحق الجحيم؟ لماذا أهدر عشر دقائق من يومي مع امرأة غريبة؟"

تقول المرأة:

- الآن ربما يمكننا الوصول إلى تفاهم.

تتحدث بصوت لطيف وهادئ. أشعر أن هذه المرأة - أياً كانت - تجلس باسترخاء، وهي تضع ساقاً على الأخرى.

أقول:

- أممم، لست متأكداً بشأن ذلك، بعض الناس يكونون معاً لعشرة أعوام ويستعصي عليهم التفاهم رغم ذلك.

- ألست مهتماً بالمحاولة؟

أنزع ساعة معصمي، وأحولها إلى وضعية ساعة الإيقاف، وأضغط زر بدء المؤقت.

اسألها:

- لماذا أخترتني أنا؟ لماذا لا تتصلين بشخص آخر؟

- لدي أسبابي.

تلفظ المرأة كلماتها ببطء، وكأنها تمضغ لقمة من الطعام بحرص

- أعرف عنكَ كل شيء.

- متى؟ وأين؟

- في زمان ما، ومكان ما. لكن ما أهمية ذلك؟ كل ما يهم هو الحاضر، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أن الحديث عن متى وأين يكلفنا وقتاً. ليس وكأنني أمتلك كل وقت العالم، كما تعرف.

- أعطني دليلاً اذاً، دليل على أنك تعرفينني.

- مثلا؟

- ماذا عن عمري؟

- ثلاثون.

تجيب المرأة على الفور

- ثلاثون عاماً و شهرين. أيكفيك هذا؟

ألقمتني حجراً. تعرفني المرأة بالفعل. مع أنني لا أستطيع أن أتذكر صوتها، مهما اعتصرت ذهني. لا يمكن أن أنسى، أو يختلط عليّ صوت أحدهم. الوجوه والأسماء، ربما. لكن الأصوات، أبداً.

- حسناً، الآن حان دورك، لنرَ ما يمكنك أن تعرفه عني.

تقول بإيحاء:

- ما الذي تتخيله بناء على صوتي؟ أي نوع من النساء أنا؟ أيمكنك تصوري؟ أنت بارع في مثل هذه الأشياء، أليس كذلك؟

أقول:

- لقد نلتِ مني.

تلح المرأة:

- هيا، حاول.

ألقي نظرة على ساعتي، لم تمر أكثر من دقيقة ونصف حتى الآن. أطلق تنهيدة استسلام. يبدو أنني قد التقطت الطعم بالفعل، وليس هناك مجال للتراجع. كان لدي ميل لألعاب التخمين في ما مضى.

- في أواخر العشرينات من عمرك، تخرجت من الجامعة، من سكان طوكيو، تلقيت تنشئة الطبقة الوسطى/ العليا.

- مذهل.

تقول المرأة وأنا أسمع نقرة قداحة سجائر بالقرب من السماعة، ومن صوتها أعتقد أنها ماركة كارتييه.

- استمر.

- جميلة إلى حد كبير، أو على الأقل هذا ما تعتقدينه. لكنك تعانين من عقدة ما، قد تكونين قصيرة، أو أن نهديك صغيرين، أو شيء من هذا القبيل.

تضحك:

- قريب جداً.

- متزوجة، لكن الأمور لا تسير بسلاسة كما يجب. لديك مشاكل، ليس هناك امرأة لا تملك حصتها من المشاكل قد تتصل برجل دون أن تفصح عن اسمها. ومع ذلك لا أعرفك. أو على الأقل لم أتحدث معك من قبل. بعد تخيلي كل هذا، ما زلت غير قادر على تصورك.

- آه، حقاً.

تقول المرأة بطريقة أشعرتني وكأنها تغرس وتداً ناعماً في جمجمتي.

- كيف يمكنك أن تكون واثقاً من نفسك هكذا؟ ألا يحتمل أن هناك نقطة في مكان ما أغفلت رؤيتها؟ إن لم يكن الأمر كذلك، بالنسبة لشخص بمثل موهبتك وذكائك، ألا تعتقد أنه يجب أن تتمالك نفسك قليلاً الآن؟

- يبدو أنك تحسنين بي الظن كثيراً. لا أعرفك، لكن عليّ أن أخبرك أنني لست ذلك الشخص الرائع الذي تظنينه. ولا يبدو أنني قادر على إنجاح حياتي، فكل ما أفعله هو الدوران حول نفسي بلا هدف.

- مع ذلك، كنت أكن لك بعض المشاعر. كان ذلك منذ وقت طويل.

أقول بسرعة:

- أتقولين وقت طويل؟

- ليس وقتاً طويلاً جداً، نحن لا نتحدث عن تاريخ.

- نعم، نتحدث عن تاريخ بالفعل.

نقطة أغفلتها، ها؟ حسناً، قد تكون المرأة محقة. في مكان ما، في رأسي، في جسدي، في وجودي ذاته، هناك عنصر خفي ظل يتسبب في انحراف مسار حياتي قليلاً. لا، ليس قليلاً، بل إلى أقصى الحدود، إلى غير رجعة.

تقول المرأة:

- أنا في الفراش الآن، استحممت للتو، ولا أرتدي شيئاً.

أقول لنفسي: "لا ترتدي شيئاً؟ ما الذي نحن مقبلون عليه؟"

- أم أنكَ تفضل أن أرتدي بعض الملابس الداخلية؟

- افعلي ما يحلو لك. لكن إذا لم تمانعي، أنا لست من هذا النوع من الرجال، لا أحب هذه الأشياء عبر الهاتف.

- عشر دقائق، هذا كل ما في الأمر. إنها مجرد عشر دقائق، لن تشكل خسارة جسيمة، أليس كذلك؟ لا أطلب أي شيء آخر. على أي حال، أجب عن سؤالي فحسب. أتريدني أن أظل عارية؟ أم أرتدي شيئاً؟

أقول:

- لا بأس بالعريّ.

مرت أربع دقائق.

تقول:

- لم أجفف نفسي جيداً بعد، ولا يزال شعري بالأسفل رطباً، لم أجففه بعد.

- اسمعي، إذا لم تمانعي...

- آه، ما الوضعية التي أنا عليها الآن؟ ركبتي للأعلى، وساقي اليسرى تميل للخارج قليلاً. إنها 10:05 إذا كنت ساعة.

من الطريقة التي تتحدث بها، لا أظنها تختلق ذلك فحسب. أعتقد جازماً أنها على تلك الوضعية بالفعل.

- داعب شفتيّ، برفق، و بطء، آه. والآن، أنزل بيدك...

أضع السماعة دون كلمة، ثم أتمدد على الأريكة، أدخن سيجارة، وأحدق بالسقف.

أوقفت ساعة الايقاف عند خمس دقائق وثلاث وعشرون ثانية.

أغمض عينَيّ، ويلفني الظلام. ظلام رُسم أعمى بالألوان.

ما هذا؟ لماذا لا يدعني الجميع وشأني؟

قبل أقل من عشر دقائق لاحقاً، يرن الهاتف مجدداً، لكنني لا أرفع السماعة هذه المرة. خمسة عشرة رنة ثم يتوقف، ويغرق المكان في صمت عميق. خمسة عشرة رنة هاتف غيرت نوعية الهواء من حولي.

قبل الساعة الثانية بقليل، أذهب إلى باحتي الخلفية، وأتسلق ذلك الجدار الحجري إلى الزقاق. في الواقع، إنه ليس ممراً يمكنك أن تسميه زقاقاً، نطلق عليه هذا الاسم لأننا لا نعرف له اسماً أفضل. إذا تحدثنا بدقة، إنه ليس ممراً على الإطلاق، الممر له مدخل ومخرج، ويشكل مساراً من مكان إلى آخر.

لكن هذا الزقاق ليس لديه مدخل أو مخرج. يقع بين جدار حجري من جهة وسياج معدني من الجهة أخرى. ولا يمكن أن نطلق عليه ممشى أيضاً، فالممشى لديه مدخل على الأقل، جميع الجيران يطلقون عليه (الزقاق) لسهولة الاسم فحسب.

يتعرج الزقاق متاخماً الباحات الخلفية للمنازل على امتداد ستمائة قدم. بعرض ثلاثة أقدام في معظم أجزائه. تتناثر فيه الكراكيب هنا وهناك. هناك أماكن يمكنك المرور عبرها جانبياً بالكاد.

مما سمعته - من عمي الطيب الذي يؤجر لنا المنزل بثمن زهيد - أن الزقاق كان لديه مدخل ومخرج، وكان يشكل طريقاً مختصراً من الشارع إلى الشارع المقابل. لكن بعدها، في سنوات الازدهار بعد الحرب، كان يتم بناء المنازل في كل مساحة متوفرة، وتقلصت المساحات بين المنازل إلى ممر ضيق. ولم يكن السكان يرغبون في مرور الغرباء عبر باحاتهم الخلفية وتلصصهم عليهم من تحت النوافذ. لذلك قاموا بتغطية المدخل خلسة. في أول الأمر أخفت شجيرة بريئة المظهر المدخل، وفي النهاية قام أحد السكان بتمديد باحته الخلفية ثم جداره الحجري ليغلقه بالكامل. بينما كان السياج المعدني من الجهه الأخرى مصمماً لمنع دخول الكلاب. لذلك لم يتذمر أحد لكون الزقاق مغلقاً من الجانبين. وعلى أي حال، فإن إغلاقه لن يضير أحداً باعتباره وسيلة لمنع الجريمة.

لكن الزقاق تعرض للإهمال، وكان يبدو وكأن الغرض منه هو خلق منطقة عازلة بين المنازل. تكثر الحشائش على الارض، وشباك العناكب في كل مكان.

والآن، ليتني أعرف لماذا تتردد زوجتي على مكان كهذا. أنا عن نفسي لم تطأ قدمي ذلك المكان من قبل سوى مرة واحدة، أما زوجتي، حتى العناكب لا تطيقها.

عندما أحاول ان أفكر بالأمر، أشعر وكأن رأسي يمتلئ بمادة غازية. لم أحظ بنوم هانئ الليلة الماضية، كما أن الجو ساخن للغاية

بالنسبة لبداية مايو، بالإضافة إلى تلك المكالمة الهاتفية المثيرة للأعصاب.

آه، من الأفضل أن أبحث عن ذلك القط، دع التطورات اللاحقة لوقت لاحق. على أي حال، أفضّل أن أكون بالخارج بدلاً من حبس نفسي بالمنزل في انتظار الهاتف ليرن.

تنساب أشعة شمس الربيع خلال أغصان الأشجار، وتنثر بقعاً من الظل على الأرض. تتراقص الظلال على قميصي أثناء مروري تحت الأشجار، ثم تعود إلى الأرض. سكون عميق يلف المكان.

أبقي عيناً على كل جانب، وأسير ببطء، ضابطاً إيقاع سيري، وأتوقف من حين لآخر لأنادي على اسم القط بهمس مسرحي.

أسير في الزقاق وأنا أتأمل المنازل التي تحتضنه من الجانبين، وأقارن بين طرازاتها المعمارية القديمة منها والحديثة.

المنزل المهجور الذي أخبرتني عنه زوجتي كان أبعد قليلاً، من الواضح أنه مهجور، كان منزلاً من طابقين يبدو أنه بني حديثاً نسبياً، إلا أن عوامل الطقس تركت بصمتها على المصاريع والنوافذ، ويبدو الدرابزين العلوي آيلاً للسقوط. يوجد في باحته تمثال حجري صغير لطائر يفرد جناحيه على قاعدة بارتفاع الصدر تحيط به أعشاب كثيفة، تصل السيقان الطويلة من عشبة عصا الذهب منها إلى قدمي الطائر- الذي لم أستطع معرفة نوعه - الذي يجد هذا الانتهاك مزعجاً ويخفق بجناحيه مستعداً للتحليق في أي لحظة.

أتكئ على السياج المعدني، وأقوم بمسح سريع للباحة. إنه من نوع المكان الذي قد تحبه القطط. تقف حمامة وهي تهدل على هوائي التلفاز فوق السطح.

يسقط ظل الطائر الحجري على الأعشاب المتشابكة، وعلى جزء منها تسقط أشعه الشمس، فتقطعه أوراقه الطويلة إلى شذرات مختلفة الأشكال.

أخرج سيجارة من جيبي، أشعلها، أدخنها، متكئاً على السياج طوال الوقت. لا تتزحزح الحمامة عن مكانها على الهوائي وهي تواصل هديلها بلا انقطاع.

أنهيت السيجارة، ووطئتها بقدمي، لم أتحرك من مكاني لفترة طويلة. أحدق ببلاهة في ظل الطائر، أكاد لا أفكر بأي شيء. أو ربما أكون أفكر، في مكان ما خارج نطاق وعيي. إلا أنني ظاهرياً أحدق في ظل الطائر على سيقان الاعشاب.

تدريجياً استشعر شيئاً - صوت؟ - يتغلغل داخل ظل الطائر. صوت من؟ يبدو أن أحد ما يناديني.

ألتفت خلفي لأري فتاة تقف في الباحة المقابلة، ربما في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، صغيرة الحجم، ذات شعر قصير مستقيم، ترتدي نظارة شمسية داكنة ذات إطار كهرماني، وتيشيرت أديداس أزرق خفيف بأكمام مقصوصة عند الكتفين. ذراعاها لوحتهما شمس مايو. يد واحدة داخل السروال القصير، والأخرى تتكئ بها على بوابة منخفضة مصنوعة من سيقان البامبو، وتسند نفسها إلى الأعلى بحذر.

تلقي التحية:

- الجو ساخن، أليس كذلك؟

أرد:

- ساخن بالفعل.

ها نحن ثانية، أقول لنفسي، سيكون يومي بطوله عبارة عن إناث يبدأن معي محادثات، أليس كذلك؟

تسألني الفتاة:

- ألديك سيجارة؟

أجذب علبة السجائر ماركة هوب من جيبي وأقدمها لها. تخرج يدها من سروالها القصير وتسحب سيجارة وتتفحصها للحظة قبل أن تضعها بين شفتيها. فمها صغير مع انحناءة خفيفة في شفتها العليا. أقدح عود ثقاب لأشعل لها سيجارتها.

تفرج شفتيها قليلاً وتنفث سحابة صغيرة من الدخان، ثم تنظر إلي وكأنها تذكرت شيئاً فجأة. أرى وجهي منعكساً على نظارتها الشمسية. كانت العدسات قاتمة للغاية، ولم يكن هناك مجال لمحاولة رؤية عينيها.

تسألني:

- هل أنتَ من هذا الحي؟

- نعم.

أجيبها وأنا على وشك أن أشير نحو المنزل، إلا أنني غير متأكد من الاتجاه الصحيح، نسبة إلى كثرة التعرجات التي تقود إلى مكاننا. لذلك – ما الفرق على أي حال - أشير ببساطة إلى ناحية ما.

- ما الذي تفعله هنا كل هذا الوقت؟

- أبحث عن قط. إنه مفقود منذ ثلاثة أو أربعة أيام.

أجبتها وأنا أمسح راحة يدي المتعرقة على سروالي.

- قال لي أحدهم أنني سأجد القط في هذه الأرجاء.

- أي نوع من القطط؟

- ذكر كبير، ذو خطوط بنية، و التواء خفيف في طرف ذيله.

- ما اسمه؟

- اسمه..؟

- اسم القط. لديه اسم، أليس كذلك؟

تقول وهي تدقق النظر في عيني من خلف نظارتها الشمسية، أو هذا ما أظنها تفعله.

أجيب:

- نوبورو، نوبورو واتانابي.

- اسم جميل بالنسبة لقط.

- إنه اسم شقيق زوجتي. إنها مزحة صغيرة منها. تقول أنه يذكرها به بطريقة ما.

- كيف؟

- الطريقة التي يتحرك بها، مشيته، نظرة عينيه الناعستين، وأشياء صغيرة كهذه.

عندها فقط تبتسم الفتاة، فتبدو لي أقرب لطفلة، أكثر مما ظننته في انطباعي الأول. تنحني شفتها العليا بزاوية غريبة. يتردد في ذهني صوت امرأة الهاتف. أمسح العرق من حاجبيّ بظهر يدي.

تتحقق الفتاة:

- قط بني مخطط مع التواء في نهاية الذيل، ها؟ أيرتدي طوقاً؟

- طوق أسود.

تفكر الفتاة لعشر أو خمسة عشر ثانية، ويدها لا تزال على البوابة. تلقي بعقب سيجارتها على الأرض بالقرب من قدميّ.

"هلا أطفأتها لي؟ فأنا حافية القدمين.

أسحقها بكعب حذاء التنس بعناية.

- ذلك القط، أعتقد أنني قد أكون رأيته.

تصوغ عباراتها ببطء.

- لم تتسن لي الفرصة لملاحظة طرف ذيله الملتوي، لكن، نعم، ذكر بني كبير، يرتدي طوقاً على الأرجح.

- متى رأيته؟

- حسناً، متى كان ذلك؟ أنا متأكدة من أنني رأيته مرات عديدة. أخرج إلى الباحة يومياً تقريباً، لآخذ حمام شمس، لذلك تختلط علي الأيام. لكن على أي حال، لابد أنني رأيته خلال الثلاثة أو الأربعة أيام الماضية. تشكل الباحة طريقاً مختصراً للقطط، جميع أنواع القطط تهرع مسرعة طوال الوقت. إنها تأتي من حاجز شجيرات سوزوكي، وتعبر باحتنا، وتتجه إلى باحة مياواكي.

أثناء حديثها تشير ناحية المنزل المهجور، الذي ظل كما كان. الطائر الحجري ناشراً جناحيه، أعشاب عصا الذهب تتنعّم بشمس الربيع، والحمامة تهدل على هوائي التلفاز.

أقول لها:

- شكراً على المعلومة.

- يا هذا، وجدتها، لمَ لا تأتي إلى الباحة هنا وتنتظر؟ جميع القطط تمر من هنا. بالإضافة إلى ذلك، إذا ظللت تتسكع هنا، سيظن أحدهم أنك لص، ويبلغ الشرطة. لن تكون المرة الأولى.

- لكن لا يمكنني أن أقف في باحة أحدهم منتظراً قطاً.

- بالطبع يمكنك، إنه ليس بالأمر الهام، إنك لا تقف في منزل أحدهم، وأشعر بملل شديد دون وجود شخص أتحدث معه. لمَ لا نستجم كلينا تحت الشمس حتى يظهر القط؟ بصري حاد، سأكون عوناً لك.

أنظر إلى ساعتي. الثانية وست وثلاثون دقيقة. كل ما بقي لي اليوم هو غسل الملابس وتجهيز العشاء.

- حسناً، موافق. سأنتظر حتى الثالثة.

أقول ذلك مع أنني لم أستوعب الوضع تماماً.

أفتح البوابة، وأخطو إلى الداخل، أتبع الفتاة عبر العشب، وعندها فقط ألاحظ أنها تسحب ساقها اليسرى قليلاً ويتأرجح كتفيها الصغيرين. تقف أمامي ببضع خطوات وتشير إلي لأسير بجانبها.

- تعرضت لحادث الشهر الماضي.

تقول الفتاة ببساطة.

- كنت أركب خلف أحدهم على دراجة نارية وأُلقيتُ بعيداً، لسوء الحظ.

كرسيان طويلان من القماش في وسط العشب، منشفة زرقاء كبيرة معلقة على ظهر أحد الكرسيين، وعلى الآخر علبة سجائر مارلبورو حمراء، ومنفضة سجائر، وقداحة، ملقاة معاً إلى جانب مشغل كاسيت وبعض المجلات. الصوت منخفض، لكنني تمكنت من سماع أغنية روك لم أتعرف عليها.

تزيح كل تلك الأشياء إلى العشب وتدعوني للجلوس، وتوقف الموسيقى. فور جلوسي أصبحت لدي رؤية واضحة للزقاق والمنزل المهجور من ورائه. يمكنني رؤية التمثال الحجري الصغير وأعشاب عصا الذهب والسياج المعدني. أراهن أنها كانت تراقبني من هنا طوال الوقت.

الباحة كبيرة ومتواضعة. العشب يشكل منحدراً خفيفاً تتخلله بعض النبتات هنا وهناك. هناك بركة كبيرة إلى يسار الكرسيين، ومن الواضح أنها لم تكن تستخدم كثيراً مؤخراً. بعد تجفيفها من الماء، يبدو

قاعها تحت الشمس بلون متغير ضارب للخضرة، كمخلوق مائي مقلوب. أتأمل الواجهة الأنيقة المائلة للمنزل القديم على الطراز الغربي، لم يكن كبيراً جداً أو مترفاً، يتموضع خلف صف من الأشجار. فقط الباحة هي التي تبدو أنها تحظى بعناية أصحابها.

أقول:

- ذات مرة كنت أعمل بخدمة جز العشب بدوام جزئي.

- آه، حقاً؟

تقول الفتاة دون اكتراث

- لابد أن العناية بباحة بهذا الحجم تتطلب مجهوداً كبيراً.

أعلق وأنا أنظر حولي.

- أليس لديكَ باحة في منزلك؟

- واحدة صغيرة. بها اثنين أو ثلاثة من شجيرات الهورتنسيا. وهذا كل شيء. هل أنتِ هنا لوحدك طوال الوقت؟

- نعم، خلال النهار، تأتي الخادمة في الصباح والمساء، عدا عن ذلك أكون لوحدي. ما رأيك بشراب بارد؟ لدي جعة أيضاً.

- لا، شكراً.

- حقاً؟ هيا، لا تكن خجولاً.

- لا أشعر بالعطش. ألا تذهبين إلى المدرسة؟

- ألا تذهب إلى العمل؟

أقر:

- ليس لدي عمل لأذهب إليه.

- عاطل عن العمل؟

- نوعاً ما، لقد استقلت.

- ما نوع العمل الذي كنت تزاوله؟

- ساعي محامين.

أقول بمواربة، آخذ نفساً عميقاً لأتمهل قليلاً.

- أحمل الأوراق بين المكاتب الحكومية، أرتب الوثائق الحكومية، أتفقد السوابق القضائية، أتولى إجراءات المحكمة، وأشياء من هذا القبيل.

- لكنك استقلت؟

- صحيح.

- أتعمل زوجتك؟

- أجل، تعمل.

أخرج سيجارة وأضعها في فمي، أشعلها مستخدماً عود ثقاب. يزعق طائر الزنبرك من شجرة مجاورة، إثني عشر أو ثلاثة عشر لفة زنبرك، ثم ينتقل إلى شجرة أخرى.

- دائماً ما تمر القطط من هنا.

تدلي الفتاة بملاحظة لا تمت بصلة إلى ما نقوله. وهي تشير إلى حافة العشب أمامنا.

- أترى تلك المحرقة خلف سياج سوزوكي؟ حسناً، تخرج من مكان قريب منه، وتركض إلى هنا، وتنحني أسفل البوابة، وتتجه إلى تلك الباحة هناك. المسار نفسه دائماً. أتعرف السيد سوزوكي؟ بروفيسور بالجامعة، يظهر على التلفاز معظم الوقت.

- السيد سوزوكي؟

تُدلي بمزيد من التفاصيل، لكن يتضح أنني لا أعرف السيد سوزوكي.

أقول:

- أكاد لا أشاهد التلفاز أبداً.

- عائلة مقيتة.

تقول الفتاة من بين أسنانها

- متغطرسون. الكثير منهم، كل الذين يظهرون على التلفاز عبارة عن مجموعة من المزيفين.

- آه.

تلتقط الفتاة علبة المارلبورو، تخرج و احدة، و تقلبها بين أصابعها دون إشعالها.

أردفت:

- حسناً، أفترض أن بعضاً منهم محترمون، لكنهم ليسوا من نوعي المفضل. أما عائلة مياواكي، أعتقد أنه لا بأس بهم. السيدة مياواكي كانت لطيفة، وكان السيد مياواكي يدير مطعمين أو ثلاثة تعمل بها العائلة.

- ماذا حدث لهم؟

- لا أعرف.

تقول الفتاة و هي تنقر طرف سيجارتها.

- على الأرجح كانوا مدينين بكثير من المال. أثيرت جلبة كبيرة عندما رحلوا. كان ذلك منذ سنوات. تخلوا عن كل شيء وغادروا. وبدأت أعداد القطط تتضاعف، ودائماً ما تتذمر أمي بشأنها.

- هل عددها كبير لهذه الدرجة؟

تضع السيجارة بين شفتيها وتشعلها بقداحتها، ثم تؤمي.

- جميع أشكال وأنواع القطط، بعضها يتساقط فراؤه، حتى أن هناك واحداً بعين واحدة... هناك كتلة كبيرة من اللحم حيث كانت عينه. مقرف، ها؟

- مقرف.

- إحدى قريباتي، أكبر مني بقليل، لديها ستة أصابع. لديها اصبع صغير آخر بجانب إصبعها الصغير، تبقيه مطوياً للأسفل دائماً، لذلك يمكنك ملاحظته بالكاد. فتاة جميلة للغاية.

أقول:

- أمـم.

- أتعتقد أن مثل هذه الأشياء تنتقل بالوراثة؟

- لا يمكنني الجزم.

تظل الفتاة صامتة لبعض الوقت. أدخن سيجارتي، وأصوب عيني ناحية طريق القطط. لم تمر ولا قطة واحدة طيلة هذا الوقت.

تقول الفتاة:

- هل أنت متأكد أنكَ لا تريد أن تشرب شيئاً؟ سأجلب لنفسي كولا.

- لا شكراً.

تنهض الفتاة من كرسيها، وتختفي في الظل وهي تجر ساقها. في هذه الأثناء ألتقط واحدة من المجلات الملقاة بالقرب من قدمي وأتصفحها. خلافاً لما توقعته، إنها مجلة رجالية شهرية. في الصفحة الوسطى هناك امرأة جالسة في وضعية شاذة وهي تباعد بين ساقيها، حيث يمكنك رؤية كل شيء. أضع المجلة حيث وجدتها، ثم أعيد توجيه أنظاري ناحية طريق القطط عاقداً ذراعي أمام صدري.

بعد فترة بدت لي كدهر، تعود الفتاة وفي يدها كأس من الكولا. استبدلت قميص أديداس ببكيني مع سروالها القصير، حمالة صدر صغيرة تظهر الشكل الكامل لنهديها مع أربطة معقودة بالخلف.

إنه يوم ساخن بلا شك. استلقي في مكاني تحت الشمس على الكرسي الطويل وقد تكونت بقع داكنة على قميصي الرمادي بفعل العرق.

- قل لي

تستأنف الفتاة من حيث انقطع الحديث

- لنفترض أنك اكتشفت أن الفتاة التي تحبها لديها إصبع سادس، ماذا كنت لتفعل؟

أقول:

- كنت لأبيعها إلى السيرك.

- حقاً؟!

- أمزح فحسب. ما كنت لأمانع على الأرجح.

- حتى و لو كان هناك احتمال أن تورثه لأطفالك؟

أفكر بالأمر قليلاً

- لا أعتقد أنني سأمانع، إصبع إضافي لن يسبب ضرراً كبيراً.

- ماذا لو كان لديها أربعة نهود؟

آخذ لحظة أخرى لأفكر بذلك

- لا أعرف.

***"أربعة نهود؟"*** لا أدري إلى أين تتجه هذه المحادثة، لذلك أقرر أن أغير الموضوع.

- كم تبلغين من العمر؟

- في السادسة عشرة، السنة الأولى من المدرسة الثانوية.

- لكنك لا تذهبين إلى المدرسة.

- تؤلمني ساقي إذا سرت بها كثيراً، ولدي ندبة بالقرب من عيني أيضاً. إنها مدرسة متشددة، سأتعرض للكثير من المتاعب إذا اكتشفوا أنني آذيت نفسي بالسقوط من دراجة نارية. لذلك أنا غائبة بداعي المرض، يمكنني أن آخذ السنة كلها إجازة إذا أردت، لست في عجلة للتخرج من المدرسة الثانوية.

كل ما استطيع قوله هو:

- أممم.

- لكن على أي حال، لنعود إلى ما كنا نتحدث عنه، قلت إنك لا تمانع الزواج بفتاة بستة أصابع، لكن أربعة نهود تخمد إثارتك.

- لم أقل إنها تخمد إثارتي، قلت لا أعرف فحسب.

- لماذا لا تعرف؟

- لا استطيع أن أتصور الأمر تماماً.

- لكن يمكنك تصور إصبع سادس.

- نوعاً ما.

- وما الفرق؟ ستة أصابع أو أربعة نهود؟

مجدداً، أقلّب الأمر في ذهني قليلاً، لكنني لا استطيع أن اشرح لها.

- قل لي، هل أطرح كثيراً من الأسئلة؟

تسألني الفتاة وهي تمعن النظر في عيني من خلف نظارتها الشمسية.

أجيب بسؤال:

- هل قيل لك ذلك من قبل؟

- أحياناً.

- طرح الأسئلة لا يضير أحداً، إنها تبعث على التفكير.

- مع ذلك، معظم الناس لا يفكرون بأسئلتي كثيراً، يجيبون بتلك الأجوبة التي لا معنى لها.

أهز رأسي ببطء، وأثبت عيني على طريق القطط. ما الذي أفعله هنا بحق الجحيم؟ ***لم تمر قطة لعينة واحدة من هنا بعد.***

أغمض عيني لعشرين أو ثلاثين ثانية، عاقداً ذراعي أمام صدري، مستلقياً في مكاني. يمكنني أن أشعر بحبيبات العرق تتجمع على أجزاء مختلفة من جسدي. على جبهتي، تحت أنفي، حول عنقي، وتثير شعوراً خفيفاً، وكأن هناك ريشات صغيرة مبللة تطفو في المكان هنا وهناك. يلتصق قميصي بصدري كعلم متدلي في يوم ساكن الهواء.

أشعر بثقل غريب لأشعة الشمس وهي تسقط على جفنيّ. يمكنني سماع أصوات حركة الثلج في كأس الفتاة.

تهمس الفتاة:

- يمكنك أن تغفو إذا أردت، سأوقظك إذا رأيت قطك.

أومي بصمت مغمضاً عيني.

صمت مطبق يسود المكان حالياً. لابد أن الحمامة وطائر الزنبرك قد طارا بعيداً. لا توجد أي حركة، أو صوت سيارة، أو حتى نسمة هواء. كل ما كنت أفكر به هو ذلك الصوت عبر الهاتف. ماذا لو كنت أعرف تلك المرأة حقاً؟

- هل أنت نائم؟

يأتيني صوت الفتاة واهناً جداً، أسمعه بالكاد.

- لا، أنا مستيقظ.

- أيمكنني الاقتراب؟ يسهل على أن اتحدث همساً.

- نعم، بالطبع.

أقول وعيناي لا تزالان مغمضتين.

أسمع الفتاة وهي تسحب كرسيها إلى جانب كرسيّ، ثم صوت الإطارات الخشبية وهي تلتصق.

هذا غريب - أقول مخاطباً نفسي - صوت الفتاة وعيناي مغمضتين يبدو مختلفاً تماماً عن صوتها وهما مفتوحتين. ما الذي يجري لي؟ لم يحدث هذا معي من قبل قط.

تسأل الفتاة:

- أيمكنني التحدث قليلاً؟ سأكون هادئة جداً، ليس عليك أن تجيبني. ويمكنك أن تنام في أي لحظة.

أقول:

- بالطبع.

تبدأ الفتاة:

- الموت. الناس يموتون. أجد الأمر برمته فاتناً.

إنها تهمس بالقرب من أذني، لذلك تدخل الكلمات إلى جسدي كدفق من الأنفاس الرطبة الدافئة.

أسأل:

- كيف ذلك؟

تضع الفتاة إصبعها على شفتي.

- الأسئلة ممنوعة. لا أريد أن أُسأل عن أي شيء حالياً. لا تفتح عينيك أيضاً. فهمت؟

أومي.

ترفع إصبعها عن شفتي، ويزحف الإصبع نفسه إلى معصمي.

- كنت أفكر كيف سيكون لو أنني تمكنت من شقّه بمبضع. لا أعني الجثة، بل جسد الموت نفسه. لابد أنه موجود في مكان ما، أعرف ذلك فحسب. واهن ومرن ككرة لينة. كتلة متشابكة من الأعصاب المشلولة. أود أن أخرجه من الجسد الميت وأفتحه. دائماً ما أفكر به، وأتخيل ما بداخله. سيكون على الأرجح دبقاً كمعجون أسنان جفّ داخل الأنبوب، ألا تعتقد ذلك؟ لا بأس، ليس عليك أن تجيب. طرياً من الخارج وكلما تعمقت للداخل يصبح أكثر صلابة. أريد أن

أشق الجلد وأزيل الجزء الخارجي الطري، حتى أصل إلى الجزء المركزي الصغير، الذي يكون أشبه بالكرات الفولاذية المستخدمة في العجلات. ألا تعتقد ذلك؟

تتنحنح الفتاة بضع مرات. ثم تواصل الحديث:

- هذا كل ما كنت أفكر فيه مؤخراً، ربما لأن لدي الكثير من أوقات الفراغ خلال اليوم. عندما لا يكون لدي ما أفعله، أسرح بأفكاري بعيداً، بعيداً جداً لدرجة أنه يصعب علي إيجاد طريق العودة.

ترفع الفتاة إصبعها من معصمي لتشرب ما تبقى من الكولا. يمكنني معرفة ذلك من صوت الثلج في الكأس الفارغ.

- لا بأس. سأراقب القط من أجلك. لا تقلق، سأخبرك إذا رأيت نوبورو واتانابي. لابد أنه سيأتي ماراً من هنا في أي لحظة. أعني، جميع القطط تسلك الطريق عينه. دعنا نتخيل أثناء انتظارنا، يقترب نوبورو واتانابي شيئاً فشيئاً، يسير عبر العشب، يتسلل تحت الجدار، يتوقف ويتشمم الزهور، يقترب في كل لحظة. حاول تصوره في ذهنك.

أسايرها وأحاول رؤية القط بعين عقلي، لكن كل ما استطيع فعله هو تجميع صورة ضبابية مهتزة لقط. الشمس الساطعة تلسع جفوني، وتشوه معالم الصورة المتكونة لدي. وفوق ذلك، مهما حاولت جاهداً، لا استطيع تذكر ملامح وجه نوبورو. استطيع تذكر القسمات الشاذة فقط، لكن الملامح الرئيسية مفقودة. حتى مشيته لا استطيع تذكرها.

تضع الفتاة إصبعها على معصمي مجدداً، هذه المرة تحركه كأنها ترسم شكلاً، شكل غريب غير واضح المعالم. شعرت وكأن ظلاماً من نوع ما يتغلغل في ذهني. لابد أنني على وشك النوم، لا أشعر بالنعاس، لكن شيء يخبرني انه أمر حتمي. أشعر بجسدي ثقيلاً على كرسي القماش.

وسط الظلمة المحتشدة حولي، تسطع في ذهني صورة جلية لأقدام نوبورو واتانابي الأربعة، أربعة مخالب بنية. دون أي صوت، تسير متعبة في منطقة ما.

- أي منطقة؟ أين؟

- ليست لدي فكرة.

- ألا يحتمل أن هناك نقطة في مكان ما أغفلت رؤيتها؟

تقول المرأة بنعومة.

استيقظ لأجد نفسي وحيداً. اختفت الفتاة من الكرسي المستكين إلى جوار كرسيّ. ظلت المنشفة والسجائر والمجلات في مكانها، لكن كأس الكولا ومشغل الكاسيت اختفيا.

تميل الشمس ناحية الغرب. يصل ظل أشجار الصنوبر إلى كاحليّ. تشير الساعة في يدي إلى 3:40. أهز رأسي بضع مرات. أنهض من الكرسي وألقي نظرة حولي، يبدو كل شيء كما كان. مرجة كبيرة، بركة جافة، سياج من الشجيرات، طائر حجري، أعشاب عصا الذهب، هوائي التلفاز. لكن ليس هناك قط، ولا فتاة أيضاً.

اقتعد بقعة ظليلة من العشب وأمرر راحة يدي على العشب المخضر. أراقب طريق القطط في انتظار عودة الفتاة. تمر عشر دقائق، ولا أثر للفتاة أو القط، أو لأي شيء يتحرك. أشعر بحيرة حيال ما علي فعله الآن.

أنهض مجدداً وأنظر ناحية المنزل، لكن ليس هناك ما يشير إلى وجود أحد. فقط الشمس الغاربة تلهب المشربية. ليس هناك ما يمكنني فعله سوى عبور العشب والعودة إلى الزقاق، ثم أعود أدراجي إلى المنزل، دون أن أعثر على القط. حسناً، على الأقل، بذلت كل ما بوسعي.

وفي المنزل، أدخل الملابس الجافة، وأقوم بالتحضيرات اللازمة لوجبة بسيطة. ثم اتهالك على أرضية غرفة الجلوس مسنداً ظهري إلى الجدار لقراءة صحيفة المساء. عند 5:30 يرن الهاتف إثني عشرة مرة، لكنني لا أرفع السماعة. وبعد انقطاع الرنين، يظل صوته يحوم في جو الغرفة كذرات غبار سابحة في الهواء.

أفكر في كتابة قصيدة عن طائر الزنبرك، لكن الأبيات الأولى لا تخطر لي. بالإضافة إلى أنني لا أعتقد أن فتيات المدارس الثانوية سيتحمسن لقراءة قصيدة عن طائر الزنبرك. إنهن لا يعلمن بوجود شيء كهذا أصلاً.

تعود زوجتي عند السابعة و النصف. تعتذر:

- آسفة، اضطررت للعمل لوقت متأخر. الفتاة التي تعمل بدوام جزئي لا فائدة منها، يقع كل العمل على عاتقي.

- لا بأس.

أقول ثم أذهب إلى المطبخ، أقوم بقلي قطعة من السمك في الزبدة، وأعد سلطة وحساء ميسو. في هذه الأثناء تقرأ زوجتي صحيفة المساء عند طاولة المطبخ.

تسألني:

- ألم تكن بالمنزل عند الخامسة والنصف؟ حاولت الاتصال بك لأخبرك أنني سأتأخر قليلاً.

أكذب:

- نفدت الزبدة وخرجت لأشتري بعضاً منها.

- هل تذكرت الذهاب إلى المصرف؟

- بالطبع.

- ماذا عن القط؟

- لا أثر له.

- آه.

أخرج من الحمام بعد العشاء لأجد زوجتي تجلس لوحدها في غرفة الجلوس المظلمة. أرتدي قميصاً رمادياً وأتلمس طريقي في العتمة إلى حيث كانت تجلس كحقيبة مهملة ومنسية في مطار ما. أجلس على الأريكة المقابلة وأنا أجفف شعري بمنشفة الحمام. أسأل:

- ما الأمر؟

- نفق القط، أعرف ذلك.

- هيا، إنه يستكشف الأنحاء المجاورة فحسب. سرعان ما سيشعر بالجوع و يعود. حدث هذا من قبل، أتذكرين؟ عندما كنا نعيش في كوينجي...

- هذه المرة الأمر مختلف. أشعر بذلك. القط نافق ويتعفن بين الحشائش في مكان ما. هل بحثت بين الحشائش في باحة المنزل المهجور؟

- كُفي عن ذلك. قد يكون منزلاً مهجوراً، لكنه منزل شخص ما، ولن أتعدى على ملكيات الآخرين.

تتهم زوجتي:

- أنت قتلته.

أتنهد بعمق وأجفف رأسي بالمنشفة مرة أخيرة.

- قَتَلتَه بنظرتِك تلك.

تكرر من الظلام.

أقول:

- كيف يعقل ذلك؟ أختفى القط من تلقاء نفسه. إنه ليس خطأي، يفترض أنك تعرفين هذا.

- أنتَ! أنتَ لم تحب ذلك القط قَط، على أي حال.

أقر:

- حسناً، قد يكون الأمر كذلك. لم أكن مغرماً بذلك القط كما كنتِ. مع ذلك، لم أسيء معاملته قط، وكنت أطعمه كل يوم. فقط لأنني لم أكن مفتوناً بذلك الشيء التافه، لا يعني أنني قتلته. إذا بدأت بقول أشياء كهذه سينتهي بي المطاف وأنا أحاول أن أقتل نصف سكان الأرض.

تصدر زوجتي حكمها:

- حسناً، هذه صفاتك. دائماً، دائماً هكذا.

أهم بالرد عليها، لكنها تجهش بالبكاء. أؤجل الحديث وألقي بالمنشفة في سلة الحمام، أذهب إلى المطبخ، وآخذ علبة جعة من الثلاجة، وأتجرع. يا له من يوم!

أقول لنفسي، نوبورو واتانابي، إلى أين ذهبت؟ ألم يقم طائر الزنبرك بلف الزنبرك الخاص بك؟

قصيدة منظومة ستكون كالتالي:

نوبورو واتانابي

إلى أين ذهبت؟

ألم يقم طائر الزنبرك

بلف الزنبرك الخاص بك؟

يرن الهاتف وأنا لم أشرب نصف علبة الجعة بعد.

- هلّا أجبتِ الهاتف؟

أصيح في ظلام غرفة الجلوس.

تقول زوجتي:

- محال! أجبه بنفسك.

- لا أريد أن أجيب.

لا أحد منا يجيب، ويظل الهاتف يرن بإلحاح. يحرك الرنين الغبار الطليق الطافي في الظلام. لا أحد منا يتفوه بكلمة. أنا أشرب جعتي، وزوجتي تواصل نشيجها. عشرون رنة قبل أن أفقد العدد وأدعه يرن فحسب. ليس هناك جدوى من العد للأبد.

# غارة المخبز الثانية

## (The Second Bakery Attack)

ما زلت غير متأكد من أنني قد اتخذت القرار الصائب عندما أخبرت زوجتي عن غارة المخبز، لكن عندها قد لا تكون المسألة مسألة صواب أو خطأ، فالخيارات الخاطئة قد تنتج عنها نتائج إيجابية، والعكس صحيح. أنا عن نفسي تبنيت الرأي القائل بأننا في الواقع لا نختار شيئاً على الإطلاق. الأشياء تحدث، أو لا تحدث.

إذا نظرت للأمر من هذه الناحية، من الممكن جداً أن يحدث أنني أخبرت زوجتي عن غارة المخبز. لم أخطط لذكر الأمر - كنت قد نسيت تماماً كل ما يتعلق بالغارة - لكن الأمر أيضاً لم يكن على طريقة: "بما أنك ذكرت الأمر؛ لنتحدث عنه".

ما ذكّرني بأمر غارة المخبز كان جوعاً لا يطاق، وقد شعرنا به قبيل الساعة الثانية صباحاً. تناولنا عشاءاً خفيفاً عند السادسة، تسللنا إلى الفراش عند التاسعة والنصف، ورحنا في سبات عميق. لسبب ما، استيقظ كلانا في اللحظة نفسها تماماً، وبعدها بدقائق قليلة، احسسنا بوخزات الجوع العنيفة.

لم تحتوِ ثلاجتنا على شيء واحد يمكن تصنيفه حرفياً كطعام، كان لدينا قارورة متبلات فرنسية، ست علب جعة، وبصلتان ذابلتين، وقطعة من الزبدة، وعلبة من مزيل روائح الثلاجة. وبما أنه قد انقضى اسبوعان فقط منذ زواجنا فما تزال أمامنا مهمة إرساء قواعد التفاهم الزوجي الدقيق في ما يتعلق بالسلوك الغذائي، ناهيك عن أي شيء آخر.

كانت لدي وظيفة في شركة محاماة، وهي كانت تقوم بعمل يتعلق بالسكرتاريا بأحد مدارس التصميم. كنتُ إما في الثامنة

والعشرين أو التاسعة والعشرين – لماذا لا أستطيع تذكر العام الذي تزوجنا فيه بالتحديد؟! - وهي كانت تصغرني بعامين وثمانية أشهر. كان الاهتمام بحاجيات البقالة آخر ما يطوف بأذهاننا.

كان كلانا أشد جوعاً من أن يعود إلى النوم، لكن من المؤلم أن نستلقي في أماكننا فحسب. غادرنا الفراش، وسرنا بتخبط إلى المطبخ، وأنتهى بنا المطاف جالسين متقابلين عند طرفي طاولة. ما الذي يمكن أن يسبب جوعاً عنيفاً كهذا؟

تعاقبنا على فتح باب الثلاجة ونحن نمنّي نفسينا، لكن في كل مرة نظرنا بداخلها لم تتغير محتوياتها قط، الجعة، والبصل، والزبدة، والمتبلات، ومزيل الروائح.

كان من الممكن قلي البصلتين في الزبدة، لكن من المستبعد تماماً أن تملأ تلكما البصلتين الذابلتين معدتينا الخاليتين. يفترض بالبصل أن يؤكل مع أطعمة أخرى، فهو ليس من نوع الأطعمة التي تشبع الشهية.

- هل ترغب المدام في بعض المتبلات الفرنسية المقلية في مزيل الروائح؟

توقعت منها أن تتجاهل محاولتي في أن ابدو مرحاً، وقد فعلت.

قلت:

- لنستقل السيارة ونبحث عن مطعم من تلك التي تعمل طوال الليل، لابد أن نجد واحداً على الطريق السريع.

رفَضَتْ الاقتراح قائلةً:

- لا تستطيع، لا يجدر بك الخروج للأكل بعد منتصف الليل.

وقد كانت قديمة الطراز بقولها ذلك.

أخذت نفساً وقلت:

- لن نخرج إذاً.

كلما عبرت زوجتي عن رأي كهذا (أو نظرية)، فإنه يتردد في أذني كأنما له سلطة الوحي. وربما ذلك ما يحدث مع المتزوجين حديثاً، لا أدري. لكنها عندما قالت لي ما قالته، بدأت أظن أنه كان جوعاً من نوعٍ خاص، ليس من النوع الذي يمكنك إشباعه بمجرد الذهاب إلى مطعم يعمل طوال الليل على الطريق السريع.

جوع من نوع خاص. وما الذي قد يعنيه ذلك؟

يمكنني أن أشرح الأمر مستخدماً صورة سينمائية: ***"أنا على قارب صغير، يطفو على بحرٍ هاديء. أنظر للأسفل، وفي داخل الماء أرى فوهة بركان ينتصب من قاع محيط. تبدو الفوهة قريبة نوعاً ما من سطح الماء، لكنني لا استطيع أن أحدد مدى قربها؛ وذلك بسبب أن الشفافية الفائقة للماء تتداخل مع ادراكي للمسافات."***

هذا وصف دقيق إلى حد ما للصورة التي تشكلت في ذهني خلال الثانيتين أو الثلاث ثواني عندما قالت زوجتي إنها ترفض أن نذهب إلى مطعم، وبين موافقتي لها بقولي: "لن نخرج إذاً". وبما أنني لست سيجموند فرويد، فقد كنت بطبيعة الحال غير قادر على – و لو بصورة قريبة - تحليل مغزى ودلالة هذه الصورة، لكنني علمت حدسياً أنها كانت إلهاماً. ولهذا السبب - وبالرغم من حدة الجوع الرهيبة - وافقتها، بصورة آلية تقريباً، على نظريتها (أو تصريحها).

قمنا بالأمر الوحيد الذي يسعنا فعله، فتحنا علب الجعة. كانت أفضل بكثير من أكل ذلك البصل. لم تكن تحب الجعة كثيراً، لذلك قمنا باقتسام العلب، اثنان لها وأربعة لي. وبينما كنت أحتسي العلبة الأولى، أخذت تنقب بين الأرفف كسنجاب. في النهاية عادت وفي يدها لفافة تقبع في قعرها أربع كعكات محلاة بالزبدة، كانت من البقايا، رخوة ورطبة، لكننا التهمناها، اثنين لكلٍ، متلذذين بكل فتاتة منها.

لكن بلا جدوى. مع جوعنا هذا الذي يبدو وكأن لا حدود له، لم تترك كعكات الزبدة والجعة أي أثر.

تسرب الوقت خلال الظلام كثقل رصاصي داخل أحشاء سمكة. قرأت الكتابة على علب الجعة المصنوعة من الألمنيوم. حدقت في ساعتي. تطلعت إلى باب الثلاجة. تصفحت صحيفة البارحة. استخدمت حافة البطاقة البريدية لكشط وتجميع فتات الكعك من على اللابتوب.

قالت:

- لم أشعر بجوع كهذا طوال حياتي، أتساءل إن كان للأمر علاقة بالزواج؟

قلت:

- ربما، أو ربما لا.

أثناء بحثها عن المزيد من فتات الطعام، اتكأتُ على حفة قاربي، ونظرت للأسفل ناحية فوهة البركان تحت الماء. نقاء مياه المحيط حول القارب في كل الاتجاهات منحني شعوراً بالاضطراب، شعرت بتجويف ينشأ في منطقة ما أعلى بطني. شيء ما عن ذلك الإحساس الغريب بالعدم – ذلك الشعور بالواقع الوجودي لعدم الوجود - كان أشبه بالخوف الذي تشعر به عندما تتسلق قمة برج كنيسة شاهقة. هذا الارتباط بين الجوع ورهاب المرتفعات، كان اكتشافاً جديداً بالنسبة لي.

لقد خطر لي بأنني قد مررت بنفس التجربة من قبل. كانت معدتي خاوية عندها أيضاً... متى؟... آه، بالتأكيد، كان ذلك...

- عندما أغرنا على المخبز.

سمعت نفسي أقول ذلك.

- غارة على مخبز؟ ما الذي تتحدث عنه؟

وهكذا بدأ الأمر.

- لقد قمت بغارة على مخبز ذات يوم، منذ زمن بعيد، لم يكن مخبزاً كبيراً ولا شهيراً، والخبز نفسه لم يكن هناك ما يميزه، لكنه لم يكن سيئاً أيضاً. كان أحد تلكم المخابز الصغيرة وسط الأحياء، يقبع بين عدد من المحلات. يديره عجوز ما، كان يقوم بكل العمل، يخبز في الصباح، وعندما تنفد الكمية يغلق المخبز لبقية اليوم.

- إذاً كنت ستسطو على مخبز، لماذا اخترت ذلك المخبز تحديداً؟

- حسناً، لم يكن هناك معنى للإغارة على مخبز كبير، كل ما كنا نريده هو الخبز، وليس المال، لم نكن لصوصاً.

- كنا؟ من تقصد بـ (كنا)؟

- أنا وصديقي المقرب في ذلك الوقت. قبل عشرة أعوام. كنا مفلسين لدرجة عدم قدرتنا على شراء معجون أسنان. لم يكن لدينا ما يكفي من الطعام قط، لقد قمنا ببعض الأشياء الفظيعة لنضع أيدينا على الطعام، غارة المخبز كانت إحداها.

نظرت إليّ بتمعُّن، عيناها كما لو كانت تبحث عن نجم متلاشٍ في سماء الصباح، وقالت:

- أنا لا أفهم، لماذا لم تحصل على عمل؟ كان بإمكانك العمل بعد المدرسة، كان ذلك ليكون أسهل من الإغارة على المخابز.

- لم نكن نريد أن نعمل، كنا واضحين بهذا الشأن.

- حسناً، أنتَ تعمل الآن، أليس كذلك؟

أومأتُ، وارتشفت مزيداً من الجعة، ثم فركتُ عيني. نوع من الوحل الممزوج بالجعة تغلل إلى داخل دماغي، وكان يعاني من وخزات جوعي.

قلت:

- الزمن يتغير، والناس يتغيرون. لنعود إلى الفراش، علينا الاستيقاظ مبكراً.

- لا أشعر بالنعاس. أريد منك أن تخبرني عن مغارة المخبز.

- ليس هناك ما يذكر، لم تكن مغامرة مثيرة.

- هل كانت ناجحة؟

يئست من أمر النوم. فتحت علبة جعة أخرى. عندما تبدي اهتمامها بقصة ما، لابد أن تسمعها كاملة بكل تفاصيلها، إنها هكذا فحسب.

- حسناً، كانت ناجحة من ناحية، كما لم تكن ناجحة من ناحية أخرى. حصلنا على ما كنا نريده، لكن باعتبارها عملية سطو مسلح، لم تنجح. منحنا صاحب المخبز الخبز قبل أن نتمكن من أخذه منه عنوة.

- مجاناً؟

هززت رأسي

- ليس تماماً، لا. هذا هو الجزء الصعب. كان صاحب المخبز مهووساً بالموسيقى الكلاسيكية، وعندما وصلنا إلى مخبزه، كان يستمع إلى ألبوم استهلالات موسيقية لفاغنر. لذلك عقد معنا صفقة. إذا استمعنا إلى الأسطوانة إلى نهايتها، يمكننا أن نأخذ ما نشاء من الخبز. ناقشتُ الأمر مع رفيقي، ووافقنا. إنه لن يكون عملاً بالمعنى الدقيق للكلمة، كما أن الموسيقى لن تؤذي أحداً. أعاد كل منا سكينه إلى الحقيبة، وجذبنا مقعدين واستمعنا إلى استهلاليات تانهوسر والهولندي الطائر.

- وبعد ذلك، هل حصلتما على الخبز؟

- صحيح، معظم ما كان لديه في المحل، قمنا بحشوه داخل حقيبتنا، وأخذناه للمنزل، وقد سد حاجتنا من الطعام لأربعة أو خمسة أيام.

أخذتُ رشفة أخرى. قام نعاسي بهز قاربي هزة طويلة وبطيئة، كأمواج صامتة قادمة من زلزال تحت البحر.

- بالطبع أنجزنا مهمتنا. حصلنا على الخبز، لكن لا يمكنك أن تقولي أننا قد ارتكبنا جريمة. كان الأمر أشبه بعملية تبادل. استمعنا إلى فاغنر معه، وبالمقابل حصلنا على خبزنا. لو تحدثنا من ناحية قانونية، كانت العملية أقرب إلى صفقة تجارية.

- لكن الاستماع إلى فاغنر ليس عملاً!

- آه، لا، قطعاً لا. إن كان صاحب المخبز قد أصر على أن نغسل الأطباق أو ننظف النوافذ أو ما شابه ذلك، كنا سنرفض عرضه، لكنه لم يفعل. كل ما أراده منا هو أن نستمع إلى فاغنر من البداية إلى النهاية. لم يكن بمقدور أحد أن يتوقع ذلك. أعني، فاغنر؟ يبدو وكأن صاحب المخبز قد أنزل بنا لعنة. الآن عندما أفكر بالأمر، كان ينبغي علينا أن نرفض، كان يجدر بنا أن نهدده بالسكين وننتزع منه الخبز اللعين. عندها ما كانت لتحدث أي مشكلة.

- حدثت لك مشكلة؟

فركت عيني مرة أخرى.

- نوعاً ما، ليست مشكلة ملموسة أو واضحة. لكن بدأت الأشياء تتغير بعد ذلك، كانت نقطة تحول من نوع ما. على سبيل المثال، عدت إلى الجامعة، وتخرجت، وبدأت العمل بالشركة والدراسة لامتحان المحاماة ثم التقيتُ بك وتزوجنا. لم أفعل شيئاً كهذا بعد ذلك قط. لا مزيد من غارات المخابز.

- أهذا كل ما في الأمر؟

- أجل، هذا ما كان عليه الأمر.

تجرعت ثمالة علبة الجعة الأخيرة. الآن فرغت علب الجعة الست، واستلقت ستة اغطية منها على منفضة السجائر كحراشف حورية ماء.

بالتأكيد لم يكن صحيحاً ما قلته بأن شيئاً لم يحدث كنتيجة للغارة على مخبز، هناك العديد من الأشياء الملموسة والواضحة، لكنني لم أرغب في التحدث عنها معها.

- إذن، صديقك هذا، ما الذي يفعله الآن؟

- ليست لدي أدنى فكرة، حدث شيء ما، شيء من نوع لا شيء، وتوقفنا عن التسكع معاً، ولم أره منذ ذلك الوقت ولا أعلم ما يفعله.

ظلت صامتة لبرهة، على الأرجح استشعرت بأنني لا أروي لها القصة كاملة، لكنها لم تكن مستعدة للضغط علي بهذا الشأن.

قالت:

- مع ذلك، هذا هو السبب الذي افترقتما من أجله، أليس كذلك؟ غارة المخبز كانت السبب المباشر.

- قد يكون الأمر كذلك. أعتقد أن أثر الحادثة كان أكبر مما ظننا. تحدثنا عن علاقة الخبز بفاغنر لبضعة أيام بعد ذلك. ظللنا نتساءل إذا ما كنا قد قمنا بالخيار الصحيح، لكننا لم نتوصل إلى إجابة. إذا نظرتِ للأمر من ناحية منطقية، فنحن قد اتخذنا القرار الصحيح بالفعل. لم يتأذَ أحد. حصل الجميع على ما أراد. نجح صاحب المخبز – الذي ما زلت غير قادر على معرفة لماذا فعل ما فعله – في دعايته لفاغنر. ونحن نجحنا في حشو فاهينا بالخبز.

ولكن مع ذلك، لازمنا الإحساس بأننا قد اقترفنا خطأ جسيماً. وبطريقة ما، ظل ذلك الخطأ دون معالجة، يلقي بظلال قاتمة على حياتنا. لهذا السبب استخدمت كلمة (لعنة). إنها تبدو كلعنة بالفعل.

- أتعتقد بأنها لا تزال تلازمك؟

أخذت أغطية العلب الست من منفضة السجائر، وقمت برصفها على شكل حلقة من الألمنيوم بحجم سوار.

- من يدري؟ لا أعرف. أراهن أن العالم مليء باللعنات، يصعب تحديد أي واحدة منها تتسبب بانحراف الأمور عن مسارها الصحيح.

- هذا ليس صحيحاً

ونظرت في عيني مباشرة.

- يمكنك أن تعرف، إذا فكرت بالأمر. وما لم تقم أنت – بنفسك وشخصياً - بكسر اللعنة، ستلازمك كألم الأسنان. ستحول حياتك إلى جحيم حتى تموت. وليس أنتَ فقط، أنا أيضاً.

- أنتِ؟

- حسناً، أنا صديقتك المقربة الآن، أليس كذلك؟ لماذا تعتقد أننا الاثنان نتضور جوعاً؟ فأنا لم أشعر بجوع كهذا، ولو لمرة في حياتي حتى تزوجتك. ألا تعتقد بأن هذا أمر غير عادي؟ لعنتُكَ تشملني أنا أيضاً.

أومأتُ. ثم قمت بتفكيك حلقة أغطية العلب وأعدتها إلى منفضة السجائر. لم أعلم إذا كانت محقة أم لا، لكنني استشعرتُ بأنها كانت تخطط لأمر ما.

عاد إلي الشعور بالجوع أشد مما سبق، وكان يسبب لي صداعاً حاداً، كل وخزة أحس بها في معدتي كان يتم إرسالها إلى صميم

دماغي بحزمة من الأسلاك، كما لو كانت أحشائي مزودة بكافة أنواع الآليات المعقدة.

ألقيت نظرة أخرى ناحية البركان تحت البحر. كانت المياه أكثر نقاءاً من ذي قبل، أكثر نقاء بكثير. شعرت كما لو أن القارب معلق في الهواء، لا يسنده شيء إطلاقاً. كان بإمكاني رؤية كل حصاة صغيرة في قاع البحر. كل ما كان علي هو أن أمد يدي وألمسها.

قالت:

- نحن نعيش معاً منذ أسبوعين فحسب، لكن طوال هذا الوقت كنت استشعر حضوراً غريباً من نوع ما.

نظرتْ داخل عيني مباشرة وضمت يديها على الطاولة مشبّكة اصابعها.

- بالتأكيد لم أكن أعلم بأنها لعنة حتى الآن. هذا يفسر كل شيء. أنتَ ملعون.

- أي نوع من الحضور؟

- كأنما هنالك ستارة غامضة تتدلى من السقف، ثقيلة، يعلوها الغبار ولم يتم غسلها منذ سنوات.

قلت وأنا أبتسم:

- ربما لا تكون لعنة، قد يكون هذا أنا فحسب.

لم تبتسم. وقالت:

- لا، ليس أنت.

- حسناً، دعينا نقول أنك محقة، لنفترض أنها لعنة، ماذا يمكنني أن أفعل بشأنها؟

- أسطُ على مخبز آخر، في الحال، الآن، إنها الطريقة الوحيدة.

- الآن؟

- نعم ، الآن، بينما لا تزال جائعاً، ينبغي عليك أن تنهي ما بدأته.

- لكننا في منتصف الليل، هل سنجد مخبزاً مفتوحاً الآن؟

- سنجد واحداً. طوكيو مدينة كبيرة، لابد أن هناك مخبزاً واحداً يعمل طوال الليل.

ركبنا سيارتي الكورولا القديمة وانطلقنا هائمين على وجهينا في طرقات طوكيو، نبحث عن مخبز عند الثانية والنصف صباحاً. ها نحن ذا، أنا أقبض على عجلة القيادة، وهي على مقعد الملاح، نقوم بمسح الشوارع كنسرين جائعين يبحثان عن فريسة.

على المقعد الخلفي تتمدد بندقية صيد طويلة ومتيبسة كسمكة ميتة، كانت بندقية أوتوماتيكية من طراز رومنغتون. تقبع أغلفة البارود الخاصة بها داخل جيب سترة زوجتي. كما كان لدينا زوج من أقنعة التزلج السوداء داخل صندوق القفازات. لم تكن لدي أدنى فكرة عن لماذا تمتلك زوجتي بندقية صيد أو أقنعة تزلج. لم يمارس أي منا التزلج قط. لكنها لم تفسر لي، وأنا بدوري لم اسأل. كم هي غريبة الحياة الزوجية هذه.

متسلحين بكل ما يلزم، لم نتمكن من العثور على مخبز يعمل طوال الليل. شققت طريقي خلال الشوارع الخالية، من يوبوجي إلى شينجوكو، وصولاً إلى يوتسويا وأكاسكا وأوياما وهيروو وروبونغي وديكانياما وشيبويا. الحياة الليلية بطوكيو تتوفر على جميع اصناف المحلات والناس، لكن ليس المخابز.

صادفنا سيارات دوريات الشرطة مرتين، كانت واحدة تربض بجانب الطريق، تحاول ألا تبدو ظاهرة للعيان. الثانية مرت إلى

جوارنا زاحفة ببطء قبل أن تتخطانا وتختفي في الأفق. وفي كلتا المرتين احسست برطوبة تحت إبطيّ، لكن زوجتي لم يتزعزع تركيزها قط في العثور على المخبز المنشود. في كل مرة تغير من وضعية جسدها، تصدر أغلفة البارود في جيبها خشخشة كقشور حنطة سوداء داخل وسادة عتيقة.

قلت:

- لننس الأمر، ليس هناك أي مخابز مفتوحة في هذا الوقت من الليل، عليك أن تخططي لمثل هذه الامور، و إلا...

- أوقف السيارة!

ضَغطتُ على المكابح بعنف.

قالت:

- هذا هو المكان.

كانت مصاريع المحلات على جانبي الطريق مغلقة، تشكل جدارين قاتمين صامتين. وتدلت لافتة صالون حلاقة في الظلام كعين زجاجية باردة ومخبولة. كانت هناك لافتة مضيئة لمطعم ماكدونالدز على بعد حوالي مائتي ياردة أمامنا، لكن لا شيء آخر.

قلت:

- لا أرى أي مخبز.

دون أي كلمة، فتحَت صندوق القفازات وجذبت شريطاً لاصقاً سميكاً. ترجلت عن السيارة. و ترجلت أنا من ناحيتي. جثت على ركبتيها أمام السيارة ومزقت قطعة من الشريط اللاصق وقامت بتغطية أرقام اللوحة، ثم توجهت إلى مؤخرة السيارة وفعلت الشيء نفسه. تشي تحركاتها بالدراية والتمرس. ظللت واقفاً على الرصيف أحدق بها.

- سنغير على مطعم ماكدونالدز ذلك.

قالت ذلك ببرود ولا مبالاة، كأنها تعلن عما سنتناوله على العشاء.

اوضحت لها قائلاً:

- ماكدونالدز ليس مخبزاً.

- إنه (أقرب) إلى مخبز. يتعين عليك القيام بتسويات وتنازلات من حين لآخر. هيا بنا.

قدت السيارة باتجاه المطعم، ركنتها في المكان المخصص. ناولتني البندقية الملفوفة داخل بطانية.

قلت باحتجاج:

- لم أطلق النار من سلاح في حياتي.

- ليس عليك أن تطلق النار، أحملها فحسب، حسناً؟ أفعل كما أقول لك، سندخل الآن، وما إن يقولوا (مرحباً بكم في ماكدونالدز)، نضع أقنعتنا. هل فهمت ذلك؟

- بالطبع، ولكن...

- ثم تقحم فوهة البندقية في وجوههم، وتقوم بجمع جميع العمال والزبائن في مكان واحد، بسرعة. وأنا سأتكفل بالباقي.

- لكن...

- ما العدد الذي سنحتاجه من شطائر البرغر في رأيك؟ ثلاثون؟

- أظن ذلك.

أخذتُ بندقية الصيد متنهداً، وسحبت عنها البطانية قليلاً. كان ذلك الشيء ثقيلاً ككيس من الرمل، وأسوداً كقطعة من الليل.

- هل علينا أن نفعل هذا حقاً؟

قلت موجهاً السؤال لها ولنفسي أيضاً.

- بالتأكيد علينا أن نفعله.

ابتسمت لنا الفتاة الواقفة خلف منضدة الاستقبال، وهي تعتمر قبعة ماكدونالدز، وقالت:

- مرحبا بكم في ماكدونالدز.

لم يخطر لي أن الفتيات يعملن في ماكدونالدز حتى وقت متأخر من الليل. ولذلك فإن رؤيتها أربكتني للحظة، فقط للحظة. تمالكت نفسي وجذبت القناع. حدقت الفتاة فاغرة فمها لرؤية الثنائي المقنع.

من الواضح أن دليل إرشادات الضيافة لدى ماكدونالدز لم يأتِ على ذكر كيفية التعامل مع وضع كهذا. كانت على وشك النطق بالعبارة التي تلي (مرحباً بكم في ماكدونالدز)، لكن يبدو أن حلقها قد تيبس، ووجدت صعوبة في إخراج الكلمات. ومع ذلك، ظل طيف من ابتسامتها- كإحدى متطلبات المهنة - عالقاً بحافتي شفتيها كهلال عند الفجر.

حللت البندقية بأسرع ما أمكنني، وصوبتها ناحية الطاولات، لكن لم يكن هناك سوى شاب وفتاة، على الأرجح أنهما طالبان، منكفئان على الطاولة البلاستيكية، يغطان في نوم هادئ، اصطف رأسيهما وكوبي مخفوق الحليب بالفراولة كمنحوتة طليعية. كانا ينامان نوم الأموات. لم يبد أنهما سيعيقان سير عمليتنا، لذلك وجهت بندقيتي مجدداً ناحية منضدة الاستقبال.

كانوا جميعهم ثلاثة عمال، فتاة الاستقبال، والمدير- الذي كان رجلاً شاحباً، ذو وجه بيضاوي، على الأرجح في أواخر العشرينات من عمره - والآخر يبدو أنه طالب، يعمل في المطبخ، كان شاباً ضئيلاً ذو ملامح جامدة. انتصبوا جميعهم خلف منضدة الحسابات ينظرون مشدوهين داخل فوهة بندقيتي كسياح يحدقون داخل بئر تعود لحضارة الإنكا.

لم يصرخ أحد أو يقوم بأي حركة استفزازية. كانت البندقية ثقيلة للغاية، أرحتُ ماسورتها على منضدة الحسابات، واضعاً إصبعي على الزناد.

قال المدير بصوت مبحوح:

- سأعطيكما المال، إنهم يأتون ويأخذونه عند الحادية عشرة، لذلك ليس لدينا الكثير، لكن بوسعكما أخذ كل ما لدينا، فلدينا تأمين.

قالت زوجتي:

- أنزل المصراع الأمامي وأطفئ اللافتة.

- مهلاً، لا استطيع أن أفعل ذلك، سيتم تحميلي المسؤولية إذا اغلقت المحل دون إذن.

أعادت زوجتي أوامرها ببطء. بدا المدير في حالة يرثى لها.

حذرتُه قائلاً:

- من الأفضل لك أن تنفذ ما تقوله.

نظر إلى فوهة البندقية على سطح المنضدة، ثم إلى زوجتي، ثم إلى البندقية مرة أخرى. وأخيراً رضخ للأمر الواقع. أطفأ اللافتة، وكبس زراً على لوحة كهربائية فأنزل المصراع. راقبته بحذر طوال الوقت خشية أن يطلق جهاز الإنذار. لكن من الواضح أنهم في مطاعم

ماكدونالدز لا يملكون أجهزة إنذار ضد اللصوص. ربما لم يخطر على بال أحدهم أن يسطو على أحدها.

أصدر المصراع الأمامي جلبة هائلة، مثل سطل معدني فارغ يتم تحطيمه بمضرب بيسبول، لكن الشاب والفتاة النائمين لم يحركا ساكناً، عندما يتعلق الأمر بالنوم العميق، لم أر شيئاً كهذا منذ سنوات.

قالت زوجتي:

- ثلاثون شطيرة همبرغر كبيرة.

- استعطف المدير:

- دعاني أعطيكما المال فحسب، سأعطيكما أكثر مما تحتاجانه، يمكنكما الذهاب وشراء الطعام في مكان آخر. ستؤثر هذه الكمية في حساباتي و...

قلت مجدداً:

- من الأفضل لك أن تنفذ ما تقوله.

توجه ثلاثتهم إلى المطبخ، وشرعوا في إعداد ثلاثين شطيرة همبرغر. الطالب يشوي البرغر، والمدير يضعها بين رغيفين، والفتاة تقوم بلفها. لم يتفوه أحد بكلمة.

اتكأتُ على ثلاجة كبيرة مصوباً بندقيتي ناحية المشواة، اصطفت شرائح اللحم على المشواة في شكل دوائر بنية. تغلغلت رائحة اللحم المشوي الزكية عبر مساماتي كسرب من الحشرات المجهرية لتذوب في دمي وتسبح معه إلى جميع أركان جسدي، ثم احتشدت جميعها داخل مغارة جوعي المغلقة، متشبثة بجدرانها الزهرية.

أخذت كومة الشطائر الملفوفة تنمو شيئاً فشيئاً. انتابتني رغبة عارمة في الشروع بالتهامها، لكنني لم أكن واثقاً من أن تصرفاً كهذا

سيكون متوافقاً مع غايتنا، فاضطررت للانتظار. كان جو المطبخ حاراً، فبدأت التعرق تحت قناع التزلج.

استمر عمال ماكدونالدز في اختلاس النظرات ناحية فوهة بندقيتي. فركت أذني بيسراي مستخدماً أصبعي الصغير. دائماً ما أشعر بتهيج في أذني عندما اتوتر. اثناء محاولتي لهرش أذني من فوق القناع، كانت ماسورة البندقية تتأرجح لأعلى وأسفل، الامر الذي بدا أنه يزعجهم. ما كانت بندقيتي لتنطلق عن طريق الخطأ، لأنني وضعت صمام الأمان، لكنهم لم يكونوا على دراية بذلك، ولم تكن لدي النية في إخبارهم.

أحصت زوجتي الشطائر الجاهزة، ووضعتها في كيسي تسوق، خمسة عشرة في كل منها.

سألتني الفتاة:

- أمن الضروري حقاً أن تفعلا هذ؟ لماذا لا تأخذان المال وتبتاعا ما تريدان؟ ما الأمر الرائع في أكل ثلاثين شطيرة همبرغر كبيرة؟

هززتُ رأسي ولم أقل شيئاً.

شرحت لها زوجتي: "نحن آسفان، حقاً، لكننا لم نجد أي مخابز مفتوحة، كنا سنسطو على واحد منها إذا وجدناه.

يبدو أنهم قد اقتنعوا بما قالته، على الأقل لم يطرحوا مزيداً من الاسئلة. ثم طلبت زوجتي من الفتاة عبوتي كولا كبيرتين، ودفعت ثمنهما.

قالت: "نحن نسرق الخبز، لا شيء آخر."

أجابت الفتاة بحركة معقدة من رأسها، إيماءة من نوع ما، وهزة من نوع ما. كانت على الأرجح تحاول أن تقوم بالاثنين معاً في الوقت نفسه. ظننت بأن لدي فكرة عن شعورها.

أخرجت زوجتي كرة من الحبال من جيبها – جاءت مزودة بكل ما يلزم - وقامت بتقييد ثلاثتهم بخبرة و دراية، كأنها تثبت بعض الأزرار. سألتهم إذا ما كان الحبل مشدوداً أكثر من اللازم، أو إذا ما كانت لدى احدهم الرغبة في الذهاب إلى دورة المياه، لكن لم ينبس أحدهم ببنت شفة. قمت بلف البندقية بالبطانية، وحملت هي كيسي التسوق وانطلقنا خارجاً. كان الزبونان عند الطاولة لا يزالان نائمين كزوج من أسماك أعماق البحار. ما الذي كان سيتطلبه الأمر لإيقاظهما من نوم عميق كهذا؟

قدنا السيارة لنصف ساعة، عثرنا على مكانٍ خالٍ بالقرب من مبنى. ركنت السيارة، والتهمنا البرغر وشربنا عبوتي الكولا. أرسلت ست شطائر برغر إلى تجويف معدتي، بينما التهمت هي أربعة. وذلك يترك عشريناً منها على المقعد الخلفي. تلاشى جوعنا – ذلك الجوع الذي بدا وكأنه سيستمر إلى الأبد - مع بزوغ الفجر. صبغت أشعة الشمس الأولى الجدران القذرة بلون أرجواني، وانعكست بتوهج على لوحة اعلانية لـ سوني بيتا. وسرعان ما أمتزج أنين إطارات شاحنات الطريق السريع بزقزقة الطيور. كان راديو القوات المسلحة الامريكية يبث موسيقى رعاة البقر. تشاركنا سيجارة. بعد ذلك، أسندت رأسها على كتفي.

سألتها:

- مع ذلك، أكان هذا ضرورياً حقاً؟

- بالطبع كان ضرورياً!.

أجابتني مطلقة تنهيدة عميقة. نامت ورأسها لا يزال على كتفي، شعرت بها ناعمة وخفيفة كقطة صغيرة.

الآن وقد صرت لوحدي، اتكأت على حافة قاربي ونظرت إلى قاع البحر، كان البركان قد أختفى. عكس سطح الماء الساكن زرقة السماء. المويجات الصغيرة – كبيجاما حريرية ترفرف في النسيم - تُربِت بحنو على جانبي القارب. ولم يكن هناك شيء آخر.

تمددتُ في قاع القارب وأغمضت عيني، في انتظار المد ليحملني إلى حيث أنتمي.

# فطائر العسل

# (Honey Pie)

"ثم ملأ ماساكيشي مخلبيه بالعسل - أكثر بكثير مما يمكنه أن يأكله بنفسه - ووضعه في دلو، ثم انحدر إلى أسفل الجبل، وسار حتى وصل إلى البلدة ليبيع ما جمعه من العسل. كان ماساكيشي دب العسل رقم واحد على مر الزمان".

سألتْ سالا:

- هل تملك الدببة دلاءً؟

فسر لها جونبي قائلاً:

- ماساكيشي كان يملك واحداً، وجده ملقياً على قارعة الطريق، وظن أنه سيفيده في يوم ما.

- وهل استفاد منه؟

"نعم، بالفعل.اذاً، انطلق ماساكيشي إلى البلدة، ووجد لنفسه موضعاً في الساحة، فنصب لافتة مكتوب عليها: "عسل شهي، طبيعي تماماً. الكوب الواحد 200"

- هل تستطيع الدببة حساب النقود؟

- بالتأكيد، عاش ماساكيشي مع البشر عندما كان جرواً صغيراً، وقد علموه كيف يتكلم وكيف يعد النقود. كان ماساكيشي دباً مميزاً للغاية، ولذلك كانت الدببة الأخرى، والتي لم يكن هناك ما يميزها، تميل إلى تحاشيه.

- تحاشيه؟

- نعم، كانو يقولون لبعضهم: ما بال هذا الدب؟ لماذا يتصرف وكأنه أفضل منا؟ ويبتعدون عنه، خصوصاً تونكيتشي، الدب القوي، الذي كان يكره ماساكيتشي جداً.

- يا لماساكيتشي المسكين!

- نعم، بالفعل. وفي الوقت عينه كان البشر يقولون: حسناً، هو يعرف الحساب ويستطيع الحديث وما إلى ذلك. لكنه في نهايه المطاف مجرد دب. لذلك لم ينتمي ماساكيتشي إلى أي من العالمين، عالم الدببة أو عالم البشر.

- أليس لديه أي أصدقاء؟

- ولا صديقاً واحداً. الدببة لا ترتاد المدارس، كما تعلمين، لذلك ليس لديها مكان لإقامة صداقات.

- هل لديك أصدقاء يا جون؟

(عمي جونبي) كان طويلاً بالنسبة لها، لذلك تدعوه سالا بجون.

- والدك صديقي المفضل على الاطلاق، منذ زمن بعيد، بعيد جداً. وكذلك والدتك.

- إنه لأمر جيد أن يكون لديك أصدقاء.

قال جونبي: إنه أمر جيد، أنتِ محقة في ذلك.

كثيراً ما يختلق جونبي الحكايات لسالا قبل ذهابها إلى النوم. وعندما لا تستطيع فهم شيء، تطلب منه أن يفسره لها. وقد كان جونبي يفكر ملياً قبل أن يجيبها. ودائماً ما تكون أسئلتها مثيرة للإهتمام وذكية، وأثناء تفكيره بها، كان يقوم بإضافة منعطفات جديدة للحكاية التي يحكيها.

جلبت سايوكو كوباً من الحليب الدافئ.

قالت سالا:

- جونبي يحكي لي قصة ماساكيتشي الدب، إنه دب العسل رقم واحد على مر الزمان، لكنه ليس لديه أي أصدقاء.

- آه، حقاً؟ أهو دب كبير؟

التفتت سالا إلى جونبي وهي ترمقه بنظرة عدم ارتياح، وقالت:

- هل ماساكيتشي كبير؟

قال جونبي:

ليس كبيراً جداً، في الواقع إنه أقرب لأن يكون صغيراً، بالنسبة لدب. إنه بنفس حجمك تقريباً يا سالا. وهو دب صغير ولطيف للغاية. عندما يستمع للموسيقى، لا يستمع لموسيقى الروك والبانك ومثل تلك الأشياء. يحب أن يستمع إلى شوبيرت، لوحده.

تساءلت سالا:

- هل يستمع للموسيقى؟ هل يمتلك مشغل اسطوانات أو ما شابه؟

- وجد مسجلاً ملقياً على الارض ذات يوم. حمله وأخذه إلى المنزل.

- كيف يحدث أن كل أغراضه يجدها ملقاة هنا وهناك وسط الجبال؟

سألته سالا بنبرة متشككة.

حسناً، إنه جبل شديد الانحدار، ويشعر المتسلقون بالإغماء والدوار، ويلقون بالكثير من الأشياء التي لا يحتاجونها على قارعة الطريق. يقول أحدهم: "اووف، هذه الحزمة ثقيلة للغاية، أشعر بأنني

على وشك الموت! لست بحاجة إلى هذا الدلو بعد الآن، لست بحاجة إلى هذا المسجل بعد الآن.

قالت سايوكو:

- أعرف شعورهم تماماً، أحياناً ترغب في التخلص من كل شيء.

قالت سالا:

- لن أرغب في ذلك.

قال جونبي:

- هذا لأنك يافعة وتفيضين حيوية يا سالا. أسرعي واشربي حليبك حتى يمكنني أن أخبرك ببقية الحكاية.

- حسناً

قالت ذلك وهي تضم كفيها حول الكوب، وتشرب بعناية، وسألته مرة أخرى:

- لماذا لا يقوم ماساكيشي بصنع فطائر العسل و بيعها؟

قالت سايوكو مبتسمة:

- فكرة ممتازة، ستكون أرباحه أكثر بكثير بهذه الطريقة.

قال جونبي:

- استكشاف أسواق جديدة من خلال القيمة المضافة، ستصبح هذه الفتاة سيدة أعمال محنكة في يوم ما.

اقترب الوقت من الثانية صباحاً. ذهبت سالا لفراشها، انتظر جونبي وسايوكو حتى تغط في نومها، ثم ذهبا ليتقاسما علبة جعة على

طاولة المطبخ. لم تكن سايوكو تميل للشراب، وكان على جونبي أن يقود إلى المنزل.

قالت سايوكو:

- آسفة لأنني جررتك خارج المنزل في منتصف الليل، لكنني لم أكن أعلم ما أفعله غير ذلك. أشعر وكأنني قد استنفدت كل طاقتي، وأنت الوحيد الذي يمكنه تهدئتها. وكان من المحال أن أتصل بتاكاتسوكي.

أومأ جونبي وأخذ رشفة من الجعة.

- لا تقلقي بشأني، أظل مستيقظاً حتى شروق الشمس، والشوارع خالية في هذا الوقت من الليل. هذا ليس بالأمر الهام.

- أكنت تعمل على كتابة قصة؟

أومأ جونبي

- كيف تسير؟

- كالعادة، أكتبها، يطبعونها، ولا أحد يقرأها.

- أنا أقرأها، جميعها.

- شكراً، هذا لطف منك، لكن القصة القصيرة في طريقها للاندثار كمسطرة الحساب المنزلقة. لنتحدث عن سالا، هل تصرفت على هذا النحو من قبل؟

أومأت سايوكو.

- كثيراً؟

- كل ليلة تقريباً. أحياناً بعد منتصف الليل، تنتابها حالة هستيرية وتقفز خارج الفراش، ولا أستطيع أن أجعلها تتوقف عن البكاء. حاولت معها كل شيء.

- ألديك فكرة عما بها؟

تجرعت سايوكو ما تبقى من الجعة، وحدقت في الكوب الفارغ.

- أعتقد أنها شاهدت الكثير من التقارير الاخبارية عن الزلزال، أكثر من اللازم بالنسبة لطفلة في الرابعة. تستيقظ حوالي الوقت الذي وقع فيه الزلزال، تقول ان رجلاً ما أيقظها، شخص لا تعرفه. رجل الزلزال. وهو يحاول أن يضعها في صندوق صغير، أصغر من أن يتسع لأي شخص. تقول له إنها لا تريد ان تدخل، ويدفعها هو بقوة حتى تقرقع مفاصلها، ويحاول أن يحشوها حشواً داخل ذلك الصندوق. وعندها تصرخ وتستيقظ.

- رجل الزلزال؟

- إنه رجل عجوز، طويل ونحيل. بعد أن ترى الحلم، تطوف بالمنزل وتضيء جميع المصابيح بحثاً عنه، في خزانات الملابس وفي خزانة الاحذية، وفي الصالة الأمامية ، وتحت الأسرّة، وداخل جميع الأدراج. أقول لها إنه مجرد حلم، لكنها لا تعبأ بي، ولا تعود إلى فراشها حتى تكون قد بحثت في كل مكان يحتمل أنه يختبئ به. يستغرق ذلك ساعة على الأقل، وبعدها يكون النوم قد طار مني. أنا محرومة من النوم، ويمكنني بالكاد الوقوف، ناهيك عن العمل. لم تفصح سايوكو عن مشاعرها هكذا من قبل قط.

- حاولا ألاّ تشاهدا الأخبار، فالزلزال هو كل ما يعرضونه هذه الأيام.

- أكاد لا أشاهد التلفاز إطلاقاً الآن، لكن فات الأوان، فرجل الزلزال يستمر في الظهور.

فكر جونبي لبرهة، ثم قال:

- ما رأيك في الذهاب إلى حديقة الحيوانات يوم الأحد؟ تقول سالا أنها تريد رؤية دب حقيقي.

ضيقت سايوكو عينيها ونظرت إليه قائلة:

- ليست بالفكرة السيئة. قد يعدل ذلك مزاجها. لنذهب أربعتنا، فقد مر وقت طويل. إتصل أنتَ بتاكاتسوكي، حسناً؟

كان جونبي في السادسة و الثلاثين، ولد ونشأ بمدينة كوبي، حيث كان والده يمتلك متجرين للمجوهرات، وكانت لديه شقيقة تصغره بستة أعوام. بعد عام من الدراسة بمدرسة خاصة، التحق بجامعة واسيدا بطوكيو. اجتاز امتحان القبول في كل من قسمي إدارة الأعمال والأدب. اختار قسم الأدب دون أدنى تردد وأخبر والديه أنه قد التحق بقسم إدارة الأعمال. ما كانا ليتكفلا بنفقاته لدراسة الأدب أبداً، ولم تكن لدى جونبي النية في إضاعة أربعة سنوات ثمينة في دراسة آليات وعمل الاقتصاد. كل ما أراده هو دراسة الأدب، ومن ثم يصبح كاتباً.

تعرف جونبي في الجامعة على صديقين، تاكاتسوكي و سايوكو. تاكاتسوكي القادم من جبال ناغانو، طويل وعريض المنكبين، وقد كان قائد فريق كرة القدم بمدرسته الثانوية. أنفق عامين في الدراسة ليجتاز امتحان القبول، لذلك كان أكبر من جونبي بعام. كان عملياً وحازماً، ولديه ذلك المظهر الذي يجعل الناس يحبونه في الحال، كما يتبوأ موقع القيادة في كل مجموعة بصورة طبيعية. لكنه كانت لديه مشكلة مع قراءة الكتب. التحق بقسم الأدب لأن امتحانه هو الوحيد الذي يمكنه اجتيازه. قال: "ماذا سيضيرني، سأصبح مراسلاً صحفياً، لذلك سأدعهم يعلمونني كيف أكتب."

لم يستوعب جونبي لماذا كان تاكاتسوكي مهتماً بمصادقته، وقد كان جونبي من النوع الذي يفضل الجلوس وحيداً في غرفته يقرأ الكتب أو يستمع للموسيقى، وقد كان مريعاً في الرياضة، ويشعر

بالحرج أمام الغرباء، ونادراً ما كان يتعرف إلى أي أصدقاء. ومع ذلك، أياً كان السبب، يبدو أن تاكاتسوكي قد قرر في المرة الأولى التي رآه فيها في الصف أن يجعل منه صديقاً. ربت على كتف جونبي وقال: "يا هذا، دعنا نتناول شيئاً"، وبنهاية اليوم فتحا قلبيهما لبعضهما.

استخدم تاكاتسوكي الطريقة نفسها مع سايوكو. كان جونبي مع تاكاتسوكي عندما ربت على كتفها وقال: "لم لا نذهب ثلاثتنا لنتناول شيئاً؟". وبذلك تكونت جماعتهم الصغيرة. جونبي وتاكاتسوكي وسايوكو، كانوا يفعلون كل شيء معاً، يتشاركون ملاحظات المحاضرات، يتناولون الغداء بصالة الطعام بالحرم الجامعي، يناقشون مستقبلهم أثناء شرب القهوة، يعملون بدوام جزئي في نفس المكان، يذهبون إلى حفلات الروك ومشاهدة الأفلام إلى وقت متأخر من الليل، يمشطون كل أنحاء طوكيو، يشربون الجعة بإسراف ويمرضون معاً. يمكن القول بأنهم كانوا يتصرفون كطلاب السنة الأولى في كل أنحاء العالم.

كانت سايوكو فتاة طوكيو بمعنى الكلمة، قادمة من الجزء القديم من المدينة، حيث تعيش طبقة التجار منذ قرون. كان والدها يدير محلاً لبيع الكماليات الصغيرة الأنيقة التي ترافق الثوب الياباني التقليدي. ظل العمل متوارثاً في العائلة لعدة أجيال، وقد اجتذب طبقة من الزبائن الحصريين تشمل مشاهير ممثلي الكابوكي. كانت سايوكو تخطط للدراسات العليا في الأدب الإنجليزي، ومن ثم الاستمرار في العمل الأكاديمي. كانت تقرأ بنهم، وتتبادل الروايات مع جونبي، ويخوضان مناقشات حادة بشأنها. كان لديها شعراً جميلاً، وعينين ذكيتين، وتعبر عن نفسها بهدوء وصدق، لكنها تمتلك طاقة جبارة بداخلها. دائماً ما ترتدي ملابس عادية، دون مساحيق تجميل، كما كان لديها حس دعابة فريد، وترتسم على وجهها تعبيرات شريرة محببة كلما أبدت ملاحظة مضحكة، كان جونبي مفتوناً بتلك النظرة. لم يقع في الحب حتى قابل سايوكو. ارتاد مدرسة ثانوية خاصة بالأولاد ولم تكن لده فرص كثيرة لمقابلة الفتيات.

لكن جونبي لم يستطع حمل نفسه على التعبير عن مشاعره لسايوكو. كان يعلم أنه ليس هناك مجال للتراجع حالما تخرج الكلمات، وأن سايوكو قد تنأى بنفسها بعيداً عن متناوله. أو على الاقل، فإن العلاقة المتوازنة والمريحة التي تجمع ثلاثتهم قد لا تعود كما كانت. لذلك أقنع جونبي نفسه بأن يترك الأمور على ما هي عليه للوقت الحالي، ويترقب وينتظر.

في نهاية المطاف، كان تاكاتسوكي هو من قام بالخطوة الأولى. قال لجونبي:

- أكره أن ألقي عليك الأمر هكذا دون سابق إنذار، لكنني أحب سايوكو. آمل أنك لا تمانع.

حدث هذا في منتصف سبتمبر خلال عامهم الثاني. أوضح تاكاتسوكي بأنه وسايوكو قد تورطا، تقريباً بالخطأ، عندما ذهب جونبي للمنزل خلال عطلة الصيف.

ثبت جونبي نظرته على تاكاتسوكي، استغرق بضع لحظات لفهم ما سمعه، وعندما أستوعب الأمر، نزل عليه كثقل من الرصاص. لم يعد لديه أي خيار في الأمر.

قال: "لا، لا أمانع"

قال تاكاتسوكي بإبتسامة عريضة:

- يسرني جداً سماع ذلك، فأنت الوحيد الذي كنت قلقاً بشأنه. أعني، كانت علاقتنا نحن الثلاثة رائعة، يبدو الأمر وكأنني قد تغلبت عليك. لكن على أي حال يا جونبي، كان هذا سيحدث في وقت ما، إن لم يحدث الآن، كان ليحدث عاجلاً أو آجلاً. ما يهم هو أنني أريد أن نستمر ثلاثتنا كأصدقاء، حسناً؟

أمضى جونبي الأيام التالية مشوشاً. تغيب عن المحاضرات والعمل. ظل مستلقياً على أرضية شقته المكونة من غرفة واحدة، لا

يأكل سوى الفتات من الثلاجة، ويتجرع كميات من الويسكي كلما إنتابته الرغبة. فكر في التخلي عن الجامعة والذهاب إلى بلدة نائية لا يعرف فيها احداً، وأن يقضي بقية سنواته يمارس عملا يدوياً. قرر أن ذلك سيكون أنسب أسلوب حياة بالنسبة له.

في اليوم الخامس، جاءت سايوكو إلى شقته. كانت ترتدي قميصاً أزرقاً وسروالاً قطنياً أبيضاً، وشعرها معقوصاً إلى الخلف.

سألته:

- أين كنت؟ قلق الجميع أنك قد تكون ميتاً في غرفتك. طلب مني تاكاتسوكي أن أتفقدك، أعتقد بأنه لم يرغب في رؤية الجثة بنفسه.

قال جونبي:

- كنت مريضاً.

قالت:

- بالفعل، أعتقد أنك فقدت بعض الوزن؟

أخذت تحدق به، وقالت:

- أتريد مني أن أعد لك شيئاً لتأكله؟

هز جونبي رأسه و قال:

- ليس لدي رغبة في الأكل.

فتحت سايوكو الثلاجة ونظرت بداخلها، فإنقبضت قسمات وجهها، لم تحتوي سوى على علبتي جعة وقطعة خيار قديمة وقليل من بيكربونات الصودا. اقتعدت الأرض بجانب جونبي، وقالت له:

- لا أعرف كيف أسألك عن هذا يا جونبي، لكن هل أنت مستاء بشأننا، أنا وتاكاتسوكي؟

-لا، لست مستاءاً.

ولم يكن ما قاله كذباً، فهو لم يكن يشعر بالاستياء أو الغضب. في الواقع إن كان غاضباً من أحدهم، فمن نفسه. كان أمراً طبيعياً أن يصبح تاكاتسوكي وسايوكو عاشقين. حاز تاكاتسوكي على جميع المؤهلات، وجونبي أفتقر لها جميعها. الأمر بهذه البساطة.

سألت سايوكو:

- أتريد أن نقتسم علبة جعة؟

- بالطبع.

أخذت علبة جعة من الثلاجة وقسمت محتوياتها في كأسين، ناولت إحداها إلى جونبي، وشربا في صمت.

قالت:

- من المحرج قليلاً أن اطلب منك هذا صراحة، لكنني أريد أن نظل أصدقاء يا جونبي، ليس الآن فقط، بل حتى عندما نكبر وتتقدم بنا السن. أحب تاكاتسوكي، لكنني أحتاج إليك أيضاً، بطريقة مختلفة تماماً. هل يجعلني ذلك أنانية؟

لم يكن جونبي متأكداً مما سيقوله لها، لكنه هز رأسه.

أردفت سايوكو:

- أن تفهم شيئاً، وأن تضع ذلك الشيئ في صيغة تمكنك من رؤيته بعينيك، أمران مختلفان تماماً. إذا تمكنت من القيام بهما بكفاءة متساوية، ستكون الحياة أكثر بساطة بكثير.

نظر جونبي إليها نظرة جانبية. لم تكن لديه فكرة عما تحاول قوله. تسائل: "لماذا يعمل عقلي بهذا البطء؟" نظر إلى الأعلى، وللحظات تعقبت عيناه أشكال بقع على السقف. كيف كان سينتهي

الأمر لو أنه صارح سايوكو بحبه لها قبل أن يفعل تاكاتسوكي؟ لم يجد جونبي إجابة لهذا السؤال. كل ما كان متيقناً منه هو أن شيئاً كهذا ما كان ليحدث أبداً.

تناهت إلى سمعه أصوات دموع تسقط على حصيرة القش، كانت واضحة بشكل غريب، للحظة تسائل إن كان يبكي دون أن يشعر. لكنه أدرك أن سايوكو هي التي كانت تبكي، مطأطأة رأسها بين ركبتيها، مع أنها لم تصدر صوتاً، كان كتفاها يرتعشان.

دون وعي منه تقريباً، مد يده ووضعها على كتفها، ثم جذبها نحوه بلطف، لم تقاوم. أحاطها بذراعيه وأطبق شفتيه على شفتيها، أغمضت عينيها وباعدت بين شفتيها. إشتم جونبي رائحة الدموع، وجذب نفساً من فمها. شعر بنعومة نهديها. شعر وكأن الأشياء تغير أماكنها بداخله، حتى أنه سمع الاصوات التي أحدثتها، كأصوات قرقعة المفاصل. لكن كان ذلك كل شيء. وكأنما استعادت وعيها، تراجعت سايوكو ودفعت جونبي بعيداً. قالت بهدوء وهي تهز رأسها:

- لا، لا يجدر بنا فعل هذا، إنه خطأ.

إعتذر جونبي. لاذت سايوكو بالصمت. ظلا على تلك الحال، في صمت، لفترة طويلة. تسلل صوت مذياع من النافذة المفتوحة. كانت أغنية شعبية شهيرة، وكان جونبي متأكداً أنه سيتذكرها إلى يوم وفاته. لكنه في الواقع، رغم محاولاته بعد ذلك، لم يتمكن من تذكر اسمها أو حتى لحنها.

قالت سايوكو:

- ليس عليك أن تعتذر، إنه ليس خطؤك.

- أعتقد أنني مشوش.

وضعت سايوكو يدها على راحة جونبي وقالت له:

- عد إلى الجامعة، حسناً؟ غداً، لم أحظ بصديق مثلك من قبل. لقد منحتني الكثير، آمل أن تدرك هذا.

- الكثير، لكن ليس ما يكفي.

- هذا ليس صحيحاً، ليس صحيحاً إطلاقاً.

ذهب جونبي إلى محاضراته في اليوم التالي، واستمرت العلاقة الثلاثية الوثيقة بين جونبي وتاكاتسوكي وسايوكو حتى التخرج. رغبة جونبي العابرة في أن يختفي اختفت نفسها. بتطويقها بين ذراعيه وتقبيلها في شقته ذلك اليوم، أطفأ جونبي شيئاً بداخله. على الأقل لم يعد يشعر بالتشوش. لقد تم إتخاذ القرار، حتى لو لم يكن هو الذي اتخذه.

أحياناً، كانت سايوكو تعرّف جونبي إلى زميلاتها، وكانوا يخرجون معاً في مواعيد مزدوجة، خرج مع واحدة منهن كثيراً، ومعها مارس الحب لأول مرة، قبيل عيد ميلاده العشرين بقليل، لكن قلبه ظل في مكان آخر دوماً. كان محترماً ولطيفاً وحنوناً معها، لكنه لم يكن شغوفاً بها. في النهاية تركته لتبحث عن الدفء الحقيقي. تكرر السيناريو نفسه عدة مرات مع فتيات أخريات.

عندما تخرج، إكتشف والدا جونبي أنه تخصص في الأدب، وليس الاقتصاد، وساءت الأمور للغاية. أراده والده أن يتسلم زمام عمل العائلة، لكن جونبي لم تكن لديه الرغبة في ذلك. أراد الاستقرار في طوكيو ومواصلة كتابة الأدب. لم يكن هنالك مجال للتنازل عند كلا الطرفين، فأعقبت ذلك مشادة عنيفة. وتراشقوا بكلمات ما كان ينبغي التفوه بها. لم يرَ جونبي والديه ثانية، وكان مقتنعاً أن الأمور ينبغي أن تكون على ذلك النحو. بخلاف شقيقته التي كانت تساوم وتقدم تنازلات حتى تنسجم مع والديها، لم يفعل جونبي شيئاً سوى الصدام معهما منذ أن كان طفلاً.

عمل جونبي بعدة وظائف بدوام جزئي مكنته من إعالة نفسه بالكاد، بينما استمر في الكتابة. كلما فرغ من كتابة قصة، عرضها

على سايوكو، ليحصل على رأيها بموضوعية، ثم يعيد النظر فيها وفقاً لإقتراحاتها. حتى تحكم على العمل بالجودة. كثيراً ما كان يعيد كتابتها، مراراً وتكراراً، بعناية وصبر. لم يكن لديه مرشد آخر، كما لم ينتمِ إلى أي مجموعات كتاب.

عندما كان في الرابعة والعشرين، فازت قصة له بجائزة تمنحها مجلة أدبية، وخلال السنوات الخمس التالية، رشح جونبي لجائزة أوكتاغاوا المرموقة، لكنه لم يفز بها قط، ظل المرشح الواعد الأبدي.

رأي نموذجي لأحد حكام لجنة الجائزة كان ليبدو على هذا النحو: "بالنسبة لكاتب في حداثة سنه، هذه كتابة على مستوى عالٍ جداً، مع أمثلة رائعة لكل من الحبكة والتحليل النفسي. لكن لدى الكاتب الميل لأن يطلق العنان لعاطفته من حين لآخر، كما يفتقر عمله للإبتكار والمسحة التجديدية."

كان تاكاتسوكي ينفجر ضاحكاً عندما يسمع مثل هذه التعليقات، "فقد هؤلاء الناس صوابهم، ماذا تعني (المسحة التجديدية) بحق الجحيم؟ لا يستخدم الناس العاديين كلمات كهذه. (سوكياكي* اليوم كان يفتقر للمسحة اللحمية) هل سبق وسمعت أي أحد يقول شيئاً كهذا؟"

نشر جونبي مجموعتين قصصيتين قبل بلوغه الثلاثين. (جواد في المطر) و(العنب). بيع من الأولى عشرة آلاف نسخة ، والثانية اثني عشر ألف نسخة. وفقاً لناشره، هذه الأرقام لا بأس بها بالنسبة لمجموعة قصص قصيرة. نالت القصص استحسان النقاد إلى حد ما،

لكن دون حماس أو تشجيع كبيرين. كانت معظم قصص جونبي عن شباب يافعين عالقين في علاقات حب غير متبادل. تتغلب العاطفة على أسلوبه، وحبكاته قديمة الطراز نوعاً ما. على كل، فقد كان هذا عصر العاب الفيديو وموسيقى الراب.

---

* سوكياكي: طعام ياباني قوامه اللحم و الخضر و التوابل (المترجم)

أخذ ناشر جونبي يحثه على محاولة كتابة رواية. إذا لم يكتب شيئاً سوى القصص القصيرة، فإنه سيظل يتناول الثيمات والمسائل عينها المرة تلو الاخرى. كتابة رواية قد تفتح أمامه عالماً جديداً ككاتب. كما تحظى الرواية بإهتمام أكبر بكثير مقارنة بالقصة القصيرة. كتابة القصة القصيرة وحدها كانت طريقة شاقة لكسب العيش.

لكن جونبي كان كاتب قصة قصيرة بالميلاد. كان يحبس نفسه بغرفته، تاركاً كل شيء آخر ليذهب إلى الجحيم، ثم يفرغ من المسودة الأولى بعد ثلاثة أيام من الجهود الحثيثة، وبعد أربعة أيام أخرى من الصقل والتشذيب، يذهب بالمخطوطة لكل من سايوكو ومحرره لقرائتها. إما أن يكسب معركته أو يخسرها في ذلك الأسبوع الأول. وذلك عندما تجتمع خيوط القصة في يده دون عناء. أسلوب عمله هذا كان يتناسب مع شخصيته، تركيز مجهوده كاملاً خلال أيام قليلة. لم يشعر جونبي سوى بالإرهاق الشديد عندما فكر بكتابة رواية. كيف يمكنه الحفاظ على تركيزه لأشهر متواصلة؟ ذلك النوع من ضبط الإيقاع كان عصياً عليه.

نظراً لأسلوب حياته كعازب متقشف، لم يكن جونبي بحاجة لكثير من المال. ما أن يحصل على ما يحتاجه لفترة معينة، يتوقف عن العمل. كل ما كان لديه هو قطة صامتة يطعمها. كما لم تكن فتياته من النوع المتطلب، وعندما يسأم منهن يختلق ذريعة لإنهاء العلاقة. أحياناً، ربما مرة كل شهر، كان يستيقظ في ساعة غريبة من الليل وهو يشعر بحالة أقرب إلى الذعر، ويحدث نفسه: "أنا لا أحرز تقدماً، بإمكاني أن أكافح و أعاني بقدر ما أريد، لكنني لن ابارح مكاني أبداً." عندها إما أن يكره نفسه على الذهاب إلى مكتبه والكتابة، أو يسرف في الشرب حتى لا يقوى على البقاء مستيقظاً.

نجح تاكاتسوكي في الحصول على الوظيفة التي لطالما رغب فيها، مراسلاً لإحدى الصحف ذائعة الصيت. وبما أنه لم يكن يدرس بجد، فإن الدرجات في شهادته لم تكن شيئاً ليتفاخر به، لكن الانطباع

الذي خلفه لدى الذين أجروا معه المقابلة كان إيجابياً للغاية، تم تعيينه في الحال تقريباً. التحقت سايوكو بالدراسات العليا، كما هو مخطط له. عقدا قرانهما بعد التخرج بستة أشهر، كانت مراسم الزواج صاخبة ومرحة كتاكاتسوكي نفسه. أمضيا شهر العسل في فرنسا، واشتريا شقة تحتوي على غرفتين على مقربة من وسط المدينة. كان جونبي يذهب لتناول العشاء لديهما مرتين اسبوعياً، وكان المتزوجان حديثاً يرحبان به بحرارة. كان الأمر يبدو وكأنهما يشعران بالإرتياح في وجود جونبي أكثر مما يكونا لوحدهما.

استمتع تاكاتسوكي بعمله في الصحيفة. تم تعيينه أولاً بقسم الأخبار المحلية، الأمر الذي جعله يهرول طوال الوقت بين مواقع المآسي والجرائم، قال: "بإمكاني الآن أن أرى جثة دون أن يطرف لي جفن، جثث مزقتها القطارات إلى أشلاء، أحرقتها النيران، تغير لونها بسبب السن، جثث منتفخة لضحايا الغرق، ضحايا إطلاق النار بأدمغتهم المتناثرة. الأمر سيان عندما يموتون، مجرد مظاريف بارود مستنفدة."

أحياناً يستغرق تاكاتسوكي في العمل ولا يتمكن من العودة للمنزل قبل الصباح. عندها تتصل سايوكو بجونبي، حيث كانت تعلم أنه غالباً ما يكون ميتسقظاً طوال الليل.

- هل تعمل الآن، هل يمكنك التحدث؟

- بالطبع يمكنني التحدث، لا أقوم بشيء ذي أهمية.

كانا يناقشان الكتب التي قرآها، وكل ما أستجد في حياتهما اليومية. ثم يتحدثان عن الأيام الخوالي، عندما كانا أكثر حرية وعفوية. هذه المحادثات كانت حتماً تعيد إلى ذهنيهما ذكريات ما حدث بينهما في شقة جونبي.

حبلت سايوكو بعد بلوغها الثلاثين بقليل. كانت مساعد تدريس حينها، فأخذت إجازة لتضع ابنتها. اقترح ثلاثتهم جميع أنواع الأسماء

للطفلة، وفي النهاية اتفقوا على أحد اقتراحات جونبي، سالا. قالت سايوكو: "أحب وقعه". لم تكن هناك تعقيدات أثناء الولادة، وفي تلك الليلة وجد جونبي وتاكاتسوكي نفسيهما لوحدهما دون سايوكو لأول مرة منذ فترة طويلة. جلب جونبي زجاجة شراب للإ حتفال، وأفرغاها معاً عند طاولة المطبخ.

- لماذا يحلق الزمن بهذه السرعة؟

تساءل تاكاتسوكي بتفكير عميق كان نادراً بالنسبة له. ثم واصل:

- يبدو أنني كنت بالأمس طالباً بالسنة الأولى، ثم ألتقيتك، والتقيت بسايوكو، و الأمر التالي الذي أعرفه أنني أصبحت اباً، إنه أمر غريب، كمشاهدة فيلم في وضع التسريع. على الأرجح لن تفهم ما أعنيه يا جونبي، لا تزال حياتك كما كانت عليه ايام الجامعة، كأنك لا تزال طالباً، أيها السافل المحظوظ.

قال جونبي:

- لست محظوظاً جداً.

لكنه كان يتفهم شعور تاكاتسوكي. أصبحت سايوكو أماً الآن. الأمر الذي شكل صدمة لجونبي وتاكاتسوكي سواءاً. تحركت تروس الحياة إلى الأمام بقعقعة عالية، وأدرك جونبي أنها لن تعود للوراء أبداً. الأمر الوحيد الذي لم يكن متأكداً بشأنه هو كيف يفترض به أن يشعر حيال الأمر.

قال تاكاتسوكي:

- لم يكن بإمكاني أن أخبرك بهذا من قبل، لكنني متأكد من أن سايوكو كانت منجذبة إليك أكثر مني.

كان ثملاً، لكن عيناه توهجتا بجدية أكثر من المعتاد.

قال جونبي مبتسماً:

- هذا جنون.

- بالطبع إنه جنون. أعلم ما أتحدث عنه. أنت تعرف كيف تضع الكلمات على صفحة، لكنك لا تفقه شيئاً عن مشاعر النساء. الجثة الغارقة تعرف أكثر منك. ليست لديك فكرة عن مشاعرها نحوك. وقد فكرت، ماذا سيضيرني، كنت مغرماً بها، وكان علي أن أحظى بها. ما زلت أعتقد بأنها أعظم امرأة في العالم. وما زلت أعتقد أنه كان من حقي أن أحظى بها.

قال جونبي:

- لم يقل أحد أنه لم يكن من حقك.

أومأ تاكاتسوكي، وقال:

- لكنك لا زلت لا تفهم الأمر، ليس تماماً. عندما يتعلق الأمر بكل ما هو مهم، فأنت غبي لأقصى الحدود. يذهلني أنك تستطيع كتابة القصص.

- أجل، حسناً، ذلك أمر مختلف.

قال تاكاتسوكي متنهداً:

- على أي حال، الآن أصبحنا أربعة. أربعة، أهذا أمر جيد؟

علم جونبي قبيل عيد ميلاد سالا الثاني أن تاكاتسوكي وسايوكو على شفير الانفصال. بدت سايوكو كالمعتذرة عندما أخبرته بذلك. فسرت له بأنه كانت لدى تاكاتسوكي عشيقة منذ فترة حملها، وأنه لم يعد يأتي إلى المنزل كثيراً.

بدا أن جونبي لم يستطع استيعاب ما سمعه، مهما زودته سايوكو بالتفاصيل. لماذا قد يرغب تاكاتسوكي في امرأة أخرى؟ وقد صرح بأن سايوكو أعظم امرأة في العالم في ليلة ولادة سالا، وقد عنى ما يقوله. بالإضافة إلى أنه كان شغوفاً بسالا.

- أعني، أنا آتي إلى منزلكما طوال الوقت، وأتناول معكما العشاء، أليس كذلك؟ لكنني لم أستشعر شيئاً. كنتما السعادة مجسدة، الأسرة المثالية.

- الأمر صحيح، لم نكن نكذب عليك، أو نقوم بتمثيلية. لكنه بعيداً عن ذلك، وجد لنفسه فتاة، ولا يمكننا العودة إلى ما كنا عليه ابداً. لذلك قررنا الانفصال. لا تدع ذلك يزعجك كثيراً. أنا واثقة من أن الأمور ستسير على نحو أفضل الآن، بطرق مختلفة كثيرة.

تطلق سايوكو وتاكاتسوكي بعد ذلك ببضعة أشهر. وتوصلا إلى إتفاق دون أدنى مشكلة، دون إتهامات متبادلة، أو مزاعم مختلف عليها. انتقل تاكاتسوكي ليعيش مع عشيقته، وكان يأتي لزيارة سالا مرة كل أسبوع، واتفقوا جميعاً على أن يكون جونبي حاضراً خلال هذه الزيارات. قالت سايوكو لجونبي: "ذلك سيسهل الأمور على كلينا." شعر وكأنه قد شاخ فجأة، مع أنه بلغ الثالثة والثلاثين للتو.

كلما اجتمعوا معاً، يكون تاكاتسوكي هو نفسه، المرح المحب للكلام، ويبدو سلوك سايوكو طبيعياً تماماً، وكأن شيئاً لم يحدث. إن كان هناك ثمة تغير، فقد كانت تتصرف على طبيعتها أكثر مما مضى، في عيني جونبي بالطبع. لم تكن لدى سالا فكرة بأن والداها قد تطلقا. أدى جونبي دوره الموكل إليه بكفاءة. كان ثلاثتهم يخرجون و يتحدثون عن الأيام الخوالي.

قال تاكاتسوكي في إحدى ليالي يناير أثناء عودتهما إلى المنزل وهما ينفثان الأنفاس البيضاء في الهواء البارد:

- قل لي يا جونبي، ألديك إحداهن تخطط للزواج بها؟

- ليس حالياً.

- ليست لديك حبيبة؟

- لا.

- ما رأيك أن تتزوج أنت وسايوكو؟

نظر جونبي إلى تاكاتسوكي مضيقاً عينيه كأنه ينظر إلى ضوء باهر، وسأله:

- لماذا؟

- ما الذي تعنيه بلماذا؟ الأمر واضح جداً، بغض النظر عن كل شيء، أنت الرجل الوحيد الذي أريده أن يكون أباً لسالا.

- أهذا هو السبب الوحيد الذي تريدني من أجله أن أتزوج سايوكو؟

تنهد تاكاتسوكي ووضع ذراعه السميكة على كتفي جونبي.

- ما الأمر؟ ألا تحب فكرة الزواج بسايوكو؟ أم أنها فكرة أن تحل محلي؟

- ذلك لا يزعجني. أتسائل فحسب إذا ما كنت تقوم بهذا كصفقة من نوع ما، إنها مسألة لياقة.

- هذه ليست صفقة، وليس للأمرعلاقة باللياقة. أنت تحب سايوكو، صحيح؟ وتحب سالا أيضاً، أليس كذلك؟ هذا ما يهم. أعلمُ بأن لديك مشاكل عاطفية تخصك. لا بأس. لكن يبدو لي أنك تحاول أن تنزع ملابسك الداخلية دون أن تخلع سروالك.

لم يقل جونبي شيئاً، وظل تاكاتسوكي صامتاً لفترة على غير العادة. سارا في طريقهما الى المحطة، بكتفين متحاذيين وهما ينفثان أنفاسهما البيضاء.

قال جونبي:

- على أي حال، أنتَ نفسك حماقتك لا حدود لها.

- أعترف لك بذلك، أنت محق تماماً، لا أنكر ذلك. أنا أدمر حياتي بنفسي. لكنني أؤكد لك يا جونبي، لم تكن بيدي حيلة، لم تكن هناك طريقة لوضع حد للأمر، لا أعرف أكثر منك لماذا حدث ما حدث. و إن لم يحدث هنا والآن، شيء كهذا كان ليحدث عاجلاً أو آجلاً.

خُيّل لجونبي وكأنه قد سمع هذا الخطاب من قبل.

- هل تذكر ما قلته لي في الليلة التي ولدت فيها سالا؟ أن سايوكو أعظم امرأة في العالم، وأنه لا يمكنك أن تجد لها بديلاً أبداً.

- ولا يزال ذلك صحيحاً. لم يتغير أي شيء بهذا الخصوص. لكن هذه الحقيقة عينها يمكنها أن تتسبب بإفساد الأمور.

- لا أعرف ما تعنيه بذلك!

- ولن تعرف أبداً.

قالها تاكاتسوكي وهو يهز رأسه. فدائماً ما تكون تلك كلمته الأخيرة.

مر عامان. لم تعد سايوكو للجامعة. طلب جونبي من أحد أصدقائه المحررين أن يرسل إليها قصة لتقوم بترجمتها، وقد قامت بترجمتها ببراعة أثارت إعجاب المحرر الذي أعطاها نصاً آخر في الشهر التالي. لم يكن الأجر جيداً جداً، لكنه كان إضافه لما كان يرسله تاكاتسوكي، وساعد سايوكو وسالا على العيش بإرتياح.

استمروا في اللقاء اسبوعياً على الأقل، كما كانوا يفعلون دوماً. وكلما منع أمر طارئ تاكاتسوكي عن المجئ، كان جونبي وسايوكو وسالا يتناولون الطعام معاً. تكون المائدة هادئة في غياب تاكاتسوكي. ويتحول الحوار بينهم إلى مسائل عادية رتيبة. أي غريب كان ليفترض أنهم مجرد عائلة تقليدية.

واصل جونبي كتابة سلسلة منتظمة من القصص، ناشراً مجموعته الرابعة (القمر الصامت) عندما بلغ الخامسة والثلاثين. فازت بإحدى الجوائز المخصصة للكتاب المعروفين أصحاب العطاء الطويل، وتم تحويل القصة التي تحمل اسم المجموعة إلى فيلم. كما ألف كتاباً عن النقد الموسيقي، وآخر عن البستنة الزخرفية، وترجم مجموعة قصص قصيرة لجون أبدايك. وقد لاقت جميعها نجاحاً. وبدأ يرسخ مكانته ككاتب شيئاً فشيئاً، وأصبحت لديه قاعدة قراء ودخل مستقر.

ظل يفكر بجدية بالزواج بسايوكو. لأكثر من مرة أبقى نفسه مستيقظاً طوال الليل يفكر بالأمر، وكان غير قادر على العمل لفترة، ومع ذلك لم يستطع أن يتخذ قراراً. كلما فكر في الأمر بدا له أن علاقته بسايوكو لطالما حدد الآخرون معالمها. كان موقفه سلبياً دوماً. تاكاتسوكي هو الذي تعرف إليهما في البداية وأنشأ الثلاثية. ثم ارتبط بسايوكو وتزوج بها، وأنجب معها طفلة، ثم طلقها. والآن تاكاتسوكي هو الذي يحثه على الزواج بها. أحب جونبي سايوكو بالطبع، دون أدنى شك، وكان هذا هو الوقت المثالي ليتّحد معها وهي على الأرجح لن ترفضه. لكن جونبي ظل يعتقد أن الأمور تبدو أسهل أكثر من اللازم قليلاً. ما الذي تبقى ليفكر فيه؟ وأستمر في التساؤل على هذا النحو دون أن يقرر ثم وقع الزلزال.

كان جونبي في برشلونة وقتها، يعد قصة لمجلة خطوط طيران. عاد إلى فندقه ليجد الأخبار على التلفاز تعج بصور المباني المنهارة وسحب الدخان، وبدت كأنها منطقة تعرضت لغارة جوية للتو. وبما أن المذيع كان يتحدث بالإسبانية، فقد استغرق جونبي وقتاً ليدرك أي مدينة تلك التي حلت بها الكارثة. سأله المصور: "أنت من كوبي، أليس كذلك؟"

لكن جونبي لم يحاول أن يتصل بوالديه، كان الصدع بينهم عميقاً لدرجة تبخر معها أي أمل بالمصالحة. عاد جونبي إلى طوكيو واستأنف حياته العادية. لم يقم بتشغيل التلفاز قط، وكان بالكاد يطالع بعض الصحف. ويطبق على فمه كلما ذكر موضوع الزلزال، فقد كان

صدى من الماضي قام بدفنه منذ أمد بعيد. لكن مع ذلك، نكأت الحادثة جروحة المندملة والمختبئة عميقاً بداخله. بدت أنها غيرت عدة نواحي من حياته. أحس بشعور جديد تماماً من العزلة. قال لنفسه، لم تعد لدي جذور، لست متصلاً بأي شيء.

في صباح الأحد الذي خططوا لأن يأخذوا فيه سالا إلى حديقة الحيوانات لرؤية الدببة، اتصل تاكاتسوكي ليقول أنه أضطر للسفر إلى أوكيناوا، وأنه تمكن بصعوبة من الحصول على وعد لإجراء مقابلة مع الحاكم. "آسف، عليكم أن تذهبوا إلى حديقة الحيوانات بدوني، لا أظن أن السادة الدببة سينزعجون إذا لم اتمكن من الحضور."

أخذ جونبي وسايوكو سالا إلى حديقة أوينو. حملها جونبي بين ذراعيه وهو يريها الدببة. أشارت إلى أكبرهم وأكثرهم سواداً وسألت:

- أهذا ماساكيتشي؟

- لا، لا، هذا ليس ماساكيتشي، فهو أصغر من هذا، وهو يبدو ذكياً أيضاً. هذا هو الدب القوي، تونكيتشي.

- تونكيتشي!

صرخت سالا مرة وثانية، لكن الدب لم يعبأ بها. ثم نظرت إلى جونبي وقالت:

- أخبرني قصة عن تونكيتشي.

- سيكون ذلك صعباً، ليست هناك قصص مثيرة للإهتمام عن تونكيتشي. إنه مجرد دب عادي، لا يمكنه الحديث أو عدّ النقود مثل ماساكيتشي.

- لكن أراهن أنك تستطيع أن تخبرني شيئاً إيجابياً عنه، شيئاً واحداً فقط على الأقل.

- أنتِ محقة تماماً، هناك شيء إيجابي واحد على الأقل يمكن قوله حتى عن أي دب عادي. آه، نعم، كدت أنسى. حسناً، تونشيكي...

- تونكيتشي!

صححته سالا بنفاد صبر.

- آه، نعم، آسف. حسناً، كان تونكيتشي يعرف شيئاً واحداً يستطيع القيام به بمهارة، وهو صيد أسماك السلمون. كان يذهب إلى النهر ويربض خلف صخرة، وفجأة! يمسك بسمكة سلمون. عليكِ أن تكوني سريعة جداً لتفعلي شيئاً كهذا. لم يكن تونكيتشي الدب الأكثر ذكاءاً في الجبل، لكنه كان بالتأكيد يصطاد أعداداً كبيرة من السلمون، أكثر من أي دب آخر، وأكثر مما يمكنه أن يأكله. لكنه لم يكن يستطيع أن يذهب إلى البلدة لبيع السلمون الفائض لديه؛ لأنه لا يعرف كيف يتحدث.

- هذا سهل، كل ما كان عليه فعله هو أن يقايض أسماكه الفائضة بعسل ماساكيتشي الفائض.

- أنتِ محقة، وذلك ما قرر تونكيتشي أن يفعله. بدأ تونكيتشي وماساكيتشي مقايضة العسل والسلمون، وسرعان ما تعرفا ببعضهما بصورة أفضل، وأدرك تونكيتشي أن ماساكيتشي ليس دباً مغروراً، رغم كل شيء. وأدرك ماساكيتشي أن تونكيتشي ليس مجرد دب قوي. ودون أن يشعرا أصبحا صديقين مقربين. عمل تونكيتشي بإجتهاد في صيد السلمون، كما عمل ماساكيتشي بجد في جمع العسل. لكن في أحد الأيام، اختفت أسماك السلمون من النهر فجأة، كصاعقة من سماء زرقاء.

- صاعقة من سماء زرقاء؟

أوضحت لها سايوكو قائلة:

- كالبرق الذي يلوح في سماء زرقاء صافية، دون سابق إنذار.

- اختفت أسماك السلمون فجأة؟

تساءلت سالا بتعابير متجهمة.

- لكن لماذا؟

- حسناً، اجتمعت جميع أسماك السلمون في العالم وقررت ألّا تسبح صعوداً في النهر بعد الآن، لأن هناك دب اسمه تونكيتشي يتربص بهم هناك، وهو بارع في صيد السلمون. لم يتمكن تونكيتشي من صيد سمكة كبيرة بعد ذلك قط. أفضل ما أستطاع فعله هو اصطياد سمكة سلمون هزيلة من حين لآخر وأكْلها، ولم يكن مذاقها جيداً أطلاقاً.

قالت سالا:

- يا لتونكيتشي المسكين!

سألت سايوكو:

- ولذلك تم إرسال تونكيتشي إلى حديقة الحيوانات؟

- حسناً، تلك قصة طويلة جداً.

قال جونبي وهو يتنحنح.

- لكن جوهرياً، نعم، ذلك ما حدث.

سألت سالا:

- ألم يساعد ماساكيتشي تونكيتشي؟

- لقد حاول، فقد كانا صديقان مقربان، وهذا واجب الأصدقاء. شارك ماساكيتشي عسله مع تونكيتشي، دون مقابل، لكن تونكيتشي قال له لن أدعك تفعل ذلك، سيكون الأمر وكأني أقوم باستغلالك. قال ماساكيتشي لا تتصرف معي كالغرباء يا تونكيتشي، كنت لتفعل معي

الشيء نفسه لو كنت في مكاني، أنا واثق من ذلك. كنت لتفعل، أليس كذلك؟

قالت سالا:

- بالطبع كان ليفعل.

قاطعتها سايوكو:

- لكن الأمور لم تبق على تلك الحال لفترة طويلة.

قال جونبي:

- أجل، لم تبق على حالها. قال تونكيتشي لماساكيتشي يفترض بنا أن نكون أصدقاء، لا يصح أن يعطي أحدنا طوال الوقت، ويقوم الآخر بالأخذ فقط، هذه ليست صداقة حقيقية. سأترك هذا الجبل الآن يا ماساكيتشي، سأجرب حظي في مكان آخر، وإذا التقينا في مكان ما مجدداً سنظل صديقين مقربين. ثم تصافحا، وافترقا. وبما أن تونكيتشي لم يكن على دراية بمخاطر العالم، أوقع به صياد في فخ بعد هبوطه من الجبل. وقد كانت تلك نهاية حرية تونكيتشي، وتم إرساله إلى حديقة الحيوانات.

سألت سايوكو جونبي لاحقاً:

- ألم يكن بإمكانك إنهاء القصة بخاتمة أفضل؟ مثل: وعاش الجميع سعداء إلى الابد.

- لم أفكر بواحدة بعد.

- تناول ثلاثتهم العشاء بشقة سايوكو، كالعادة. قامت سايوكو بغلي إناء من السباغيتي وأذابت القليل من صلصلة الطماطم، بينما أعد جونبي سلطة من الفاصوليا الخضراء والبصل. فتحا زجاجة من النبيذ الأحمر، وأعطيا سالا كوباً من عصير البرتقال. وعندما فرغا من

تناول الطعام وتنظيف المطبخ، قرأ جونبي لسالا من أحد الكتب المصورة، لكن عندما حان موعد النوم، رفضت.

توسلت:

- أرجوك يا أمي، قومي بخدعة حمالة الصدر.

احمرت سايوكو خجلاً، وقالت:

- ليس الآن، لدينا ضيف.

- لا، ليس لدينا، جونبي ليس ضيفاً.

سأل جونبي:

- ما الأمر؟

قالت سايوكو:

- إنها مجرد لعبة سخيفة.

- تنزع أمي حمالة الصدر من تحت ملابسها وتضعها على الطاولة ثم ترتديها مجدداً. لكن عليها أن تبقي يداً واحدة على الطاولة طيلة الوقت. ونحسب المدة التي تستغرقها. إنها رائعة.

- سالا!

زمجرت سايوكو وهي تهز رأسها:

- إنها لعبة صغيرة نلعبها في المنزل، إنها خاصة بنا فقط.

قال جونبي:

- تبدو ممتعة بالنسبة لي.

- رجاءاً يا أمي، أرِها لجونبي، مرة واحدة فقط. إذا قُمتِ بها، سأنام على الفور.

غمغمت سايوكو:

- آه، لا جدوى.

نزعت ساعتها الرقمية وسلمتها لسالا.

- والآن، لن تزعجينني ثانية بشأن الذهاب إلى النوم، صحيح؟ حسناً، استعدي لبدء التوقيت عندما أعد إلى ثلاثة.

كانت سايوكو ترتدي كنزة سوداء فضفاضة ذات ياقة مستديرة. وضعت يديها الإثنين على الطاولة وبدأت "واحد... اثنان... ثلاثة" اختفت ذراعها اليمنى داخل الكم كسلحفاة تنسحب برأسها داخل قوقعتها، ثم قامت بحركة خفيفة كأنها تحك ظهرها. خرجت اليد اليمنى مجدداً، واختفت اليسرى داخل الكم، أدارت سايوكو رأسها قليلاً، فخرجت يدها اليسرى وهي تمسك بحمالة صدر بيضاء صغيرة بدون اسلاك. ودون أي إهدار للوقت، عادت اليد وحمالة الصدر إلى داخل الكم، وخرجت اليد مجدداً، ثم انسحبت اليد اليمنى للداخل، تحركت قليلاً في الخلف، وخرجت مرة أخرى. النهاية. وضعت اليد اليمنى فوق اليسرى على الطاولة.

قالت سالا:

- خمس وعشرون ثانية، رائع يا أمي، رقم قياسي جديد**!** كان أفضل رقم لك حتى الآن ست و ثلاثين ثانية.

قال جونبي:

- رائع، لا يصدق.

صفقت سالا. نهضت سايوكو وأعلنت:

- حسناً، انتهى وقت العرض. إلى الفراش أيتها السيدة الشابة، لقد وعدتني.

قبلت سالا جونبي على خده وذهبت للفراش.

بقيت سايوكو معها حتى تباطأت أنفاسها وانتظمت، ثم انضمت إلى جونبي على الأريكة.

قالت:

لدي اعتراف لأدلي به، لقد غششت.

غششتِ؟

لم أرتدِ حمالة الصدر مجدداً، تظاهرت بذلك فحسب. جذبتها من تحت الكنزة و ألقيتها على الأرضية.

قال جونبي ضاحكاً:

- يا لك من أم سيئة.

- أردت أن أحقق رقماً جديداً.

قالت ذلك وهي تضيق عينيها بابتسامة. لم يرَ جونبي ابتسامتها الشقية تلك منذ زمن بعيد. تأرجح الزمن داخل جونبي كستارة ترفرف في النسيم.

وضع يده على كتفها، ثم تشابكت أيديهما، اقتربا من بعضهما وتعانقا بقوة، وتبادلا قبلة. وكأن شيئاً لم يتغير منذ أن كانا في التاسعة عشرة.

- كان يجب أن نكون هكذا منذ البداية.

همست سايوكو بعد أن انتقلا من الأريكة إلى فراشها.

- لكنك لم تفهم، لم تفهم قط. إلا بعد أن اختفت أسماك السلمون من النهر.

تجردا من ثيابهما، وأمسكا بعضهما بلطف، تلمست أيديهما طريقها بصورة خرقاء، وكأنهما يمارسان الحب للمرة الأولى. لم يتعجلا، حتى تأكدا من أنهما مستعدان، وأخيرا ولج جونبي في سايوكو، وجذبته إلى الداخل.

لم يبدُ أياً من هذا حقيقياً لجونبي. في الغرفة نصف المضاءة، شعر وكأنه يعبر جسراً ممتداً إلى ما لا نهاية. تحرك، وتحركت معه، بلا توقف. أراد أن يقذف، لكنه أمسك نفسه، خشي أنه ما إن يحدث ذلك، فسينتهي الحلم ويتلاشى كل شيء. ثم سمع صوت صرير قادم من خلفه. كان باب الغرفة مواربأ. اتخذ الضوء القادم من الصالة شكل الباب، وسقط على أغطية الفراش المبعثرة. رفع جونبي جذعه والتفت ليرى سالا واقفة عند الباب تحجب الضوء القدم من الخارج. حبست سايوكو أنفاسها وتحركت بوركيها للخلف ودفعت جونبي للخارج وجمعت الملاءة على صدرها وسوت الشعر على جبينها.

لم تكن سالا تصرخ أو تبكي، وقفت في مكانها فحسب، وهي تمسك بمقبض الباب بيمناها، تنظر ناحيتهما لكنها لا ترى شيئاً، عيناها تحدقان في الفراغ.

نادت سايوكو اسمها.

قالت سالا بصوت رتيب، كشخص تم انتزاعه من حلم للتو:

قال لي الرجل أن آتي إلى هنا.

- الرجل؟

- رجل الزلزال. جاء إلي وأيقظني. أمرني أن أخبرك. قال أنه أعد الصندوق للجميع. وقال أنه ينتظر فاتحاً الغطاء. قال أنه عليّ أن أخبرك بذلك، وأنك ستفهمين.

نامت سالا في فراش سايوكو تلك الليلة. تمدد جونبي على أريكة غرفة المعيشة معه بطانية، لكنه لم يستطع النوم. كان التلفاز في مواجهة الأريكة، ظل يحدق في الشاشة الميتة لفترة طويلة. علم جونبي أنهم هناك بالداخل، كانوا ينتظرون بصندوقهم المفتوح. شعر بقشعريرة باردة تسري في عموده الفقري.

تخلى عن محاولة النوم وذهب إلى المطبخ. أعد لنفسه بعض القهوة وجلس عند الطاولة ليشربها، لكنه شعر بشيء متكوّم تحت قدمه. كانت حمالة صدر سايوكو، لا تزال مستلقية في مكانها. التقطها وعلقها على ظهر الكرسي. كانت قطعة ملابس داخلية بيضاء وبسيطة ومجردة من الزينة. تدلت على كرسي المطبخ في ظلام ما قبل الفجر كشاهد مجهول جاء ضالاً طريقه من زمن في الماضي البعيد.

استرجع جونبي أيامه المبكرة في الجامعة. كان لا يزال بإمكانه سماع تاكاتسوكي في المرة الأولى التي تقابلا فيها، وهو يقول بدفء، يا هذا دعنا نتناول شيئاً، ولا زال يمكنه رؤية ابتسامته الودودة التي بدت وكأنها تقول: "استرخ، سيظل العالم يتحسن أكثر فأكثر"، تساءل: أين تناولنا الطعام في ذلك اليوم؟ وما الذي تناولناه؟ لم يستطع التذكر، مع أنه كان متأكداً من أنه لم يكن شيئاً مميزاً.

سأله جونبي في ذلك اليوم: "لماذا اخترتني تحديداً كي أتناول معك الغداء؟"، نقر تاكاتسوكي على صدغه بثقة مطلقة وهو يقول: "لدي موهبة في انتقاء الأصدقاء المناسبين في الوقت المناسب و المكان المناسب."

قال جونبي لنفسه وهو يضع قدح القهوة على طاولة المطبخ، لم يكن تاكاتسوكي مخطئاً، كانت لديه بالفعل مهارة فطرية في اختيار الأصدقاء. لكن لم يكن ذلك كافياً. إيجاد شخص ما لترتبط به وتحبه خلال رحلة الحياة الطويلة مسألة مختلفة عن إيجاد الأصدقاء. اغمض جونبي عينيه، وفكر في الفترة التي عاشها من حياته. لم يرغب في أن ينظر إليها كمجرد شيء استنفده دون غرض.

قرر جونبي أن يطلب من سايوكو الزواج بمجرد أن تستسيقظ. لم يكن بوسعه إهدار دقيقة واحدة. فتح باب غرفة النوم وهو يحاول ألّا يصدر صوتاً، ونظر إلى سايوكو وسالا النائمتين ملتصقتين بهدوء. استلقت سالا مولية ظهرها لأمها التي التفت ذراعها حول كتف سالا. تحسس شعر سايوكو المتناثر على الوسادة، وداعب بأطراف أصابعه خد سالا المتورد الصغير. ظلتا ساكنتين. انزلق بظهره على الجدار وجلس على الأرضية المفروشة بالسجاد بالقرب من الفراش، وأخذ يراقبهما أثناء نومهما.

ثبت جونبي عينيه على عقارب الساعة وهو يفكر في بقية القصة من أجل سالا. كان عليه أن يجد نهاية لحكاية ماساكيتشي وتونكيتشي. لابد أن هناك طريقة لإنقاذ تونكيتشي من حديقة الحيوانات. تتبع تفاصيل القصة من البداية. وسرعان ما بدأت فكرة تتكون في رأسه، وشيئاً فشيئاً اتخذت شكلها النهائي.

كانت لدى تونكيتشي نفس فكرة سالا، سيستخدم العسل الذي جمعه ماساكيتشي ليصنع فطائر العسل المقرمشة واللذيذة. أخذ ماساكيتشي فطائر العسل وباعها للناس هناك، وقد أحب الناس فطائر تونكيتشي وكانوا يشترونها بالدزينة. لذلك لم يضطر تونكيتشي وماساكيتشي للإفتراق مجدداً أبداً، عاشا في الجبال بسعادة إلى الأبد.

بلا شك ستحب سالا النهاية الجديدة للقصة، وكذلك سايوكو. فكر جونبي مع نفسه، أريد كتابة قصص تختلف عن تلك التي كتبتها حتى الآن، أريد الكتابة عن الذين يحلمون ويترقبون حلول الصباح، الذين يتوقون للضوء حتى يمكنهم إمساك أيدي أحبائهم. لكن حالياً، علي أن أبقى هنا وأراقب هذه المرأة وهذه الفتاة. لن أدع أحداً، أي أحد، أن يضعهم بداخل ذلك الصندوق السخيف أبداً، ولو انشقت الأرض وتهاوت السماء.

# عن لقاء الفتاة المثالية 100% ذات صباح ابريلي جميل

## (On Seeing The 100% Perfect Girl On Beautiful April Morning)

ذات صباح جميل من أبريل، في أحد الشوارع الجانبية الضيقة بحي هاروجوكو الراقي بطوكيو، مررت بجوار الفتاة المثالية 100%.

لأكون صادقاً معك، إنها ليست باهرة الجمال لهذا الحد، ليس هناك ما يميزها بأي طريقة، ملابسها عادية، ولا يزال شعرها مشعثاً من النوم. كما إنها ليست صغيرة السن أيضاً، لابد أنها تقارب الثلاثين، لا ينطبق عليها وصف (فتاة) إن شئت الدقة. لكن مع ذلك، إنني أعلم، وعلى بعد خمسين ياردة أنها الفتاة المثالية 100% بالنسبة لي. في اللحظة التي رأيتها فيها، شعرت بقعقعة في صدري، وصار فمي جافاً كالصحراء.

ربما يكون لديك نوعك المفضل من الفتيات، فلنقل مثلاً ذات كاحلين أهيفين، أو عينان واسعتين، أو أصابع رشيقة، أو أنك تنجذب دون سبب واضح للفتيات اللائي يأخذن وقتهن في كل وجبة. لدي تفضيلاتي الخاصة بي، بطبيعة الحال. فأحياناً عندما أكون جالساً في مطعم، أجد نفسي أحدق في الفتاة التي تجلس إلى الطاولة التي بجواري لأنني أحببت شكل أنفها.

لكن لا أحد يمكنه الجزم بأن فتاته المثالية 100% تطابق الصورة التي كونها سلفاً عن نوعه المفضل. بقدر ما أحب الانوف، أجد نفسي عاجزاً عن استحضار شكل أنفها، أو حتى إن كان لديها واحداً. كل ما استطيع تذكره بكل تأكيد هو أنها لم تكن على جانب عظيم من الجمال، إنه لأمر غريب.

أقول لأحدهم:

- بالأمس مررت بجوار الفتاة المثالية 100% في الشارع.

يقول:

- حقاً؟ أهي جميلة؟

- ليس تماماً.

- أهي من نوعك المفضل إذاً؟

- لا أعرف، يبدو أنني لا أستطيع تذكر أي شيء عنها، سواء شكل عينيها أو حجم نهديها.

- أمر غريب.

- على أي حال.

يقول وقد بدأ يشعر بالملل

- ماذا فعلت؟ هل تحدثت معها؟ تبعتها؟

- لا، مررت بجوارها في الشارع فحسب.

كانت تسير من الشرق إلى الغرب، وأنا من الغرب إلى الشرق، وقد كان صباحاً جميلاً للغاية.

تمنيت لو أمكنني الحديث معها، نصف ساعة كانت لتكون أكثر من كافية، فقط لأسألها عن نفسها، و أخبرها عن نفسي، و- ما أريد فعله حقاً - أن أفسر لها تعقيدات القدر التي قادت إلى مرورنا جوار بعضنا البعض بأحد الشوارع الجانبية بهاروجوكو ذات صباح جميل من ابريل عام 1981. الأمر الذي قد يكون بالتأكيد مليئاً بالأسرار الدافئة كساعة حائطية عتيقة.

بعد الحديث، كنا لنتناول الغداء في مكان ما، ربما نشاهد فيلماً لوودي آلن، ثم نعرج على بار فندق لنحتسي شراباً، وبقليل من الحظ قد ينتهي بنا المطاف في الفراش.

جميع الإحتمالات تقرع أبواب قلبي.

الآن تقلصت المسافة بيننا إلى خمسة عشر ياردة.

كيف يمكنني بدء محادثتها؟ ماذا يجدر بي قوله؟

"صباح الخير يا آنسة، هل تعتقدين أنه يمكنك منحي نصف ساعة من وقتك لمحادثة قصيرة؟"

هذا سخيف، يجعلني أبدو كموظف تأمين.

"أرجو المعذرة، لكن أمن الممكن أنك تعرفين إذا ما كانت هناك مغاسل تعمل طوال الليل في هذا الحي؟"

كلا، عبارة سخيفة كسابقتها، فأنا لا أحمل ملابس متسخة أصلاً. ثم أي فتاة كانت لتستجيب لعبارة كتلك؟

ربما قول الحقيقة المجردة سيفي بالغرض. "صباح الخير، أنت الفتاة المثالية 100% بالنسبة لي".

كلا، ما كانت لتصدق ذلك، أو حتى إذا صدقت، قد لا ترغب في الحديث معي. من الممكن أن تقول: "آسفة، قد أكون الفتاة المثالية 100% بالنسبة لك، لكنك لست الفتى المثالي 100% بالنسبة لي". قد يحدث ذلك. وإذا وجدت نفسي في ذلك الموقف، على الأرجح سأتشظى الى أشلاء، و لن أتعافى من الصدمة أبداً. أنا في الثانية والثلاثين، وذلك ما يعنيه أن تتقدم في السن.

نمر أمام متجر زهور، تلامس بشرتي نفحة من الهواء الدافئ. الأسفلت رطب. يلتقط أنفي عبير الورود. لا يسعني حمل نفسي على محادثتها. ترتدي سترة بيضاء، وتمسك بيمناها مظروفاً متغضناً ينقصه

الطابع البريدي. إذاً فقد كتبت رسالة لشخص ما، وبالنظر إلى عينيها المرهقتين الناعستين، ربما أمضت الليلة بكاملها في الكتابة. قد يحتوي ذلك المظروف على كل أسرارها.

أخطو بضع خطوات أخرى، وأستدير، لأجدها قد تلاشت وسط الحشد. بالطبع الآن أعلم تماماً ما كان ينبغي أن أقوله لها، إنه خطاب طويل، أطول مما يمكنني أن اقوله كما يجب. الأفكار التي تحضرني لا تكون عملية مطلقاً.

آه، حسناً، كان حديثي لها ليبدأ بـ "كان يا ما كان" وينتهي بـ "قصة حزينة، ألا تعتقدين ذلك؟"

كان يا ما كان، في سالف العصر والأوان، فتى وفتاة. كان الفتى في الثامنة عشرة والفتاة في السادسة عشرة. هو لم يكن وسيماً بشكل غير عادي، كما لم تكن هي فائقة الجمال. كانا مجرد فتى وفتاة عاديين يشعران بالوحدة، كالآخرين. لكن كان لديهما يقين مطلق بأنه في مكان ما في هذا العالم يوجد الفتى المثالي 100% والفتاة المثالية 100% لهما. كانا يؤمنان بمعجزة. وتلك المعجزة وقعت بالفعل.

ذات يوم التقيا بعضهما مصادفة في ركن احد الشوارع.

قال:

- هذا مذهل! كنت أبحث عنك طوال حياتي، قد لا تصدقين هذا، لكنك الفتاة المثالية 100% بالنسبة لي.

قالت له:

- وأنت الفتى المثالي 100% بالنسبة لي، تماماً كما تصورتك بكل التفاصيل. إنه كحلم.

جلسا على مقعد منتزه، تشابكت أيديهما، يقصان حكاياتهما ساعة تلو الاخرى، لم يعودا وحيدين الآن. كلاهما وجد شريكه المثالي. إنها معجزة، معجزة كونية.

مع ذلك، بينما هما جالسان يتجاذبان أطراف الحديث، بدأت بذور الشك تنمو بداخلهما ببطء: "هل من المقبول حقاً أن تتحقق أحلام شخص ما بهذه السهولة؟"

ولذلك، عندما مرت هنيهة، فتر خلالها الحديث بينهما، قال الفتى للفتاة:

- دعينا نختبر أنفسنا، مرة واحدة فقط. إذا كنا حقاً العاشقين المثاليين 100%، فإننا في زمان ما ومكان ما، سنلتقي ثانية، وعندما يحدث ذلك، سنوقن تماماً بأننا الشخصين المثاليين 100% وسنتزوج في الحال، ما رأيك؟

قالت:

- نعم، هذا ما علينا فعله بالضبط.

ثم افترقا، هي للشرق وهو للغرب.

لكن الإختبار الذي اتفقا عليه لم يكن ضرورياً إطلاقاً، لم يكن يجدر بهما خوضه أبداً، لأنهما كانا بالفعل العاشقان المثاليين 100% لبعضيهما، لقد كانت معجزة أنهما إلتقيا. لكن من المحال معرفة هذا بالنسبة لهما في سنهما تلك. وعادت أمواج القدر الباردة اللامبالية تتقاذفهما بلا رحمة.

ذات شتاء، سقط الفتى والفتاة ضحية لإنفلونزا موسمية مروعة، وبعد أسابيع من التأرجح بين الحياة والموت، فقدا ذاكرتهما، ونسيا كل ما يتعلق بسنوات حياتيهما المبكرة، وعندما شفيا منها كان رأسيهما فارغين كحصالة د.هـ لورنس* عندما كان يافعاً.

لكنهما كانا شابين ذكيين وذوا عزيمة، وبعد جهود لا تعرف الكلل أو الملل، تمكنا مجدداً من اكتساب المعرفة والمشاعر التي تؤهلهما ليعودا عضوين كاملين ومؤهلين في المجتمع، ويعرفان كيف يتنقلان من خط قطار أنفاق إلى آخر وقادران على إرسال الرسائل الخاصة في مكتب البريد. وفي الواقع اختبرا الحب مرة ثانية، أحياناً بنسبة 75% أو حتى بنسبة 85%.

تعاقبت الأيام بسرعة مذهلة، وسرعان ما أصبح الفتى في الثانية والثلاثين والفتاة في الثلاثين.

ذات صباح جميل من أبريل، كان الفتى يسير من الشرق إلى الغرب، باحثاً عن فنجان قهوةٍ ليبدأ به يومه، بينما كانت الفتاة تسير من الشرق إلى الغرب، تعتزم إرسال رسالة عبر البريد، وفي الشارع الضيق عينه بحي هاراجوكو بطوكيو، مرا بجوار بعضهما البعض في عرض الشارع، ومضت ذاكرتيهما المفقودة لبرهة وجيزة في قلبيهما، وشعر كلاهما بقعقة في الصدر وقد أدركا:

إنها الفتاة المثالية 100% بالنسبة لي

إنه الفتى المثالي 100% بالنسبة لي

لكن وهج ذاركتيهما كان واهناً للغاية، ولم تعد أفكارهما بالوضوح الذي كانت عليه قبل أربعة عشر عاماً. مرا بجوار بعضهما دون أن يتبادلا كلمة واحدة وذابا وسط الحشود، للأبد.

قصة حزينة، ألا تعتقدين ذلك؟

نعم، هذا ما كان علي أن أقوله لها.

---

* ربما يشير موراكامي هنا إلى فقر د.هـ لورنس في حياته المبكرة، أو الرومانسية في كتاباته، وهي ثيمة رئيسة في هذه القصة.(المترجم)

# مسألة عائلية

# (Family Affair)

على الأرجح يحدث هذا طوال الوقت، كَرِهتُ خطيب شقيقتي الصغرى منذ اللحظة التي وقعت عيناي عليه. خاب ظني فيها بسبب خيارها هذا. ربما أكون مجرد شخص ضيق الافق، وعلى ما يبدو أن شقيقتي تعتقد ذلك اعتقاداً جازماً. لم نتحدث عن مشاعري نحوه، لكنها كانت تعلم بأن خطيبها لم يعجبني، ولم تحاول إخفاء انزعاجها. قالت: "لديك رؤية ضيقة للأشياء." عندها كنا نتحدث عن السباغيتي، كانت تخبرني بأن لدي رؤية ضيقة فيما يتعلق بالسباغيتي. لم يكن هذا كل ما يدور في رأسها بالطبع. كان خطيبها يتربص في مكان ما خلف السباغيتي، وكانت تتحدث عنه بالفعل كنا نخوض حرباً حوله بالـ(بروكسي).

بدأ الأمر برمته عصر يوم أحد، عندما اقْتَرَحَتْ أن نخرج لنتناول طعاماً إيطالياً. قلت: "حسناً، بما أن مزاجي يسمح بذلك." ذهبنا إلى مطعم سباغيتي صغير وأنيق، أفتتح مؤخراً مقابل المحطة. طلبت السباغيتي بالباذنجان والثوم، بينما طلبت هي صلصة البيستو، وأثناء انتظارنا احتسيت بعض الجعة. حتى الآن، كل شيئ على ما يرام، نحن في مايو، واليوم أحد، وكان الطقس جميلاً.

بدأت المشكلة مع السباغيتي نفسه، الذي كان كارثياً. كان ملمس سطح العجينة منفراً، أشبه بالدقيق، وكان الوسط يابساً وغير مطهو. حتى الكلب كان ليشيح بأنفه بعيداً عن الزبدة التي استخدموها. لم أستطع تناول أكثر من نصف الطبق، وطلبت من النادلة أن تأخذ الباقي بعيداً.

اختلست شقيقتي نظرة أو نظرتين ناحيتي لكنها لم تقل شيئاً في البداية. بدلاً من ذلك، تأنّت في إلتهام كل ما قدم اليها، حتى آخر خيط

منه. ظللت جالساً في مكاني، أحدق خارج النافذة، وأحتسي جعة أخرى.

قالت عندما أخذت النادلة طبقها:

- لم يكن عليك ترك طعامك بتلك الطريقة.

- إنه مقرف.

- لم يكن بذلك السوء، كان بإمكانك حمل نفسك على تناوله.

- ولِمَ افعل ذلك؟ إنها معدتي أنا وليست معدتك!.

- إنه مطعم جديد، ربما يكون الطباخ غير معتاد على المطبخ، لن يضيرك شيء إذا تساهلت معه وأحسنت الظن به.

قالت ذلك وأخذت رشفة من قهوة خفيفة جلبوها لها تبدو بلا طعم.

قلت:

- قد تكونين محقة، لكن الأمر يبدو منطقياً فقط للشخص المميز أن يترك طعاماً لا يحبه.

- حسناً، يا من تظن أنك تعرف كل شيء!.

- ما خطبك؟ أهو ذلك الوقت من الشهر مجدداً؟

- اخرس، أستحق منك أفضل من هذا.

- هوني عليك، أنت تتحدثين مع شخص يعرف تحديداً متى بدأت دورتك الشهرية. تأخرت جداً فأخذتك أمي لرؤية طبيب.

- ستتلقى محفظتي هذه بين عينيك...

أصبحت جادة فلزمت الصمت.

- مشكلتُكَ أنكَ ضيق الأفق بشأن كل شيء.

قالت ذلك وهي تضيف الكريمة إلى قهوتها، مما يعني أنها كانت بلا طعم كما ظننت، ثم أردفت:

- كل ما تراه هو الأشياء السلبية، إنك حتى لا تحاول أن تنظر للجوانب الإيجابية. لا تعير أي شيء اهتمامك إذا لم يرتقِ الى معاييرك، وذلك ما يثير حفيظتي.

- قد يكون الأمر كذلك، لكنها حياتي أنا وليست حياتك.

- ولا تكترث إلى أي درجة تؤذي من حولك. تتركهم ينظفون الفوضى التي تخلفها، حتى عندما تستمني.

- ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟

- أتذكر عندما كنت في الثانوية، كنت تفعلها في أغطية الفراش. وكان على نساء الأسرة أن يقمن بالتنظيف من خلفك. أقل ما كان يمكنك القيام به هو أن تفعلها دون تلطيخ أغطية الفراش.

- سأكون حذراً من الآن فصاعداً. الآن أعذريني لقول هذا مجدداً، لكن كل ما في الأمر هو أن لدي حياتي الخاصة. أعرف ما أحبه وما لا أحبه. بهذه البساطة.

- حسناً، لكن دون إيذاء الآخرين، لمَ لا تحاول بجد أكثر؟ لمَ لا تنظر إلى الجوانب المشرقة؟ لمَ لا تتحلى بشيء من ضبط النفس على الأقل؟ لمَ لا تنضج؟

الآن لامَسَتْ لدي وتراً حساساً.

- أنا ناضج بما فيه الكفاية، يمكنني التحلي بضبط النفس، ويمكنني النظر إلى الجوانب المشرقة أيضاً. كل ما في الأمر هو أنني لا أنظر إلى الأشياء عينها التي تنظرين إليها.

- هذا ما أعنيه، أنتَ مغرور جداً. ولهذا السبب لم تحظَ بعلاقة مستقرة. أعني، أنتَ في السابعة والعشرين.

- لدي حبيبة بالتأكيد.

- تعني جسداً لتنام معه؟ تعلم تماماً أنني محقة. هل تستمتع بتغيير الفتيات كل عام؟ ماذا عن الحب والتفهم والتعاطف؟ ما المغزى من العلاقة دون هذه الأشياء؟ ربما من الأفضل لك أن تستمني.

- لا أقوم بتغيير الفتيات كل عام، أليس كذلك؟

- تقريباً. عليك أن تفكر بحياتك بجد أكثر، كن أكثر جدية.

ثم سرحَت بعيداً، وكان ذلك نهاية حديثنا.

لماذا غيرت موقفها مني ونظرتها إليّ بهذا القدر خلال العام الماضي؟ حتى ذلك الوقت بدت وكأنها تستمتع بمشاركتي أسلوب حياتي العابث الذي لا هدف له، حتى أنها - إن لم أكن مخطئاً - كانت تنظر إلي كقدوة، إلى حد ما. صارت تنتقدني أكثر فأكثر منذ أن بدأت مواعدة خطيبها.

بدا هذا غاية الإجحاف بالنسبة لي، كانت قد بدأت الخروج معه لبضعة أشهر فحسب، بينما نحن معاً منذ ثلاثة وعشرون عاماً. ولطالما كنا منسجمين معاً. ولم نتشاجر من قبل قط. لا أعرف أخاً وأختاً يمكنهما الحديث مع بعضهما بإنفتاح وشفافية مع بعضهما البعض كما نفعل، ليس عن العادة الشهرية والعادة السرية فحسب، بل كانت تعرف المرة الأولى التي اشتريت فيها واقياً ذكرياً (كُنْت في السابعة عشرة) وأعرف المرة الأولى التي اشترت فيها ملابس داخلية من الدانتيل (كانت في التاسعة عشرة). كنت أعرف صديقاتها وتعرف أصدقائي. هكذا نشأنا. ساءت علاقتنا الرائعة هذه خلال أقل من عام. يستعر غضبي كلما فكرت في الامر.

قالت أنها تريد أن تشتري زوجاً من الأحذية من المتجر الواقع قرب المحطة. تركتها خارج المطعم وعدت أدراجي إلى شقتنا وحيداً. اتصلت بفتاتي لكنها لم تجب. الأمر الذي لم يكن مفاجئاً. الثانية ظهراً أحد أيام الآحاد لم يكن بالوقت المثالي لتطلب من فتاة الخروج معك في موعد. قلّبت صفحات دفتر العناوين الخاص بي وحاولت مع فتاة أخرى، طالبة قابلتها في صالة ديسكو في مكان ما. أجابت الهاتف.

- أتودين الخروج لنتناول شراباً؟

- أتمازحني؟ إنها الثانية ظهراً!.

- فلتكن، سنشرب حتى تغيب الشمس. أعرف البار المثالي لمشاهدة غروب الشمس، لن نتمكن من الحصول على المقاعد المناسبة إذا لم تكوني هناك بحلول الثالثة.

- هل أنت خبير مختص بغروب الشمس أو ما شابه؟

مع ذلك، وافقت على الخروج، على الأرجح لطفاً منها فحسب. ذهبت لأقلها بالسيارة، قدنا بمحاذاة الساحل إلى ما بعد يوكوهاما إلى بار يطل على المحيط. تجرعت أربعة كؤوس ويسكي آي دبليو هاربر مع الثلج، وتناولت هي كأسين من ديكري الموز. وشاهدنا الشمس وهي تغيب.

- هل تستطيع القيادة بعد كل هذا الشراب؟

- لا مشكلة، عندما يتعلق الأمر بالكحول فأنا دون الحد.

- دون الحد؟

- أربعة كؤوس بالكاد تكفي لتجعلني في الوضع الطبيعي، ليس هناك ما تقلقي بشأنه، أؤكد لك.

- إن كان هذا ما تقوله...

قدنا عائدين إلى يوكوهاما، تناولنا طعاماً، واستمتعنا ببعض القُبَل في السيارة، ثم اقترحتُ أن نذهب إلى فندق، لكنها لم ترغب في ذلك.

- أضع سدادة قطنية.

- انزعيها إذاً.

- أجل، صحيح! إنه اليوم الثاني فحسب.

ويا له من يوم! يفترض أنني خرجت فيه في موعد مع فتاتي. لكن لا، يبدو أنه سيكون اليوم الذي أمضيت فيه وقتاً جميلاً مع شقيقتي، الأمر الذي لم نحظَ به منذ وقت طويل.

قالت الفتاة:

- آسفة، أقول لك الحقيقة.

- لا بأس، إنه ليس خطأك. أنا الملام على ذلك.

- أنت الملام على عادتي الشهرية؟

سألتني بنظرة استغراب.

- لا، إنها الطريقة التي سارت بها الأمور فحسب.

يا له من سؤال غبي.

أوصلتها إلى منزلها بسيتاغايا. وفي الطريق أخذ قابض السيارة يصدر قعقعة غريبة. قلت لنفسي متنهداً، من الأفضل أن آخذها للصيانة قريباً. إنه أحد تلك الأيام، عندما يسوء أمر واحد يتبعه كل شيء.

سألتها:

- أيمكنني أن أدعوك للخروج مجدداً؟

- في موعد؟ أم إلى فندق؟

قلت مبتسماً:

- كلاهما، فالأمرين متلازمين، كما تعلمين، كالفرشاة ومعجون الأسنان.

- ربما، سأفكر بالأمر.

- نعم، فكري. التفكير مفيد لك، فهو يقيكِ من الخرف.

- أين تسكن؟ أيمكنني زيارتك؟

- آسف، أقيم مع شقيقتي، ولدينا بعض القواعد، منها ألّا أحضر الفتيات إلى المنزل وهي لا تحضر الرجال.

- صحيح، وكأنها شقيقتك حقاً.

- إنها شقيقتي، في المرة القادمة سأجلب معي نسخة من عقد الإيجار. هل يناسبك يوم الأحد؟

ضحكت:

- حسناً.

راقبتها وهي تعبر بوابة منزلها. ثم أدرت المحرك وانطلقت عائداً إلى المنزل وأنا أستمع لتلك الأصوات التي يصدرها القابض.

كانت الشقة غارقة في ظلام حالك. أضئت المصباح وناديت شقيقتي، لكنها لم تكن موجودة. ما الذي تفعله بالخارج عند العاشرة بحق الجحيم؟ بحثت عن صحيفة المساء لكنني لم أعثر عليها. بالطبع، فقد كان يوم الأحد.

تناولت جعة من الثلاجة وأخذتها مع كأس إلى غرفة الجلوس. قمت بتشغيل الستريو ووضعت أسطوانة جديدة لهربي هانكوك. بإنتظار بدء الموسيقى، أخذت جرعة كبيرة من الجعة، لكن لم يصدر

أي شيء من السماعات. عندها تذكرت، فقد تعطل الستريو قبل ثلاثة أيام. كل الدوائر موصلة، لكن لم يكن هناك صوت. وقد جعل هذا مشاهدة التلفاز غير ممكنة أيضاً. لدي واحدة من تلك الشاشات التي ليس لها دارة صوت خاصة بها وعلي أن أشغلها مع الستريو. حدقت في شاشة تلفازي الصامت وأنا ارتشف جعتي. كانوا يعرضون فيلماً عن الحرب، دبابات رومل تخوض حرباً في صحراء أفريقيا. مدافعهم تطلق قذائف صامتة، رشاشاتهم تطلق رصاصاً صامتاً، يموت الناس في صمت، واحداً تلو الآخر. تنهدت للمرة التي يجب أن تكون السادسة عشرة في ذلك اليوم.

بدأت أعيش مع شقيقتي قبل خمسة أعوام، في الربيع، عندما كنت في الثانية والعشرين وكانت هي في الثامنة عشرة. كنت قد أنهيت الجامعة للتو، وعملت في وظيفتي الأولى. وكانت قد أنهت المرحلة الثانوية والتحقت بالجامعة. سمح لها والدانا بالدراسة في طوكيو بشرط أن تقيم معي. وقد قبلنا ذلك الشرط بسرور. وجدا لنا شقة جميلة وواسعة بغرفتين. وكنت أدفع نصف الإيجار.

لم تكن إقامتي مع شقيقتي فكرة سيئة، ليس فقط لأننا كنا منسجمين معاً كما ذكرت سابقاً، لكن لأن نشاطنا اليومي كان متوافقاً أيضاً. كنت أعمل بقسم العلاقات العامة بأحد مصانع الأجهزة المنزلية. عادة ما أغادر الشقة في الصباح المتأخر وأعود متأخراً في المساء. وكانت هي تغادر في الصباح وتعود مع غروب الشمس. بعبارة أخرى، تكون قد غادرت عندما أستيقظ ونائمة عندما أعود. وبما أن مواعيدي الغرامية تستحوذ على عطلات نهاية الأسبوع، لم أكن أتحدث مع شقيقتي أكثر من مرتين أو ثلاث في الاسبوع. ما كنا لنجد الوقت للشجار حتى لو أردنا ذلك، ولم نكن نتدخل في خصوصيات بعضنا البعض.

كنت أفترض أن لديها علاقاتها الخاصة، لكنني لم أكن في موضع يمكنني من قول أي شيء. فقد كانت في الثامنة عشرة، رغم كل شيء. مع ذلك، ذات مرة أمسكت بيدها لساعتين، من الواحدة حتى

الثالثة صباحاً، لأكون دقيقاً. عند عودتي من العمل، وجدتها جالسة عند طاولة المطبخ وهي تنتحب. على الرغم من أنانيتي وعدم سعة أفقي، فقد كنت ذكياً بما فيه الكفاية لأدرك بما أنها كانت تبكي على طاولة المطبخ وليس في غرفتها، فقد كانت بحاجة لبعض المواساة مني. لذلك جلست إلى جوارها وأمسكت يدها، على الأرجح للمرة الاولى منذ أيام المدرسة الإعدادية، عندما كنا نخرج معاً لصيد اليعاسيب. من البديهي أن يدها كانت أكبر وأقوى مما أذكر. بكت لساعتين متواصلتين، دون أن تتحرك. كان من الصعب عليّ تصديق أن الجسد يمكنه إنتاج هذه الكميات من الدموع. دقيقتين من البكاء كل ما يتطلبه الامر لأجفّ تماماً.

بحلول الثالثة صباحاً، فاض بي الكيل، لم أستطع إبقاء عيني مفتوحتين. الآن حان دوري، باعتباري الشقيق الأكبر، لأن أقول شيئاً، على الرغم من أن إسداء النصائح ليس أمراً أبرعُ فيه. بدأت:

- لا أريد أن أتدخل في الطريقة التي تعيشين بها حياتك، إنها حياتك أنت، وينبغي أن تعيشيها كما يحلو لك.

أومأتْ

- لكنني أريد أن أنصحك بشيء واحد، لا تحملي واقيات ذكرية في حقيبة يدك، سيعتقدون أنك عاهرة.

عندما سمعت ذلك، أمسكت بكتاب الهاتف الذي كان على الطاولة وألقته نحوي بكل ما أوتيت من قوة.

- لماذا تدس أنفك في حقيبتي!؟

دائماً ما تلقي بالأشياء عندما تغضب، ولذلك لم أخبرها بأنني لم أنظر بداخل حقيبتها قط. على أي حال، نجح الأمر. كفت عن البكاء، وتَمكنْتُ من النوم.

بقي إيقاع حياتنا كما هو، حتى بعد تخرجها وعملها بإحدى وكالات السفر. كان دوام عملها عادياً، من التاسعة إلى الخامسة. أما برنامجي اليومي فما كان ليصبح أكثر تراخياً، اذهب إلى المكتب في وقت ما قبيل الظهر، أقرأ الصحيفة التي على مكتبي، أتناول الغداء، وأخيراً أصبح جاداً بشأن عمل شيء ما حوالي الثانية بعد الظهر. ولاحقاً أقوم بترتيبات مع بعض الشباب من وكالة الإعلانات لنخرج ونشرب حتى بعد منتصف الليل.

سافرت شقيقتي إلى كاليفورنيا مع أصدقاء لها لقضاء عطلة الصيف في رحلة جماعية نظمتها الوكالة التي تعمل بها. كان أحد أعضاء المجموعة مهندس كمبيوتر يعمل في الوكالة من قبلها بعام، وقد بدأت مواعدته عندما عادا إلى اليابان. كثيراً ما تنشأ مثل هذه العلاقات، لكن ليس بالنسبة لي. قبل كل شيء أنا أمقت الرحلات الجماعية، وفكرة أن تدخل مع أحد في علاقة جادة مع شخص قابلته في مجموعة كتلك تشعرني بالغثيان.

بعد أن بدأت شقيقتي مواعدة مهندس الكمبيوتر هذا، أصبحت تفيض حيوية وتولي عناية أكبر للمظاهر، مظهرها ومظهر الشقة معاً. قبل ذلك كانت تخرج إلى أي مكان وهي ترتدي قميص العمل وجينزاً باهتاً وحذاءاً رياضياً. وبفضل اهتمامها المفاجئ بالملابس، امتلأت الخزانة الأمامية بالأحذية، وكانت جميع الخزانات تطفح بالمشاجب السلكية التي تأتي بها من المغسلة. كانت تقوم بغسل وكي الملابس بإستمرار (بدلاً من أن تدعها تتكوم في الحمام كعش نمل أمازوني) وتطبخ وتنظف طوال الوقت. كانت هذه أعراضاً خطيرة. يبدو أنني أستند إلى تجربتي الخاصة، عندما تبدأ امرأة بالتصرف على هذا النحو، ليس أمام الرجل سوى خيارين، إما أن ينفد بجلده أو يتزوجها. ثم أرتني صورته، لم تفعل شيئاً كهذا من قبل قط. أحد الأعراض الخطيرة أيضاً. في الواقع أرتني صورتين. إحداها التقطت على رصيف مرفأ لصيد السمك في سان فرانسسكو، تُظهر الصورة شقيقتي ومهندس الكمبيوتر يقفان أمام سمكة أبو سيف، ويرسمان ابتسامتين كبيرتين على وجهيهما.

قلت:

- سمكة جميلة.

- توقف عن المزاح، أنا جادة.

- إذاً ما الذي ينبغي أن أقوله؟

- لا تقل شيئاً. هذا هو.

أخذتُ الصورة مجدداً وتفرست في وجهه. إذا كان هناك شكل واحد من الوجوه في العالم مصمم ليثير نفوري في الحال، فهذا هو. أسوأ مما ظننت، شيء فيه يذكرني برجل كرهته، لم يكن قبيحاً، لكنه غاية في السطحية وكثير الشكوى والتذمر. كانت لديه ذاكرة كذاكرة الفيل، ما أن يأخذ عليك شيئاً، لن ينساه أبداً. كان يعوض نقص ذكاءه بذاكرته الاستثنائية.

سألْتُ:

- كم مرة فعلتها معه؟

قالت وهي تحمر خجلاً:

- لا تكن سخيفاً، لا يمكنك أن تحكم على العلم بأسره وفقاً لمعاييرك الخاصة. ليس الجميع مثلك، كما تعلم.

تم التقاط الصورة الثانية بعد الرحلة، تظهر مهندس الكمبيوتر لوحده، كان يرتدي جاكيتاً جلدياً ويتكئ على دراجة نارية ضخمة وخوذته على المقعد، تعلو وجهه التعابير نفسها كما في سان فرانسسكو.

قالت:

- إنه يحب الدراجات النارية.

- أتمزحين؟ بلا شك. لم أعتقد أنه ارتدى الجاكت الجلدي فقط ليلتقط الصورة.

قد يكون هذا مثالاً آخر على ضيق الأفق لدي، لكنني لا أطيق هؤلاء المهووسين بالدراجات النارية، والطريقة التي يتبخترون بها راضين عن أنفسهم. أبقيت فمي مغلقاً وأعدت لها الصورة.

قلت:

- حسناً، إذاً...

- حسناً، إذاً ماذا؟

- حسناً، إذا، ماذا بعد؟

- لا أعرف، ربما نتزوج.

- هل عرض عليك الزواج؟

- نوعاً ما، لكنني لم أعطه جواباً.

- فهمت.

- في الحقيقة، لست واثقة من أنني أريد الزواج. لقد بدأت العمل قبل فترة قصيرة، وأظن أنني أريد أن أتمهل قليلاً، أريد أن ألهو أكثر قليلاً. لن أفقد صوابي وأكون جامحة مثلك بالطبع.

- هذا على الأرجح تفكير سليم.

- لكنني لا أعلم، إنه لطيف حقاً، أحياناً أفكر بأن كل ما أريده هو الزواج منه. إنه أمر صعب.

حَمَلتُ الصورتين ثانية ونَظَرتُ إليهما.

احتفظت بتنهيدتي لنفسي.

دار هذا الحوار قبل أعياد الميلاد. وبعد يوم من العام الجديد، اتصلت بي أمي عند التاسعة. كُنتُ أفرّش أسناني على أنغام أغنية (ولد في الولايات المتحدة) لبروس سبرينغتين.

سألتني إذا ما كنت أعرف الرجل الذي تواعده شقيقتي. فقلت لها لا أعرفه.

قالت إنها تلقت رسالة من شقيقتي لتستفسر إن كان بإمكانها أن تحضره إلى المنزل بعد اسبوعين.

قلت:

- أفترض أنها تريد الزواج منه.

- ولهذا أريدك أن تحاول معرفة أي نوع من الرجال هو. أود أن أعرف عنه شيئاً قبل مقابلته.

- حسناً، لم اقابل هذا الشخص قط. إنه أكبر منها بعام. وهو مهندس كمبيوتر، يعمل في إحدى تلك الشركات التي تتكون أسمائها من ثلاثة أحرف، مثل: IBM أو ECN أو TNT، لا أدري. رأيت صورته، ولم يعجبني شكل وجهه، لكنني لست من سيتزوجه.

- في أي جامعة تخرج؟ أيمتلك منزلاً؟

- كيف لي أن أعرف؟!

- حسناً، هلا قابلته لتعرف عنه هذه الأشياء، رجاءاً؟

- محال، أنا مشغول، اسأليه بنفسك عندما تقابليه بعد اسبوعين.

مع ذلك، في نهاية المطاف لم يكن أمامي خيار سوى مقابلة مهندس الكمبيوتر الخاص بشقيقتي. كانت ستقوم بزيارة رسمية إلى منزل عائلته يوم الأحد التالي، وأرادت مني أن أذهب معها. ارتديت قميصاً أبيضاً وربطة عنق وأكثر بذلاتي احتراماً. كانوا يقطنون منزلاً

مهيباً وسط أحد الأحياء الراقية في ميغورو. كانت دراجته النارية هوندا cc500 مركونة أمام المرآب.

- سمكة جميلة.

- أرجوك، دع مزاحك السخيف هذا، كل ما أطلبه منك هو أن تضبط نفسك ليوم واحد.

- حاضر سيدتي.

كان والداه لطيفين، وفي غاية اللباقة، ربما أكثر من اللازم بقليل. كان الأب مديراً تنفيذياً في إحدى شركات النفط، وبما أن والدي كان يمتلك سسلسلة من محطات الوقود في شيزوكا، فقد كانت هذه زيجة متكافئة ومنسجمة بلا شك. قدمت لنا الأم الشاي في صينية أنيقة.

تبادلت مع الوالد أرقام الهواتف. وتمكنت من حشد كل ما لدي من عبارات مفخمة لأوضح بأنني كنت هناك ممثلاً لوالديّ اللذان لم يتمكنا من الحضور نظراً لإرتباطات مسبقة، وأمِلنا أن نتفق على تاريخ في المستقبل المنظور ليتمكنا من تقديم احترامهما.

رد بأن ابنه قد اخبره بالكثير عن شقيقتي، وأنه الآن بعد رؤيتها يعتقد أنها أجمل بكثير مما يستحق ابنه. كان يعلم أننا ننحدر من عائلة نزيهة، ولم يكن لديهما اعتراض على (المحادثات الحالية). تخيلت أنه لابد قد قام بالتحقق من خلفية عائلتنا، لكن لم يكن بمقدوره أن يكتشف أن شقيقتي جائتها الدورة الشهرية لأول مرة بعد بلوغها السادسة عشرة، وأنها مصابة بإمساك مزمن.

بعد انتهاء الرسميات دون هفوة تذكر، سكب لي الوالد كأساً من البراندي، من نوعية فاخرة بحق، وبينما نحن نحتسي الشراب، تحدثنا عن مختلف أنواع الوظائف. كانت شقيقتي تنكزني بقدمها من حين لآخر لتحذرني من الإفراط في الشراب.

في تلك الأثناء، لم يقل مهندس الكمبيوتر شيئاً، كان جالساً إلى جوار والده وتعبير متوتر يرتسم على وجهه. يمكن الاستنتاج على الفور أنه كان خاضعاً لسيطرة والده، على الأقل أثناء وجوده في منزله. كان يرتدي سترة عليها أشكال لم أرها من قبل قط، وكان لونها يتنافر مع قميصه. لمَ لم تجد لنفسها شخصاً أكثر ذكاءاً؟

حوالي الساعة الرابعة، أصيب الحوار بيننا بفتور، ونهضنا لنغادر، ورافقنا مهندس الكمبيوتر إلى المحطة.

سألنا: "لمَ لا نتناول كوباً من الشاي؟"

لم أكن ارغب في الشاي، وقطعاً لم أكن أرغب في الجلوس على نفس الطاولة مع شخص يرتدي سترة غريبة كتلك، لكنها ستكون سماجة مني إذا رفضت، لذلك ذهبنا ثلاثتنا إلى مقهى مجاور. طلبا قهوة، وطلبت لنفسي جعة، لكنهم لم يكونوا يقدمون الجعة في ذلك المقهى، فطلبت قهوة أيضاً.

قال:

- شكراً جزيلاً لمجيئك اليوم، أقدر مساعدتك.

قلت ببساطة:

- أقوم بواجبي فحسب، لا داعي للشكر.

- حدثتني عنك كثيراً، يا أخي.

- أخي؟!

قمت بحك شحمة أذني بملعقة القهوة وأعدتها إلى الطبق، ركلتني ركلة أخرى قوية، لكن يبدو أن مغزاها أستعصى على مهندس الكمبيوتر. ربما يفهم النكات بلغة الترميز الثنائي فقط.

قال:

- أحسدكما لكونكما متقاربين هكذا.

قلت:

- نركل سيقان بعضنا البعض عندما نكون سعداء.

تلقى عبارتي بتعابير مستفهمة.

دمدمت شقيقتي:

- يفترض أنها مزحة، إنه يحب قول أشياء كهذه.

وافقتها:

- مجرد مزحة، نحن نتشارك أعمال المنزل، هي تقوم بالتنظيف وأنا أقوم بإلقاء النكات.

أطلق مهندس الكمبيوتر- الذي كان اسمه نوبورو واتانابي - ضحكة قصيرة، وكأنها كفيلة بحل المشكلة بالنسبة له.

قال:

أنتما مرحان ومبتهجان للغاية، وهذا هو جو المنزل الذي أريده. مرِح ومبتهج.

قلت لشقيقتي:

- أرأيتِ؟ مرح ومبتهج، أنت متزمتة جداً.

- ليس عندما يكون هناك ما يدعو للمرح.

قال نوبورو واتانابي:

- نود الزواج في الخريف، إن كان ذلك ممكناً.

قلت:

- الخريف هو أفضل وقت لإقامة الزواج. حيث يمكنكما دعوة الدببة والسناجب.

ضحك. لكنها لم تضحك. بدأت تظهر عليها علامات الغضب، فإستأذنت منهما وغادرت.

في الشقة هاتَفْتُ أمي، ولخصت لها ما جرى من أحداث. قلت وأنا أفرك أذني:

- إنه ليس بالشخص السيئ جداً.

- ما الذي تعنيه بذلك؟

- إنه شخص جاد. أكثر جدية مني، على الأقل.

- لكنك لست جاداً على الإطلاق.

قلت وأنا أنظر إلى السقف:

- أنا سعيد لسماع ذلك، شكراً.

- إذاً، من أين تَخَرّج؟

- تَخَرّج؟

- في أي جامعة درس؟

- اسأليه بنفسك.

قلت ذلك وأَغْلَقْتُ الخط.

سئمت من كل هذا. أخذت جعة من الثلاجة وتجرعتها لوحدي.

في اليوم الذي تلا شجار السباغيتي مع شقيقتي، استيقظت عند الثامنة والنصف، كان يوماً جميلاً والسماء صافية، تماماً كالأمس، في

الواقع، يبدو وكأنه امتداد للأمس. يبدو أنني سأستأنف حياتي مجدداً، بعد استراحة قصيرة.

ألقيت ببيجامتي المبتلة بالعرق داخل السلة، استحممت، حلقت ذقني. أثناء الحلاقة فكرت بالفتاة التي لم أتمكن منها الليلة الماضية. آه، حسناً، لم يكن ذلك مقدراً لي. بذلت ما بوسعي، سأحظى بفرص عديدة، كالأحد القادم.

حمصت شريحتين من الخبز، وسخنت بعض القهوة. أردت الاستماع إلى إحدى محطات ال FM، لكنني تذكرت أن الستريو معطل. بدلاً من ذلك، قرأت مراجعات نقدية لكتب في الصحيفة وتناولت الخبز المحمص. لم أجد في كل مراجعات الكتب شيء يمكنني التفكير بقراءته: رواية عن الحياة الجنسية ليهودي عجوز، تمزج الواقع بالخيال، دراسة تاريخية لعلاج الشيزوفرينيا، عرض كامل لحادثة التلوث بمنجم النحاس بأشيو عام 1907. على الأرجح تختار الصحيفة كتباً كهذه لتثير حفيظتنا فحسب.

وضعت الصحيفة على الطاولة وأنا أمضغ خبزي المحمص، ثم لاحظت ورقة تحت برطمان المربى، مكتوب عليها بخط شقيقتي الصغير أنها قد دعت نوبورو واتانابي للعشاء يوم الأحد القادم. وتتوقع مني أن أكون حاضراً.

أنهيت الأكل، ونفضت فتات الخبز عن قميصي، ووضعت الأطباق في المغسلة. اتصلت بوكالة السفر، رفعت شقيقتي السماعة وقالت: "لا يمكنني الحديث الآن، سأعاود الاتصال بك في غضون عشر دقائق."

اتصلَتْ بعد عشرين دقيقة. خلالها قمت بتمرين الضغط ثلاث وأربعين مرة، وقلّمت أظافري العشرين، وجهزت ما سأرتديه خلال اليوم، القميص وربطة العنق والجاكيت والسروال. ونظفت أسناني، ومشطت شعري، وتثاءبت مرتين.

سَألَت:

- هل قرأت الورقة؟

- نعم. آسف، لكن لدي موعد الأحد المقبل، قمت بترتيبه منذ فترة طويلة. لو كنت أعلم لفرغت نفسي، يا لسوء الحظ.

- أتتوقع مني أن أصدق ذلك؟ أعلمُ تماماً ما ستفعله، ستذهب إلى مكان ما وتفعل شيئاً ما مع فتاة ما تعرف اسمها بالكاد. حسناً، يمكنك فعل ذلك يوم السبت.

- عليّ أن أكون في الاستديو يوم السبت، طوال اليوم. نعمل على إعلان لبطانية كهربائية. نحن في غاية الانشغال هذه الأيام.

- إذاً قم بإلغاء موعدك.

- لا أستطيع، ستجعلني أدفع رسوم الإلغاء، والأمور في مرحلة حرجة معها حالياً.

- أتعني أنها ليست حرجة معي؟

- لا، لم أعنِ ذلك اطلاقاً.

قلت ذلك وأنا أمسك بربطة العنق التي اخترتها بالقرب من القميص المعلق على ظهر كرسي. وواصلت:

- لكن لا تنسي، لدينا قاعدة عدم التعدي على حياة بعضنا البعض. ستتناولي العشاء مع خطيبك، وسأخرج في موعد مع حبيبتي. ما المشكلة في ذلك؟

- تعرف تماماً ما المشكلة في ذلك، مضي وقت طويل منذ رأيتَه، لا يصح هكذا. في كل مرة أرتب للقاء ما، تنتحل الأعذار وتتهرب، ألا ترى أنك تتصرف بفظاظة؟ إنه خطيب شقيقتك، لن تموت إذا تناولت معه العشاء لمرة.

كانت محقة، لذلك التزمت الصمت. في الحقيقة كنت أعمل جاهداً على ألّا تتقاطع طرقنا، بالنسبة لي بدا وكأنه الأمر الطبيعي لفعله. ليست لدينا أي اهتمامات مشتركة لنتحدث بشأنها، وكان من المرهق أن القي النكات مستخدماً شقيقتي كمترجمة فورية.

- هلا انضممت إلينا هذه المرة؟ رجاءاً. إن فعلت ذلك من أجلي لن أتدخل في حياتك الخاصة مجدداً. ستكون في المنزل للعشاء يوم الأحد، أليس كذلك؟

- كيف يمكنني أن أقول لا؟

- على الأرجح سيصلح لنا الستريو، إنه بارع في مثل هذه الأشياء.

أنهيت المكالمة. ارتديت ربطة عنقي وذهبت للعمل.

كان الطقس صافياً طوال الاسبوع. كل يوم كأنه امتداد لليوم السابق. في ليلة الأربعاء اتصلت بحبيبتي لأخبرها بأننا لا نستطيع اللقاء في عطلة نهاية الاسبوع. تضايقت بطبيعة الحال، فنحن لم نرَ بعضنا البعض منذ ثلاثة أسابيع. اتصلت - والسماعة ما زالت في يدي - بفتاة الجامعة التي ضربت معها الموعد يوم الأحد، لكنها لم تكن بالمنزل. كانت بالخارج مجدداً، يوم الخميس ويوم الجمعة.

أيقظتني شقيقتي عند الثامنة من صباح يوم الأحد، وهي تقول بلهجة آمرة: "غادر الفراش، أريد أن أغسل الملاءات.

نزعت الملاءات وكيس الوسادة، وأمرتني بخلع بيجامتي. كان الحمام ملاذي الوحيد، حيث استحممت، وحلقت. إنها تصير مثل أمنا أكثر فأكثر. النساء كأسماك السلمون. في نهاية المطاف، تسبح جميعها عائدة إلى نفس المكان.

بعد الحمام، ارتديت سروالاً قصيراً وقميصاً باهتاً. شربت كوباً من عصير البرتقال وأنا أتثائب. لا تزال عروقي تحمل بقايا كحول

ليلة الامس، وسيكون عسيراً عليّ أن أفتح صحيفة اليوم. قضمت مقداراً ضئيلاً من المكسرات من الصندوق الذي على طاولة المطبخ، وقررت أن هذا هو كل الإفطار الذي أحتاج إليه.

ألقت شقيقتي بالملاءات داخل الغسالة، ونظفت غرفتينا. بعد ذلك وضعت بعض الماء والصابون في سطل، وقامت بغسل جدران وأرضية غرفة الجلوس والمطبخ. ظللت متمدداً على الأريكة طوال ذلك الوقت، أتصفح نسخة من مجلة هسلر الإباحية، نجح صديق لي في تهريبها من الولايات المتحدة.

- كف عن التلكؤ وأحضر لي هذه الأشياء.

مدت لي قائمة طويلة بما علي شراؤه، ثم قالت:

- وخبئ هذه المجلة رجاءاً، إنه متحفظ للغاية.

وضعت المجلة جانباً وتفحصت القائمة. خس، طماطم، كرفس، متبلات فرنسية، سلمون مدخن، خردل، بصل، مرق الحساء، بطاطس، بقدونس، وثلاث شرائح لحم...

- شرائح لحم؟ لقد تناولت شريحة لحم بالأمس، لمَ لا تعدين الكفتة؟

- ربما تكون أنت قد تناولت شريحة لحم بالأمس، لكننا لم نتناولها. لا تكن أنانياً هكذا. لا يمكننا تقديم الكفتة ومعنا ضيف على العشاء.

- إذا دعتني فتاة إلى منزلها وأطعمتني كفتة مقلية للتو، سأكون سعيداً وسيحرك ذلك وجداني. مع حفنة كبيرة من شرائح الكرنب الأبيض، ووعاء من حساء المحار بتوابل ميسو... ذلك هو النعيم بعينه.

- ربما، لكنني قررت تقديم شرائح اللحم. المرة القادمة سأطعمك الكفتة حتى تخر صريعاً، لكن اليوم عليك تدبر أمرك مع شرائح اللحم، رجاءاً.

- لا بأس، لا تشغلي بالك.

قلت لها ذلك مواسياً، أعرف أنني أكون مزعجاً أحياناً، لكنني في النهاية إنسان لطيف ومتفهم.

ذهبت إلى مركز تسوق الحي واشتريت كل ما هو مكتوب على الورقة. وفي طريقي إلى المنزل، عرّجت على متجر مشروبات كحولية واشتريت زجاجة تشابليس ثمنها 4,555 ين، كهدية مني للعاشقين. الإنسان اللطيف والمتفهم وحده من يفكر في شيء كهذا.

في المنزل وجدت قميص بولو أزرق ماركة رالف لورين، وسروالاً قطنياً أنيقاً، مطويان بعناية على الفراش.

قالت: "غير ملابسك بهذه."

بتنهيدة صامتة أخري، نفذت ما أُمرت به. لم يكن بمقدوري قول شيء من شأنه أن يعيد يومي وخططي لعطلة نهاية الأسبوع.

وصل نوبورو واتانابي عند الثالثة، تصحبه نسمات الربيع العليلة. سمعت صوت محرك دراجته هوندا cc500 على بعد ربع ميل. أخرجت رأسي من الشرفة لأراه يركن دراجته بمحاذاة مدخل شقتنا، وينزع خوذته. لحسن الحظ، ما أن نزع تلك القبة البيضاء ذات الملصقات، بدت ملابسه أقرب ما يكون إلى ما يرتديه الناس. قميص باهت بأزرار ذو نقوش في شكل مربعات، سروال ابيض فضفاض، حذاء بني دون كعب ذو شرابات، مع ذلك فإن لوني الحذاء والحزام لم يكونا منسجمين.

- أعتقد أن صديقك من رصيف صيد السمك قد وصل.

كانت شقيقتي تقشر البطاطس عند مغسلة المطبخ.

- إبقَ بصحبته لبعض الوقت، إلى أن انهي عملي هنا.

- ليست فكرة جيدة، لا أعرف ما أتحدث معه بشأنه. تحدثي أنتِ معه، دعي لي هذا.

- لا تكن سخيفاً. لا يليق أن أتركك بالمطبخ، تحدث أنتَ معه.

دق الجرس، وفَتَحتُ الباب لأجد نوبورو واتانابي واقفاً عنده. قدته إلى غرفة الجلوس وأجلسته على الأريكة. كانت هديته في ذلك المساء عبارة عن كمية من ايسكريم باسكن روبنز، تضم أكثر من إحدى وثلاثين نكهة. لكن وضْعها داخل الفريزر المزدحم أصلاً تطلب مني مجهوداً خارقاً. من بين كل الأشياء التي كان بإمكانه إحضارها، لماذا أختار الأيسكريم؟

- ما رأيك بجعة؟

- لا، شكراً. أعتقد أنني أعاني من حساسية تجاه الكحول، كأس واحدة كافية لتشعرني بالغثيان.

- ذات مرة شربت حوض غسيل ممتلئ بالجعة في رهان مع بعض الاصدقاء من الجامعة.

- ما الذي فعلته بك؟

- كانت رائحة الجعة تفوح من بولي ليومين كاملين، وظللت أتجشأ...

- لمَ لا تدع نوبورو يلقي نظرة على الستريو.

قاطعتني شقيقتي التي جاءت في لحظة حرجة، وكأنها اشتمت دخاناً، وهي تحمل كوبين من عصير البرتقال.

قال نوبورو:

- فكرة جيدة.

قلت:

- سَمِعتُ أنك بارع في استخدام يديك.

- بالفعل، لطالما كنت أستمتع بصنع النماذج البلاستيكية ومعدات الراديو. بوسعي إصلاح كل ما يتعطل في المنزل. ما مشكلة الستريو؟

قمت بتشغيله ووضعت أسطوانة لأُريه. فتقرفص أمام الستريو كنمس على وشك القفز. وبعد العبث بكل المفاتيح، أعلن:

- لابد أن المشكلة في نظام تكبير الصوت، لكنها ليست داخلية.

- كيف عرفت ذلك؟

- بالطريقة الاستقرائية.

- آه... بالطبع...الطريقة الاستقرائية.

جذب المكبر الأولي ومكبر الطاقة خارجاً، أزال جميع الأسلاك المتصلة بهما، وأخذ يتفحص كل منها. أثناء انشغاله بهذا، أخذت جعة من الثلاجة وشربتها لوحدي.

قال وهو ينخس قابساً بإحدى أدواته:

- لابد أنه أمر ممتع أن تكون قادراً على شرب الكحول.

- لا أدري، أشرب منذ وقت طويل، لدرجة أنني ليس لدي ما أقارنه به.

- كُنْتُ أتدرب قليلاً.

- تتدرب على الشراب؟!

- نعم، أهناك شيئ غريب في ذلك؟

- لا، إطلاقاً. ينبغي عليك أن تبدأ بالنبيذ الأبيض، أسكب قليلاً منه في كأس كبيرة مع الثلج، وخففه بمشروب بيريه، وأضف شيئاً من عصير الليمون. ذلك ما أشربه بدلاً عن عصير الفواكه.

- سأجرب ذلك. اها! هذا ما ظننته.

- ما الأمر؟

- الأسلاك التي تصل بين المكبر الأولي ومكبر الطاقة انفصلت عند القابسين في كلا المكانين. هذا النوع من القوابس التي على شكل دبوس، لا تحتمل الحركة كثيراً، بالإضافة إلى أنها رديئة الصنع. أراهن أن أحدهم قد حرك مكبر الصوت مؤخراً.

قالت شقيقتي:

- أنا حركته قبل بضعة أيام عندما كنت أنظف.

- ذلك هو السبب.

التَفَتَتْ نحوي:

- ابتعنا هذا من شركتكم، والخطأ منهم لإستخدامهم مثل هذه القطع الرديئة.

غَمْغَمْتُ:

- حسناً، لم أصنعها أنا، أنا أقوم بالإعلان فحسب.

قال نوبورو واتانابي:

- لا تقلقا، يمكنني إصلاحه في الحال إن كانت لديكم حديدة لحام.

- حديدة لحام؟ ليس في هذا المنزل.

- لا بأس. سأخرج سريعاً وأشتري واحدة، ينبغي أن يكون لديكما حديدة لحام في المنزل، فهي تساعد كثيراً.

- أجل، أراهن على ذلك. لكنني لا أعرف متجراً يمكن الحصول منه على مثل هذه الأشياء.

- أنا أعرف، مررت جوار واحد في طريقي إلى هنا.

أخرجت رأسي من الشرفة مجدداً، وراقبت نوبورو واتانابي يُحكم ربط خوذته، ويمتطي دراجته، ويختفي عند المنعطف.

تنهدت شقيقتي قائلة:

- إنه لطيف للغاية.

- نعم، للغاية.

فرغ نوبورو واتانابي من صيانة القوابس قبل الساعة الخامسة. طلب الاستماع إلى أغنية هادئة، فوضعت شقيقتي اسطوانة لخوليو إغليسياس. منذ متى ونحن لدينا مثل هذا الهراء في المنزل؟

سألني نوبورو:

أي نوع من الموسيقى تحب؟

- آه، أحب مثل هذه الأعمال، كما تعلم، بروس سبرنغستين، جيف بيك، ذا دورز.

- غريب، لم اسمع بأي من هؤلاء من قبل، أهم مثل خوليو؟

- نعم، يشبهونه كثيرا.

تحدث عن برنامج الكمبيوتر الذي يعمل فريقه على تطويره حالياً، كان مصمماً لتشكيل رسم بياني فوري يوضح أكثر الطرق فعالية في إعادة القطارات إلى المحطة بعد تعرضها لحادث. في

الواقع، كان البرنامج  يبدو فكرة عظيمة، إلا أن استيعابي للمبادئ التي يقوم عليها ليس بأفضل من استيعابي لتصريف الأفعال في اللغة الفنلندية. وأثناء تحدثه بحماسة وبلا انقطاع، كنت أومئ برأسي على فترات مناسبة، وأفكر في النساء، مثل من يجب أن أخرج معها، وإلى أين، وما سنشربه، وأي يوم سأكون متفرغاً، بالإضافة إلى ما سنأكله والفندق الذي قد نذهب إليه. لابد أن لدي ميلاً فطرياً لمثل هذه الاشياء. تماماً مثل أولئك الذين يصنعون النماذج البلاستسكية ويرسمون الرسوم البيانية للقطارات. أحب أن أثمل مع النساء وأنام معهن، إنها مسالة قدر، شيء يتجاوز فهم جميع البشر.

بينما أنا على وشك إنهاء علبة الجعة الرابعة، كان العشاء جاهزاً. سلمون مدخن، حساء البطاطس، شريحة لحم، سلطة، بطاطس مقلية. كان طهو شقيقتي رائعاً كالعادة. فتحت زجاجة التشابليس وشربت لوحدي.

بينما هو يقطع شريحته الطرية من لحم الخاصرة، سألني نوبورو واتانابي:

- لماذا قبلت بالعمل مع مصنّعي الأجهزة المنزلية؟ لا يبدو لي أنك مهتم بالاجهزة الكهربائية بشكل خاص.

أجابت شقيقتي نيابة عني:

- إنه لا يهتم بأي شيء بشكل خاص، أو أي شيء فيه فائدة للمجتمع. كان ليقبل بأي وظيفة في أي مكان. وكل ما حدث أنه كان لديه معارف ذوي نفوذ في تلك الشركة.

عقبتُ بسرعة:

- ما كنت لأستطيع أن أعبر عن الأمر أفضل مما فعلت.

- كل ما يفكر فيه هو أن يستمتع بوقته. لم يخطر له قط أن يكرس نفسه لأي شيء بصورة جادة. أو أن يجعل من نفسه إنساناً أفضل.

ثم أردفت:

- كما يجد متعة كبيرة في السخرية من الذين يختارون أن يعيشوا حياتهم بجدية.

قلت:

- الآن جانبك الصواب في هذا، ما أفعله ليس له أي علاقة بما يفعله أي شخص آخر. أمارس حياتي مستهلكاً سعراتي الحرارية وفقاً لنظرتي الخاصة للأمور. لا يعنيني ما يفعله الآخرون، لا أسخر منهم، ولا أنظر إليهم حتى. قد لا أكون صالحاً لشيء، لكنني على الأقل لا أقف في طريق الآخرين.

- هذا ليس صحيحاً.

صاح نوبورو واتانابي في ردة فعل لا ارادية

- غير صحيح أنك لا تصلح لأي شيء.

قلت، وأنا ارفع كأس النبيذ بإتجاههما:

- شكراً لك. وبالمناسبة، تهانينا على خطبتكما. آسف لكوني الوحيد الذي يشرب.

قال:

- نخطط لأن يكون الزفاف في أكتوبر، وهو وقت متأخر لدعوة الدببة والسناجب.

- لا داعي للقلق. "لا يصدق! كان يلقي النكات!"

- إذاً، أين ستمضيان شهر العسل؟ أفترض أنه يمكنكما الحصول على تخفيض في نفقات السفر.

قالت شقيقتي بإقتضاب:

- هاواي.

تحدثنا قليلاً عن الطائرات. وبما أنني قرأت عدة كتب عن حادثة تحطم الطائرة في جبال الإنديز، فقد ذكرت الموضوع:

- عندما أكلوا اللحم البشري، كانوا يشوونه تحت الشمس على صفائح من الألمونيوم من حطام الطائرة.

توقفت شقيقتي عن الأكل، ورمقتني بنظرة نارية:

- لمَ تتحدث عن أشياء فظيعة كهذه على مائدة العشاء؟ أتقول مثل هذه الأشياء وأنت تتناول الطعام مع الفتيات اللائي تحاول إغوائهن؟

كضيف مدعو على العشاء من قِبل زوجين متخاصمين، حاول نوبورو واتانابي أن يتدخل بيننا لفض الإشتباك بسؤالي:

- هل فكرت في الزواج من قبل؟

قلت وأنا أهم بوضع حفنة من البطاطس المقلية في فمي:

- لم تتح لي الفرصة، تعين علي أن أربي شقيقتي الصغرى دون مساعدة. ثم بدأت سنوات الحرب الطويلة...

- حرب؟ أي حرب؟

قالت شقيقتي وهي ترجّ عبوة توابل السلطة:

- إنها واحدة من نكاته السخيفة.

أضفت:

- واحدة من نكاتي السخيفة، لكن الجزء المتعلق بعدم إتاحة الفرصة امامي صحيح. لطالما كُنتُ شخصاً ضيق الأفق، لم أعتد على غسل جواربي، لذلك لم أتمكن من إيجاد فتاة لطيفة ترغب في قضاء حياتها معي. بعكسك أنت.

سأل نوبورو واتانابي:

- هل كانت هناك مشكلة مع جواربك؟

فسرت شقيقتي:

- إنها مزحة أيضاً، أغسل جواربه كل يوم على الاقل.

أومأ نوبورو واتانابي وضحك لمدة ثانية ونصف. عقدت العزم على إضحاكه لثلاث ثواني المرة القادمة.

قال وهو يومئ ناحية شقيقتي:

- لكنها قضت حياتها معك، أليس كذلك؟

- حسناً، إنها شقيقتي في نهاية المطاف.

قالت:

- وقد بقينا معاً لأنك تفعل ما يحلو لك دون أن أتذمر. لكن هذه ليست حياة حقيقية. في الحياة الواقعية للراشدين البالغين، يواجه الناس بعضهم بصدق. لا أقول أن السنوات الخمس الماضية معك لم تكن ممتعة، فقد كانت فترة حرية واسترخاء بالنسبة لي. لكنني مؤخراً، أدركت أنها ليست حياة حقيقية. ليست لديها... آه، لا أعرف... الشعور بما يجب أن تكون عليه الحياة الحقيقية. كل ما تفكر به هو نفسك، وإذا حاول أحدهم أن يجري معك حواراً جاداً، تسخر منه.

- في أعماقي، انا شخص خجول للغاية.

- لا، أنت متعجرف فحسب.

- خجول ومتعجرف.

شَرَحتُ لنوبورو واتانابي وأنا أسكب لنفسي مزيداً من النبيذ:

- لدي طريقة خجولة ومتعجرفة في إعادة القطار إلى المحطة بعد تعرضه لحادث.

قال وهو يومئ:

- أعتقد أنني أدرك ما تعنيه، لكن أتعرف ما أعتقده أيضاً؟ أعتقد أنك عندما تصبح وحيداً - أعني بعد زواجنا - ستبدأ التفكير بالزواج أيضاً.

- قد تكون محقاً.

ابتهجت شقيقتي، وقالت:

- حقا؟ إذا كنت تفكر بالزواج جدياً، فلدي صديقة لطيفة، سأكون مسرورة بتقديمك لها.

- بالطبع، عندما يحين الوقت. في ذلك مجازفة حالياً.

بعد أن أنهينا العشاء، انتقلنا إلى غرفة الجلوس لشرب القهوة. هذه المرة وضعت شقيقتي أسطوانة لويلي نيلسون، ربما يكون درجة للأعلى مقارنة بخوليو اغليسياس.

كانت شقيقتي بالمطبخ تنظف عندما قال نوبورو واتانابي لي بشيء من السرية:

- لأكون صادقاً معك، أردت أن أظل عازباً حتى أقارب الثلاثين مثلك. لكنني عندما قابلتها، لم أملك سوى التفكير بالزواج بها.

- إنها صبية صالحة. قد تكون عنيدة ومصابة بالإمساك قليلاً، لكنني أعتقد أنك قد اتخذت القرار الصحيح. مع ذلك، فكرة الزواج نفسها مرعبة إلى حد ما، ألا تعتقد ذلك؟

- حسناً، إذا بذلت مجهوداً في أن توجه نظرك دوماً ناحية الجوانب الإيجابية، فليس هناك ما تخشاه، وإذا طرأ أي مكروه، فكر مجدداً بما قلته لك.

- قد تكون محقاً.

- أنا بارع في إسداء النصائح للآخرين.

ذهبتُ إلى المطبخ وقلت لشقيقتي:

- أنني سأخرج لأتمشى قليلاً، ولن أعود قبل العاشرة، لذلك يمكنكما الاسترخاء والاستمتاع بوقتكما، فأغطية الفراش غسلت للتو.

- أهذا هو كل ما تفكر فيه؟

قالت ذلك بشيء من التقزز، لكنها لم تحاول إثنائي عن الخروج.

عدت إلى غرفة الجلوس وأخبرت نوبورو واتانابي أن لدي مهمة ركض، وأنني قد أتأخر في العودة.

قال:

- أنا مسرور لأنه أتيحت لنا الفرصة للحديث. رجاءاً، إحرص على زيارتنا دائماً بعد زواجنا.

قلت:

- شكراً.

وأنا أوقف مخيلتي مؤقتاً.

صاحت شقيقتي من المطبخ وأنا أهم بالمغادرة:

- إياك أن تقود؛ فقد أسرفتَ في الشراب كثيراً.

- لا تقلقي، سأسير.

كان الوقت قبيل الثامنة بقليل عندما دخلت باراً في الحي. جلست إلى النضد أحتسي ويسكي آي دبليو هاربر مع الثلج. كان التلفاز خلف المشرب يعرض مباراة بيسبول بين غايانتس وسوالوز، وكان الصوت مطفئاً، وبدلاً منه كانو يشغلون اسطوانة لسيندي لوبر. كان الراميان هما تيشيموتو واويانا، وسوالوز متقدمين 3-2. هناك ما يجب أن يقال بشأن مشاهدة التلفاز دون صوت.

شربت ثلاثة كؤوس ويسكي أثناء مشاهدتي مباراة البيسبول. كانت نهاية الشوط السابع، تعادلت النتيجة 3-3. انتهى البث عند التاسعة، وأطفئ التلفاز. كانت هناك فتاة على بعد مقعدين مني، في حوالي العشرين من عمرها، رأيتها هناك بضعة مرات، كانت تشاهد المباراة أيضاً فبدأت الحديث معها عن البيسبول.

قالت:

- أنا من معجبي غايانتس، أي فريق تشجع؟

- جميع الفرق سيان عندي، أحب مشاهدتهم يلعبون فحسب.

- أين المتعة في ذلك؟ كيف تتحمس أثناء مشاهدة المباراة؟

- ليس علي أن أكون متحمساً. لست أنا من يلعب، إنهم الذين يلعبون.

تناولت كأسين آخرين من الويسكي، وقدمت لها كأسين من الديكري. كانت تتخصص في التصميم التجاري بجامعة طوكيو للفنون، فتحدثنا عن الفنون في الإعلانات. عند العاشرة، انتقلنا إلى بار آخر لديه مقاعد مريحة حيث تناولتُ كأساً من الويسكي وتناولت هي

كوكتيل غراسهوبر. أصبحت ثملة جداً عندها، وأنا أيضاً. عند الحادية عشرة، رافقتها إلى شقتها حيث أقمنا علاقة، كأمر طبيعي، كالطريقة التي يقدمون لك كوب شاي مع بطانة في بار.

قالت:

- أطفئ المصباح.

أطفأته.

من خلال نافذتها يمكن رؤية برج أعلاني كبير لـ نيكون. وكان تلفاز الجيران يدوي بنتائج مباريات البيسبول للمحترفين ذلك اليوم. بسبب الظلام وسُكري الشديد، بالكاد كنت أعرف ما أفعله، لا يمكن إطلاق اسم "الجنس" عليه. حركت عضوي قليلاً وأطلقت بعض السوائل.

بمجرد انتهاء الفعل الموصوف أعلاه بإيجاز معتدل، غرقَتْ في النوم، وكأنها لم تستطع الإنتظار لمدة أطول لتفقد وعيها. دون أن أكلف نفسي عناء الاغتسال جيداً، ارتديت ملابسي وغادرت. الجزء الأصعب كان التقاط قميصي وملابسي الداخلية من بين أغراضها في الظلام.

في الخارج، مزقتني نسبة الكحول العالية في جسدي، وكنت في حالة مريعة. أصدرت مفاصلي صريراً كمفاصل تين ودمان في "ذا ويزارد أُف اوز" اشتريت عبوة عصير من إحدى آلات البيع لإنعاشي قليلاً، لكن ما أن شربتها، تقيأت جميع محتويات معدتي على الطريق، جثث شريحة اللحم والسلمون المدخن والخس والطماطم. كم سنة انقضت منذ آخر مرة تقيأت فيها بسبب الشراب؟ ما الذي كنت أفعله في تلك الأيام بحق الجحيم؟ الأشياء نفسها مراراً و تكراراً. لكن كل مرة كانت أسوأ من سابقتها.

بعدها- دون أي رابط اطلاقاً - فكرت في نوبورو واتانابي وحديدة اللحام التي اشتراها لي. قال: "ينبغي أن تكون لديكما حديدة لحام في المنزل، فهي تساعد كثيراً." يا لها من فكرة مفيدة، قلت لنفسي

وأنا أمسح شفتي بمنديل. الآن، وبفضلك، أصبح منزلي مزوداً بحديدة لحام. لكن بسبب حديد اللحام اللعين هذا، لم أعد اشعر أن منزلي هو منزلي الآن. يعزى ذلك على الأرجح إلى شخصيتي ضيقة الأفق.

وصلت إلى المنزل بعد منتصف الليل. لم تكن الدراجة النارية مركونة أمام المنزل بالطبع. استقليت المصعد إلى الطابق الرابع، فتحت باب الشقة، ودخلت. ظلام دامس يكتنف المكان، بإستثناء ضوء خافت فوق المغسلة. على الأرجح ضاقت شقيقتي ذرعاً ونامت. لا أستطيع أن ألومها.

سكبت لنفسي كوباً من عصير البرتقال وأفرغته في جرعة واحدة. استخدمت كميات من الصابون في الحمام لأغسل رائحة العرق الكريهة عن جسدي، ثم نظفت أسناني بعناية. كان منظر وجهي على مرآة الحمام يسبب لي رعشة. بدوت كأحد رجال منتصف العمر الذين نراهم يستقلون القطار الأخير من وسط المدينة، متمددين ثملين على المقاعد وهم يتقيأون على أنفسهم. كان جلدي جافاً، وعيناي غائرتين، وفقد شعري لمعانه.

هززت رأسي وأطفأت مصباح الحمام. عارٍ إلا من منشفة حول خصري، ذهبتُ إلى المطبخ وشربت بعض الماء من الصنبور. قلت لنفسي، سأنجح في فعل شيء غداً، وإن لم أنجح، فغداً سأقوم ببعض التفكير. اوب - لا - دي ، اوب - لا - دا، وتستمر الحياة.

- لقد تأخرت الليلة.

جاءني صوت شقيقتي من العتمة، كانت جالسة على أريكة غرفة الجلوس، تشرب الجعة لوحدها.

- كُنْتُ أشرب.

- أنتَ تشرب كثيراً.

- أعرف.

أخذتُ جعة من الثلاجة وجلستُ مقابلها. لفترة، لم يقل أي منا شيئاً. ظللنا جالسان في مكانينا، نرتشف الجعة من وقت لآخر. رفرفت أوراق النبتة في الأصيص على الشرفة مع النسيم، وورائها يطفو القمر نصف الدائري.

قالت:

- فلتعلم، لم نفعلها.

- تفعلا ماذا؟

- أي شيء. شيء ما أثار أعصابي، لم أستطع أن أفعلها فحسب.

- اها.

يبدو أنني أفقد القدرة على الكلام في الليالي نصف المقمرة.

- ألن تسألني عما أثار أعصابي؟

- ما الذي أثار أعصابك؟

- هذه الغرفة! هذا المكان! لم أستطع أن أفعلها هنا فحسب.

- اها.

- هل أنتَ على ما يرام؟ أتشعر بالمرض؟

- أنا مرهق، حتى أنا أشعر بالإرهاق أحياناً.

نظرت إلي دون كلمة. ارتشفت ثمالة جعتي واسندت رأسي إلى ظهر الأريكة وأغمضت عيني.

- هل نحن السبب؟ هل أصبناك بالإرهاق؟

قلت وعيناي لا تزالان مغمضتين:

- لا، أبداً.

- هل أنت مرهق لدرجة لا تستطيع معها الحديث؟

اعتدلت في جلستي ونظرت إليها، ثم هززت رأسي.

- أنا قلقة، هل قلت لك شيئاً سيئاً اليوم؟ عنك أو عن الطريقة التي تعيش بها؟

- إطلاقاً.

- حقاً؟

- كل ما قلتِه مؤخراً كان صائباً تماماً، لذلك لا تقلقي. لكن ما الذي يزعجك الآن؟ فجأة هكذا.

- لا أعرف. شيء خطر لي فجأة بعد مغادرته، وأنا في انتظارك. كنت أتساءل إذا ما كنت قد تماديت كثيراً.

أخذت علبتي جعة من الثلاجة، وقمت بتشغيل الستريو، ووضعت اسطوانة ثلاثية ريتشي بيراك. كانت الأسطوانة التي أستمع إليها كلما عدت ثملاً إلى المنزل في منتصف الليل.

قلت:

- أنا متأكد من أنك مشوشة قليلاً، هذه التغيرات في الحياة أشبه بالتغيرات في ضغط مقياس الضغط الجوي. أنا مشوش قليلاً أيضاً، بطريقتي الخاصة.

أومأتْ

سألتني:

- هل انا متشددة معك؟

- كل شخص يقسو على شخص ما، لكن إذا كنتُ أنا من اخترته لتكوني متشددة معه، فقد قمت بالخيار الصحيح. لذلك لا تدعي الأمر يقلقك.

- أحياناً، لا أدري، إنه يخيفني، أعني المستقبل.

- عليك أن تبذلي مجهوداً لتوجهي نظرك دوماً ناحية الجوانب الإيجابية، فليس هناك ما تخشينه. وإذا طرأ أي مكروه، فكري مجدداً بما قلته.

ألقيت عليها نفس الخطاب الذي ألقيته على نوبورو واتانابي.

- وإذا لم تسر الأمور بالطريقة التي نريدها؟

- عندها تفكرين ثانية.

أطلَقَت ضحكة قصيرة:

- لا زلت غريباً كما كُنْتَ.

- أيمكنني أن أسألكِ سؤالاً؟

فتحت جعة أخرى.

- بالطبع.

- كم عدد الرجال الذين نمْتِ معهم قبله؟

ترددت لبرهة قبل أن تشير بإصبعين "اثنين"

- وكان أحدهم في مثل سنك والثاني رجلاً أكبر منك؟

- كيف عرفت؟

- إنه نمط.

أخذت رشفة أخرى من الجعة، وقلت:

- لم أكن لأعبث هنا وهناك بلا فائدة طوال هذه الأعوام، لقد تعلمت بعض الأشياء.

- إذاً، أنا فتاة نمطية.

-دعينا نقول "صحية".

- وكم عدد الفتيات اللائي نمت معهن؟

- ست وعشرون. قمت بعدّهن ذات يوم، كن ست وعشرون حسبما أذكر. قد يكون هناك عشر أخريات أو ما شابه، لا أتذكر. فأنا لا أحتفظ بيوميات أو شيء كهذا.

- لماذا كل هذا العدد؟

أجبت بصدق:

- لا أدري، أعتقد أنه سيتعين علي أن أتوقف في مرحلة ما، لكن لا يبدو أنني أعرف كيف.

بقينا صامتين لفترة، كل منا مع أفكاره الخاصة. سمعنا صوت عادم دراجة نارية قادم من بعيد، لكنه لا يمكن أن يكون نوبورو واتانابي، ليس في الواحدة صباحاً.

قالت:

- قل لي، ما رأيك فيه؟

- نوبورو واتانابي؟

- نعم.

- إنه ليس شخصاً سيئاً، أو أظن ذلك. إنه ليس من نوعي المفضل فحسب. لديه ذوق غريب في الملابس، هذه واحدة.

فكرتُ ملياً ثم قلت:

- ليس هناك خطب في وجود رجل مثله في كل أسرة.

- هذا ما أعتقده. ها أنتَ ذا، هذا الشخص الذي أدعوه شقيقي، أنا مولعة بك للغاية. لكن إذا كان الجميع مثلك، على الأرجح سيكون العالم مكاناً فظيعاً!

- قد تكونين محقة.

شربنا ما بقي من الجعة ثم انسحبنا إلى غرفتينا، كانت أغطية الفراش جديدة ونظيفة ومشدودة. تمددت عليها ونظرت خلال الستارة إلى القمر. تسائلت، ما الذي نحن مقبلون عليه؟ لكنني كنت أكثر إرهاقاً من أن أفكر بعمق في أشياء كهذه. وعندما أغمضت عيني، هبط علي النوم كشبكة سوداء صامتة.

**الفهرست:**



**هاروكي موراكامي**

(باليابانية: 村上春樹 موراكامي هاروكي)

**(مواليد 12 يناير 1949)**

هو كاتب ياباني من مدينة كيوتو.
لاقت أعماله نجاح باهرًا حيث تصدرت قوائم أفضل الكتب مبيعًا سواء على الصعيد المحلي أو العالمي وترجمت إلى أكثر من 50 لغة. حصل موراكامي أيضًا على عدة جوائز أدبية عالمية منها **جائزة عالم الفنتازيا** (2006) و**جائزة فرانك أوكونور العالمية للقصة القصيرة** (2006) و**جائزة فرانز كافكا** (2006) و**جائزة جائزة القدس** (2009).
من أبرز أعماله رواية مطاردة الخراف الجامحة (1982) والغابة النروجية (1987) وكافكا على الشاطئ (2002) وإيتشي كيو هاتشي يون (2009 - 2010).
يَظهر تأثر موراكامي بالكُتاب الغربيين، مثل رايموند تشاندلر و كورت فونيجت، واضحًا بشكل جَلي، الأمر الذي دفع بعض المؤسسات الأدبية اليابانية لانتقاد بعض أعماله لبُعدها على المنهج الأدبي الياباني. غالبًا ما تتسم أعمال موراكامي بالسريالية والسوداوية والقَدَرية، كما تتناول معظم رواياته موضوع الانسلاخ الاجتماعي والوحدة والأحلام.
يُعد موراكامي من أهم رموز أدب ما بعد الحداثة. كما وصفته مجلة الغارديان بأنه "أحد أعظم الروائيين في يومنا هذا" بسبب أعماله وإنجازاته.